دليل
المسافر إلى المجرة
الجزء الثالث

تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد

دليل
المسافر إلى المجرة

رواية

تأليف : دوغلاس آدامز
ترجمة : علي ريشة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

The Hitchhiker's Guide to the Galaxy

الكاتب: Douglas Adams

الناشر: Pan Box، 1979

المترجم: علي ريشة

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراءُ المؤلِّفِ ومواقِفُهُ ولا تعبِّر **(**بالضرورةِ**)** عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها**.**

الجزء الثالث

الحياة، الكون وكل شيء

مُقَدِّمَة

إن صيحة الذعر الصباحية المعتادة هي صوت استيقاظ آرثر دينت وتَذَكُّرِه فجأة أين هو.

لم يكن سبب هذه الصيحة أن الكهف بارد، وليس أنه رطب وذو رائحة كريهة، بل إن سببها هو أن الكهف كان وسط إزلينغتون[1]، ولن يكون هنالك موعد لحافلة نقل الركاب قبل مليوني سنة.

يمكن لآرثر دينت أن يثبت بأنّ الزمن هو أسوأ مكان، مجازيّاً، لتضيع فيه، بعد أن ضاع لفترة طويلة في كل من الزمان والمكان على حدّ سواء. فمن الممكن أن تبقى مشغولاً عندما تضيع في المكان.

كان قد جنح على أرض ما قبل التاريخ كنتيجة لسلسلة معقدة من الأحداث التي شملت أن يغضب ويُهان على التناوب في مناطق أغرب من أن يحلم بوجودها في المجرة. وكان لا يزال يشعر بالتوتر والقلق على الرغم من أن حياته قد أصبحت هادئة جداً جداً جداً.

لم يغضب منذ خمس سنوات الآن، وبما أنه نادراً ما رأى أحداً منذ أن افترق هو وفورد بريفيكت منذ أربع سنوات، فلم يُهن في كل ذلك الوقت أيضاً.

---

(١) Islington

ما عدا مرة واحدة.

حدث الأمر في ليلة ربيعية منذ سنتين، كان عائداً إلى كهفه بعد الغسق بقليل عندما انتبه إلى أضواء تومض بشكل غريب بين الغيوم. استدار وحدّق بأمل ملأ قلبه فجأة: إنقاذ، نجاة، حلم المنبوذ المستحيل، سفينة.

وبينما هو يشاهد ويحدّق بذهول واهتياج هبطت سفينة فضية طويلة عبر هواء الليل الدافئ بهدوء، من دون جلبة، تحررت أرجلها الطويلة بحركة باليه تكنولوجية هادئة.

حطّت على الأرض بلطف وتلاشت الهمهمة التي ولدتها، كأنها هدأت بسكون المساء.

تمدد منحدر منها، وفاض ضوء.

ظهر ظل جسم طويل على مدخلها، مشى إلى أسفل المنحدر ووقف أمام آرثر.

قال ببساطة: «أنت أحمق يا دينت».

كان غريباً جداً، كان طوله غريباً ومميزاً، ووجهه مسطّحاً بشكل غريب ومميز، عيناه صغيرتان وضيقتان بشكل غريب ومميز، ثوبه باهظ الثمن بضفائر ذهبية وياقة ذات تصميم غريب ومميز، وبشرته شاحبة رمادية-مخضرّة غريبة تميّزت بتألق لامع لا يمكن أن يكون لمعظم أصحاب الوجوه الرمادية-المخضرّة من دون الكثير من التدريب والصابون باهظ الثمن.

أجفل منه آرثر.

نظر إلى آرثر نظرة اتهام.

اندثرت مشاعر الأمل والخوف الأوليّة لدى آرثر مباشرة بعد أن غمرها الذهول، فراحت تتصارع الأفكار بمختلف أنواعها لتستخدم حباله الصوتية في هذه اللحظة.

قال: «ماااا...؟»

أضاف: «لـ... كـ... كـ»...

تمكن في النهاية من قول: «أيـ ... يـ... ما... من؟» وزلّ في صمت وهو مهتاج. شعر بتأثير أنه لم يقل شيئاً لأي أحد منذ زمن طويل.

عبس المخلوق الغريب لوهلة وراجع ما بدا أنه نوع من أنواع الألواح يحمله في يده النحيلة والطويلة بشكل غريب.

قال المخلوق: «آرثر دينت؟»

أومأ آرثر برأسه يائساً.

تابع الغريب بنوع من الثرثرة الفعّالة: «آرثر فيليب دينت؟»

أكد له آرثر قائلاً: «إيـ... إيـ... نعم... إيـ... إيـ ،»

كرر الغريب: «أنت أحمق، وأخرق بشكل كامل».

-«إيـ»...

أومأ المخلوق برأسه، دق دقّة غريبة ومميزة على لوحه واستدار بنشاط نحو السفينة.

قال آرثر بيأس: «إيـ... إيـ»...

قاطعه الغريب: «لا تتفوّه بذلك!» وصعد المنحدر، عبر المدخل واختفى داخل السفينة. أغلقت السفينة نفسها وبدأت تصدر أصوات همهمة مرتجفة.

صرخ آرثر: «إيه ، هيه!» وراح يركض نحوها بيأس.

صاح منادياً: «انتظر لحظة! ما هذا؟ ماذا؟ انتظر لحظة!»

ارتفعت السفينة وهي تفصل وزنها عن الأرض كأنها عباءة. حامت لوهلة وارتفعت بشكل غريب في سماء الليل، مضت إلى الأعلى عبر الغيوم مضيئة إياهم لوهلة ومن ثم اختفت، تاركة آرثر وحيداً في أرض متسعة يرقص رقصة صغيرة بيأس.

صاح: «ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ هيه، ماذا؟ ارجع إلى هنا وقل ذلك!»

قفز آرثر ورقص حتى ارتجفت ساقاه، وصاح حتى راحت رئتاه تصدران صوتاً خشناً. لم يكن هنالك من مجيب، ولم يوجد من يستمع إليه أو يكلّمه.

كانت السفينة الغريبة تهدر الآن باتجاه الأطراف العليا من الغلاف الجوّي، في طريقها إلى الفراغ المرعب الذي يفصل الأشياء القليلة الموجودة في الكون عن بعضها.

اتكأ راكب السفينة – الغريب ذو البشرة الغالية – إلى الخلف في مقعدها الوحيد. كان اسمه (واوباغار الممدد له بشكل لا محدود)[1]. كان رجلاً بهدف، ليس بالهدف الجيد، إذ إنه كان أول من يعترف بذلك، لكنه كان في الأقل هدفاً يبقيه حيّاً.

---

(١) Wowbagger The Infinitely Prolonged

كان واوباغار الممدد له بشكل لا محدود، واحداً من مخلوقات الكون الخالدة القليلة.

عرف الذين ولدوا خالدين كيفية التعامل مع الأمر غريزياً، لكن واوباغار لم يكن واحداً منهم، بالطبع، فلقد كره في النهاية أولئك الجليلين اللعينين. لقد فُرِضَ عليه خلوده خلال حادث مأساوي مع مسرّع ذرّات لامنطقي، وجبة غداء سائلة وزوج من الربطات المطاطية. التفاصيل الدقيقة للحادث ليست مهمة لأنه لم يتمكن أحد على الإطلاق من استنساخ الظروف التي حصل فيها، وانتهى الأمر بالعديد من الناس بأن أصبحوا بلهاء، أو ميتين، أو الاثنين معاً وهم يحاولون.

أغمض واوباغار عينيه وقد بدت عليه سيماء الضجر والكآبة، وضع بعض موسيقا الجاز الخفيفة على نظام السفينة الصوتي وتفكّر في أنه كان لينجح في الأمر لولا بعد ظهر أيام الأحد، كان لينجح الأمر.

في البداية، كان الأمر ممتعاً، كانت لديه الجرأة، يعيش على نحو خطر، يجازف، يحصد الكثير من الاستثمارات عالية الإنتاج وطويلة الأمد، وبنحو عام يعيش أكثر من الجميع بكثير.

في النهاية، ما لم يستطع تحمّله هو بعد ظهر أيام الأحد، وذلك الكسل الرهيب الذي يبدأ نحو الساعة ٢:٥٥، عندما تدرك بأنك استحممت كل الاستحمامات المفيدة التي يمكنك أن تستحمّها في ذلك اليوم، وبأنك مهما ركّزت وأنت تحدّق إلى أي نص في الأوراق فإنك لن تقرأه، أو تستخدم تقنية التشذيب الثورية الجديدة التي يتحدث عنها، وأنه بينما أنت تحدّق إلى

الساعة سيتحرك العقربان بقسوة إلى الساعة الرابعة، وستدخل في (وقت شاي الروح الطويل والمظلم).

بدأت الأشياء تصبح مملة لديه، فراحت ابتسامات البهجة التي كانت ترتسم على وجهه في جنازات الناس الآخرين تذوي. بدأ يكره الكون على نحو عام، وكل من فيه على نحو خاص.

عند هذه المرحلة فهم هدفه، الشيء الذي سيدفعه إلى الأمام، الذي، بحسب ما يدركه، سيدفعه إلى الأمام إلى الأبد، وكان التالي.

سيهين الكون.

إذ إنه سيهين كل واحد فيه، فرداً فرداً، شخصياً، واحداً تلو الآخر، والشيء الصعب الذي قرر فعله هو أن يتم الأمر بالتسلسل الأبجدي.

لما كان الناس يحتجون عليه، كما هي عادتهم، بأن الخطة ليست ضالة فحسب بل مستحيلة بسبب عدد الناس الذين يولدون ويموتون على مدار الساعة، كان ينظر إليهم نظرة فولاذية ويقول: «يمكن للمرء أن يحلم، أليس كذلك؟»

وهكذا بدأ، فجهّز سفينة متينة بحاسوب قادر على أداء جميع عمليات حوسبة البيانات المتعلقة بمتابعة عدد السكان في الكون المعروف، ومعرفة جميع المسالك المعقّدة لهذا الأمر.

طارت سفينته عبر المدارات الداخلية لنظام سول الشمسي، مستعدة للتسارع بقوة الجاذبية حول الشمس، ومن ثم قذف نفسها في الفضاء ما بين النجوم.

قال: «حاسوب».

صاح الحاسوب: «حاضر».

- «أين وجهتنا التالية؟»

- «أحسب ذلك».

حدّق واوباغار لوهلة إلى جواهر الليل الرائعة، مليارات الكواكب الألماسية الصغيرة التي انتشرت مضيئة أرجاء الظلمة اللامحدودة. كان كل واحد من هذه الكواكب في يوميّات رحلاته، سيزور معظمها ملايين المرات.

تخيّل لوهلة أن يوميات رحلاته تقوم بتوصيل كل النقاط في السماء مثل أحجية النقاط المرقّمة عند الأطفال. تمنى أن يُرى ذلك، من نقطة مواتية في الكون، فيهجي كلمة بذيئة جداً جداً.

أصدر الحاسوب نغمة مزعجة ليدل على أنه أنهى حساباته.

قال: «فولفانغا،» وأصدر نغمة.

تابع قائلاً: «الكوكب الرابع من نظام فولفانغا،» أصدر نغمة مجدداً.

تابع مضيفاً: «زمن الرحلة المقدّر، ثلاثة أسابيع،» أصدر نغمة مجدداً.

«هنالك ستلتقي بيرقانة صغيرة،» أصدر نغمة، «من نوع آ-رث-رف-يل-يبدينو».

أضاف بعد توقف قصير أصدر نغمة خلاله: «أعتقد أنك قررت أن تناديها "قفاً أبله"».

خار واوباغار، وراقب عظمة الخلق خارج نافذته للحظة أو لحظتين.

قال: «أظنني سآخذ قيلولة،» ثم أضاف، «ما هي شبكات التلفزة التي سنعبر مناطقها في الساعات القليلة القادمة؟»

أصدر الحاسوب نغمة وقال: «كوزموقيد، ثينكبيكس وهوم برين بوكس،» وأصدر نغمة.

- «هل من أفلام لم أشاهدها ثلاثين ألف مرّة حتى الآن؟»

- «لا».

- «آه».

- «"هنالك قلق في الفضاء"، شاهدت ذلك ثلاثاً وثلاثين ألفاً وخمسمئة وسبع عشرة مرة فقط».

- «أيقظني في القسم الثاني».

أصدر الحاسوب نغمة وقال: «نم جيداً».

طارت السفينة عبر الليل.

بدأ هطول المطر في هذه الأوقات على الأرض، وجلس آرثر دينت في كهفه، وقضى واحدة من أردأ أمسيات حياته على الإطلاق، مفكراً في أشياء كان يمكن أن يقولها للغريب ويضرب الذباب، الذي أيضاً كان يمضي ليلة رديئة.

صنع لنفسه في اليوم التالي حقيبة من جلد أرنب لأنه ظن بأنها ستكون مفيدة للاحتفاظ بالأشياء في داخلها.

الفصل الأول

كان هذا الصباح – بعد سنتين من تلك الحادثة – حلواً ومعطراً مع خروج آرثر من الكهف الذي أسماه بيتاً ريثما يفكر في اسم أفضل له أو يجد كهفاً أفضل منه.

فجأة أصبح في مزاج رائع، على الرغم من ألم حنجرته الذي تسببت به صيحة الذعر الصباحية. لفّ ثوبه التّالف حول جسمه بحزم وابتسم للصباح المضيء.

كان الهواء نقياً ومعطراً، ورفرفت النسمات برشاقة عبر الأعشاب الطويلة حول كهفه، وكانت الطيور تزقزق لبعضها، والفراشات ترفرف في الأرجاء على نحو جميل. بدا أن الطبيعة كلها تتعاون لتكون بألطف شكل ممكن.

وعلى الرغم من ذلك فإن السبب خلف شعور آرثر بالمرح الشديد لم يكن كل تلك المباهج الريفية، بل كان أنه طرأت له فكرة رائعة حول كيفية التعامل مع هذه العزلة الموحشة بشدة، والكوابيس، وفشل كل محاولاته في علم زراعة البساتين، وعبثية حياته المحضة وخلوّها من الطموح هنا على أرض ما قبل التاريخ، لذلك قرر أن يُجنّ.

ابتسم مجدداً وقضم رجل أرنب من بقايا العشاء، مضغ لبضع لحظات بسعادة ومن ثم قرر أن يعلن قراره رسمياً.

انتصب واقفاً ونظر بصلابة إلى العالم بحقوله وتلاله، وضع عظمة الأرنب في شعره ليضيف أهمية إلى كلماته، ومدّ ذراعيه على طولهما.

أعلن قائلاً: «سوف أجنّ!»

قال فورد بريفيكت: «فكرة جيدة،» وهو يهبط من على صخرة كان يجلس عليها.

تشقلب دماغ آرثر وأدّى فكاه تمرين الضغط.

قال فورد: «جنّ جنوني لبعض الوقت، ولم ينفعني الأمر في نهاية المطاف».

قال فورد: «كما تعلم»...

قاطعه آرثر: «أين كنت؟» بعد أن انتهى رأسه من التمرين.

قال فورد: «في الأرجاء والجوار». وكشّر تكشيرة قدّر بدقة أنها سلوك مغيظ. «لقد أعفيت عقلي من صعاب الأمور لوهلة، أفترض أنه إن أرادني العالم بشدة فسوف يناديني، وهذا ما فعله».

أخرج من محفظته، التي أصبحت ممزقة وبالية، جهاز السب-إيثا سينس-و-ماتيك.

قال: «في الأقل، أظن أنه ناداني، فهذه لا تعمل بصورة سليمة، إن كان إنذاراً كاذباً فسأجنّ، مجدداً».

هزّ آرثر رأسه وجلس، نظر إلى الأعلى وقال ببساطة: «اعتقدت أنك متّ»...

قال فورد: «وأنا أيضاً، لفترة من الوقت، من ثم قررت أنني ليمونة لمدة أسبوعين، وألهيت نفسي كل ذلك الوقت بالقفز في مشروبات الجن والتونيك».

أحّ آرثر، ثم أحّ مجدداً وقال: «أين، وجدت....؟»

قال فورد بابتهاج: «مشروبات الجن والتونيك؟ وجدت بحيرة صغيرة كانت تظن أنها مشروبات الجن والتونيك، فرحت أقفز فيها. على الأقل أظن أنها ظنت أنها مشروبات الجن والتونيك».

قال: «من الممكن أنني كنت أتخيل ذلك». وكشّر تكشيرة يمكن لها أن تجعل الرجال العاقلين يفرّون إلى الأشجار.

انتظر ردة فعل من آرثر، لكن آرثر كان أذكى من ذلك.

قال آرثر على نحو اتّهامي: «تابع».

قال فورد: «القصد من ذلك، كما ترى، أنه لا جدوى من أن تجنّ لتحاول إيقاف نفسك من الجنون. يمكنك أن تستسلم وتحتفظ بعقلانيّتك لوقت لاحق».

قال آرثر: «وأنت الآن عاقل من جديد، ألست كذلك؟ أسأل لمجرد العلم بالأمر».

قال فورد: «ذهبت إلى أفريقيا».

- «نعم؟»

- «نعم».

- «كيف كان ذلك؟»

قال فورد: «وهذا كهفك أليس كذلك؟»

قال آرثر: «إيـ ، نعم». شعر بأنه غريب، بعد أربع سنوات تقريباً من العزلة التامة كان سعيداً جداً ومرتاحاً لرؤية فورد، حتى إنه كاد يبكي. إنما اتضح على الفور أن فورد من ناحية أخرى شخص مزعج.

قال فورد فيما خص كهف آرثر: «لطيف جداً، لا بد أنك تكرهه».

لم يتكبد آرثر عناء الردّ.

قال فورد: «كانت أفريقيا مثيرة للاهتمام، كان سلوكي غريباً جداً هناك».

حدّق متأملاً الأفق.

قال برقّة: «لقد قبلت على نفسي أن أكون قاسياً مع الحيوانات، لكن كهواية فقط».

قال آرثر بملل: «آه، نعم».

أكّد له فورد قائلاً: «نعم، لن أزعجك بالتفاصيل لأنها سوف»...

- «ماذا؟»

- «تزعجك. لكن قد يهمك أن تعرف أنني مسؤول بمفردي عن الشكل المتطور للحيوان الذي ستعرفه في الألفيات القادمة بأنه زرافة. حاولت أن أتعلم الطيران. هل تصدقني؟»

قال آرثر: «أخبرني».

- «سأخبرك لاحقاً، سأذكر فقط أن الدليل يقول»...

- «ال...؟»

- «دليل، دليل المسافر إلى المجرة، ألا تذكره؟»

- «نعم أذكر رميه في النهر».

قال فورد: «نعم، لكنني سحبته من الماء».

- «لم تخبرني».

- «لم أرد أن ترميه مجدداً».

اعترف آرثر قائلاً: «حسناً فعلت، يقول؟»

- «ماذا؟»

- «يقول الدليل؟»

قال فورد: «يقول الدليل إن هنالك فنّاً للطيران، أو بالأحرى حيلة. تكمن الحيلة في تعلمك كيفية أن ترمي نفسك إلى الأرض ولا تصبها». ابتسم بضعف وأشار إلى ركبتي سرواله ورفع ذراعيه ليظهر مرفقيه، كانت كلها ممزقة وبالية.

قال: «لم أبل بلاء حسناً حتى الآن،» مد يده وأضاف: «أنا سعيد جداً برؤيتك مجدداً يا آرثر».

هزّ آرثر رأسه بنوبة من العاطفة والارتباك.

قال: «لم أر أحداً منذ سنوات، ولا أي أحد، يصعب علي حتى تذكر كيفية الكلام، لا أنفك أنسى كلمات، أنا أتدرب كما ترى، أتدرب بالحديث إلى... الحديث إلى... ما هي الأشياء التي يعتقد الناس أنك مجنون إن تحدثت إليها؟ مثل جورج الثالث؟»

اقترح فورد: «ملوك؟»

قال آرثر: «لا، لا، الأشياء التي كان يتحدث هو إليها. بحق السماء، إننا محاطون بها، زرعت المئات منها بنفسي، ماتت كلها. أشجار! أتدرب بالحديث إلى الأشجار. لِمَ تفعل ذلك؟»

كان فورد لا يزال ماداً يده، نظر إليها آرثر بعدم فهم.

حثّه فورد قائلاً: «مصافحة».

صافحه آرثر، بقلق في البداية، كأنه سيكتشف أن اليد ستتحول إلى سمكة، ثم أمسك بها بقوة بكلتا يديه بسيل عارم من الراحة، فصافح وصافح.

بعد وهلة وجد فورد أن من الضروري فك المصافحة. صعدا إلى قمة مرتفع صخري قريب وعاينا المشهد من حولهما.

سأل فورد: «ما الذي حصل للغولغافرينشانيين؟»

هز آرثر كتفيه وقال: «قضى الكثيرون منهم في الشتاء منذ ثلاثة أعوام، ومن تبقى منهم إلى فصل الربيع قالوا إنهم يحتاجون إلى عطلة، وانطلقوا على طوف. لا بد أنهم نجوا بحسب ما يقوله التاريخ»...

قال فورد: «ها، حسناً، حسناً». وضع يديه على وركيه ونظر حوله مجدداً في العالم الفارغ. على حين غرّة بدا أن هنالك حسّاً من الطاقة والغاية عند فورد الذي قال على نحو مثار: «سنذهب،» وارتجف من الطاقة.

قال آرثر: «أين؟ كيف؟»

قال فورد: «لا أعلم، لكنني أشعر بأن الوقت مناسب. ستحدث أشياء، نحن في طريقنا».

أخفض من صوته محوّلاً إياه إلى همسة وقال: «لقد اكتشفت اضطراباً في المزج». حدّق إلى الأفق بشدة وبدا أنه يحب أن تضرب الرياح شعره إلى الوراء بشكل درامي في هذه المرحلة، لكن الرياح كانت مشغولة في العبث ببعض الأوراق على مبعدة منهما.

طلب إليه آرثر أن يكرر ما قاله للتو لأنه لم يفهم ما قصده، فكرر فورد.

قال آرثر: «المزج؟»

قال فورد: «مزج الزمان والمكان،» وكشف عن أسنانه للرياح مع هبوبها المؤقت في تلك اللحظة.

أومأ آرثر برأسه ومن ثم أحّ.

سأل باحتراس: «هل نتكلم عن أحد أنواع الخلاطات الثوغونية، أو ما الذي نتحدث عنه؟»

قال فورد: «إيدي(١)، في سلسلة الزمان والمكان».

أومأ آرثر برأسه قائلاً: «آه، أهو كذلك؟ أهو كذلك؟» ودفع بيديه في جيب لباسه ونظر إلى الأفق بذكاء.

قال فورد: «ماذا؟»

قال آرثر: «إيه، من هو، هذا الإيدي، بالضبط؟»

نظر إليه فورد بغضب وقال بعنف: «هلّا استمعت إلى ما أقوله؟»

قال آرثر: «كنت أستمع، لكنني لست متأكداً من أن الأمر ساعدني».

---

(١) Eddie.

أمسك به فورد من طيات صدر ثوبه وكلّمه ببطء ووضوح وصبر، كأنه شخص من مديرية الحسابات في شركة هاتف.

قال: «يبدو... أنه هنالك كميّات... من التقلّب... في بنية»...

نظر آرثر بحماقة إلى قماش ثوبه حيث كان فورد يمسك به، فسحب فورد يده إلى الخلف قبل أن يتمكن آرثر من تحويل النظرة الحمقاء إلى ملاحظة تافهة وقال: «... في بنية الزمان والمكان».

قال آرثر: «آه، ذلك الأمر».

أكّد فورد: «نعم، ذلك الأمر».

وقفا هنالك وحيدين على تلة في أرض ما قبل التاريخ ونظرا في وجهي بعضهما بعزم.

قال آرثر: «وما الذي فعله ذلك الأمر؟»

قال فورد: «ذلك الأمر تسبب بإنشاء كميات من التقلّب في بنية».

قال آرثر: «أحقاً ذلك؟» ولم تضطرب عيناه لوهلة.

قال فورد بدرجة مماثلة من الثبات العيني: «حقاً».

قال آرثر: «جيد».

قال فورد: «هل فهمت؟»

قال آرثر : «لا».

كان هنالك توقف هادئ.

قال آرثر: «الصعوبة في هذه المحادثة،» وببطء كمتسلق جبال يتغلب على بروز صخري خطر، انسلّت إلى وجهه نظرة تأمّل، فتابع: «أنها مختلفة جداً عن معظم المحادثات التي أجريتها مؤخراً، والتي كما شرحت مسبقاً، كانت في معظمها مع أشجار. فلم تكن كهذه، ما عدا ربما بعض المحادثات التي أجريتها مع أشجار الدردار حيث كانت هذه المحادثات تواجه في الأحيان معوقات كبيرة».

قال فورد: «آرثر».

قال آرثر: «أهلاً؟ نعم؟»

- «صدّق كل ما أقوله لك فقط وسيكون الأمر في غاية البساطة».

- «آه، لست متأكداً من أنني أصدق ذلك».

جلسا وحضّرا أفكارهما.

أخرج فورد جهاز السب-إيثا سينس-و-ماتيك الذي كان يصدر همهمات مبهمة وضوؤه الصغير يومض بشكل ضعيف.

قال آرثر: «البطارية ضعيفة؟»

قال فورد: «لا، هنالك اضطراب متحرك في بنية الزمان والمكان، إيدي، كتلة من التقلّب، وهي في مكان ما إلى جوارنا».

- «أين؟»

حرّك فورد الجهاز بنصف دائرة متمايلة قليلاً. أومض الضوء فجأة.

قال فورد صائحاً ومشيراً: «هناك! هناك، خلف تلك الأريكة!»

نظر آرثر، ولمفاجأته، كان هنالك في الحقل أمامهما أريكة تشيسترفيلد مغطاة بقماش بيسلي ناعم. أجفل منها بذكاء، وقفزت إلى رأسه أسئلة عنيفة.

قال: «لم هنالك أريكة في ذلك الحقل؟»

صاح فورد وهو يقفز على قدميه: «لقد أخبرتك! إيدي في سلسلة الزمان والمكان!»

سأل آرثر: «وهذه أريكته أليس كذلك؟» وراح يكافح للوقوف على قدميه، وللعودة إلى رشده كما كان يأمل، لكن ليس بالكثير من التفاؤل.

صاح به فورد: «آرثر! إن تلك الأريكة موجودة هناك بسبب تقلّب الزمان والمكان، كنت أحاول مع دماغك المتسطح بشكل ميئوس منه كي يفهم الأمر. لقد أُلقيت خارج السلسلة، طُرحت للتخفيف من حمولتها في الزمان والمكان، لا تهم ماهيتها، علينا الإمساك بها، إنها سبيلنا الوحيد للخروج من هنا!»

اندفع بسرعة إلى أسفل البروز الصخري وانطلق عبر الحقل.

دمدم آرثر: «الإمساك بها؟» ومن ثم عبس بارتباك وهو يشاهد التشيسترفيلد تتمايل ببطء وتبتعد عبر الأعشاب.

بصيحة من الفرحة العارمة وغير المتوقعة قفز إلى أسفل الصخرة واندفع في مطاردة محمومة لفورد بريفيكت وقطعة الأثاث المجنونة.

انطلقا بحماس شديد عبر الأعشاب وهما يثبان ويضحكان ويصيحان بتوجيهات لبعضهما لملاقاة ذلك الشيء من هذه الجهة أو من تلك. لمعت الشمس بشكل حالم على الأعشاب المتمايلة وراحت حيوانات الحقل الصغيرة تتبعثر بشكل مجنون في مكان مرورهما.

كان آرثر يشعر بالسعادة. كان مسروراً بشدة لأن نهاره يمضي حسب الخطة بدقة لأول مرّة. منذ عشرين دقيقة مضت، كان قد قرر أن يجنّ، وهو الآن يلاحق أريكة تشيسترفيلد عبر حقول أرض ما قبل التاريخ.

تمايلت الأريكة هنا وهنا فبدت في وقت واحد صلبة مثل الأشجار وهي تنحرف إلى جوار بعض الأشجار، وغائمة كمنام غير واضح وهي تطوف مثل شبح عبر بعضها الآخر.

ركض فورد وآرثر خلف الأريكة على نحو مشوش، لكنّها راوغت وتمايلت كأنها تتّبع طوبوغرافيتها الدقيقة والمعقّدة، وهذا ما كانت تفعله. استمرا في ملاحقتها، واستمرت في الرقص والدوران حتى استدارت فجأة وانحدرت كأنها عبرت حافة خط بياني كارثي، وكانا عملياً على قمة هذه الحافة، وثبا عليها وهما يلهثان ويصيحان، وأومضت الشمس، وسقطا عبر فراغ مقزز، ثم ظهرا على نحو غير متوقع في منتصف مكان الكرة في ملعب لورد للكريكت، سانت جونز وود، لندن، قبل نهاية آخر مباراة وديّة من البطولة الأسترالية في عام ١٩٨٢، حيث كانت إنكلترا تحتاج إلى ثمانٍ وعشرين نقطة للفوز.

الفصل الثاني

حقائق مهمة من التاريخ المجرّي، رقم واحد:

(منسوخ من كتاب سيديريال ديلي مينشينر للتاريخ المجرّي المبسّط**.)**

سماء الليل فوق كوكب كريكت هي أقل المناظر إثارة في كل الكون**.**

الفصل الثالث

كان يوماً فاتناً وبهيجاً في ملعب لورد عندما تشقلب فورد وآرثر بشكل عشوائي من الشذوذ الحاصل في الزمان والمكان، واصطدما بقوة على المرج النظيف.

صفّق الحشد تصفيقاً هائلاً، لكن ليس لهما، وفي كل الأحوال، انحنيا غريزياً، وكان ذلك من حسن حظهما لأن الكرة الحمراء الثقيلة التي كان الحشد يصفق لها مرت مسرعة على بعد ميليمترات قليلة فوق رأس آرثر. كان هنالك رجل في الحشد أغمي عليه.

رميا نفسيهما مجدداً على الأرض التي بدت أنها تدور على نحو بشع حولهما.

هسهس آرثر: «ما كان ذلك؟»

هسهس له فورد: «شيء أحمر».

-«أين نحن؟»

-«إيه، في مكان أخضر».

دمدم آرثر: «أشكال، أحتاج إلى أشكال».

لهاث من الذهول تبع تصفيق الحشد بشكل سريع، ضحكات مكبوتة مربكة أتت من مئات من الأشخاص الذين لم يتمكنوا بعد من تحديد إن كانوا سيصدقون ما قد شاهدوه للتو أم لا.

قال صوت: «هل هذه أريكتك؟»

همس فورد: «ما كان ذلك؟»

نظر آرثر إلى الأعلى وقال: «شيء أزرق».

قال فورد: «وشكله؟»

نظر آرثر مجدداً.

هسهس لفورد وقد تجعد حاجباه بشكل كبير: «شكله يشبه رجل الشرطة».

للحظات ظلّا رابضين في مكانهما وهما يعبسان بشدة، وكزهما الشيء الأزرق الذي يشبه رجل الشرطة على كتفيهما وقال: «هيا، أنتما الاثنان، تعالا معنا».

كان لهذه الكلمات تأثير مكهرب على آرثر، فوثب على قدميه كمؤلّف سمع الهاتف يرن فأطلق سلسلة من النظرات المروَّعة على المشهد من حوله الذي استحال فجأة إلى شيء من الاعتيادية المفزعة.

صرخ في وجه الشكل الذي يشبه رجل الشرطة: «من أين حصلت على هذه؟»

قال الشكل المرتاع: «ما الذي قلته؟»

قاطعه آرثر: «هذا ملعب لورد للكريكت أليس كذلك؟ أين وجدته، كيف جلبته إلى هنا؟ أعتقد،» شبك يديه على جبينه وأضاف: «أنه من الأفضل لي أن أهدأ». وجثم بشكل مفاجئ أمام فورد.

قال: «إنه رجل شرطة، ما الذي نفعله؟»

هز فورد كتفيه وقال: «ما الذي تريد فعله؟»

قال آرثر: «أريدك أن تخبرني أنني كنت أحلم إبان فترة خمس السنوات الماضية».

هز فورد كتفيه مجدداً وأذعن قائلاً: «كنت تحلم إبان فترة خمس السنوات الماضية».

وقف آرثر على قدميه وقال: «حسناً أيها الضابط، كنت أحلم إبان فترة خمس السنوات الماضية، اسأله،» وأشار إلى فورد مضيفاً: «لقد كان هناك أيضاً».

بعد أن قال ذلك مشى الهوينى إلى حافة موضع رمي الكرة، وراح يمسّد ثوبه عندما انتبه إليه وتوقف. حدّق ثوبه. قذف بنفسه إلى رجل الشرطة وصرخ: «إذاً، من أين حصلتُ على هذه الملابس؟»

انهار آرثر وتمدد على العشب وهو يرتعش.

هزّ فورد رأسه وقال لرجل الشرطة: «لقد أمضى مليوني سنة قاسية،» وعمد مع رجل الشرطة إلى رفع آرثر إلى الأريكة، وحملاه بعيداً، فلم يعقهما سوى الاختفاء المفاجئ للأريكة.

ردود أفعال الحشد على كل ما حصل كانت عديدة ومتنوعة، لم يتحمّل العديد منهم مشاهدتها فاستمعوا إليها عبر المذياع عوضاً عن ذلك.

قال معلّق عبر المذياع لآخر: «حسناً، إنها حادثة مثيرة يا براين، لا أظنه حصل أي تشكّل غامض على أرضية الملعب منذ، آه منذ، حسناً لا أظن أن أي واحد قد حصل، أليس كذلك؟ حسبما أذكر؟»

- «إيدجباستون، ١٩٣٢؟»

- «آه، ما الذي حصل حينها»...

- «حسناً يا بيتر أظن أنها كانت مباراة تجمع بين فريق كانتر وفريق ويلكوكس حيث ركض متفرج على نحو مفاجئ عبر أرضية الملعب عندما كانت الكرة قادمة من جهة المبنى الخدمي».

كان هنالك توقف فكّر المعلق الأول في أثنائه في الأمر.

قال: «نـــــــع.....م.....، نعم لم يكن هنالك أي شيء غامض حيال ذلك، أليس كذلك؟ فهو لم يتشكّل، أليس كذلك؟ ركض فحسب».

- «لا، هذا صحيح، لكنه ادعى أنه شاهد شيئاً يتشكل على أرضية الملعب».

- «آه، حقاً؟»

- «نعم، تمساح، حسب ما أعتقد، من أحد الأنواع».

- «آه، وهل لاحظه أي أحد آخر؟»

- «كلا على ما يبدو، ولم يتمكن أحد من الحصول على وصف دقيق منه، لذلك لم يُجروا سوى البحث الروتيني المحض».

- «وما الذي حصل للرجل؟»

- «حسناً، أظن أن أحدهم عرض عليه الذهاب معه ليتناول وجبة غداء، لكنه شرح أنه قد سبق له تناول وجبة جيدة جداً، لذا جرى تجاهل الأمر برمّته وتابع فريق وورويكشاير ليفوز بثلاث ضربات».

- «فإذاً ليس مثل هذه الحالة بالتحديد. بالنسبة إلى متابعينا الذين انضموا إلينا للتو قد يهمكم أن تعرفوا أنّ... إيـ ، رجلين رثّي الملبس وأريكة، من نوع تشيسترفيلد كما أظن؟»

- «نعم، من نوع تشيسترفيلد».

- «قد تشكّلا هنا للتو في ملعب لورد للكريكت، لكن من دون أن يتسببا بأي ضرر، لقد تصرفا على نحو ودّي، و»...

- «معذرة يا بيتر، هل يمكنني مقاطعتك لوهلة وأقول إن الأريكة قد تلاشت للتو».

- «حسناً فَعَلَت، وهكذا يكون قد نقص عدد الأشياء الغامضة. ومع ذلك فإن ما حدث لا بد أن يدخل في كتب الأرقام القياسية كما أظن، بالتحديد حصوله في هذه اللحظة المثيرة من اللعبة، حيث تحتاج إنكلترا الآن إلى أربع وعشرين نقطة فقط للفوز في البطولة. يغادر الرجلان أرضية الملعب بصحبة ضابط شرطة، وأعتقد أن الجميع بدأ يهدأ الآن واللعبة توشك أن تُستأنف».

بعد أن شقا طريقهما عبر الحشد الفضولي ووضعا جسم آرثر الخامل بلطف على بطانية، قال رجل الشرطة: «الآن يا سيدي قد تتفضل بإخباري من أنتما، ومن أين أتيتما، وما المقصود بكل ما شهدناه؟»

نظر فورد إلى الأرض كأنه يستعد لأمر ما، من ثم اعتدل في وقفته ووجه نظرة إلى رجل الشرطة، فصدمته القوة الكاملة لكل إنش من مسافة الستمئة سنة ضوئية بين الأرض وموطن فورد بالقرب من بيتلجوس.

قال فورد بهدوء شديد: «حسناً، سأخبرك».

قال رجل الشرطة بسرعة: «حسناً، نعم، هذا ليس ضرورياً، فقط لا تدع ما حصل يحصل من جديد». استدار رجل الشرطة وتجوّل باحثاً عن أي أحد ليس من بيتلجوس، لحسن الحظ فلقد كانت الساحة ممتلئة بهم.

اقترب وعي آرثر من جسمه كأنه قادم من مسافة بعيدة وعلى مضض. فلقد أمضى هذا الوعي أوقاتاً صعبة في ذلك الجسم. دخل ببطء وتوتر واستقر في مكانه المعتاد.

جلس آرثر وقال: «أين أنا؟»

قال فورد: «في ملعب لورد للكريكت».

قال آرثر: «جيد،» وخرج وعيه مجدداً من أجل استراحة سريعة. ارتمى جسمه إلى الخلف على العشب.

بدأ اللون يعود إلى وجهه المنهك بعد عشر دقائق في حين هو منحن فوق كوب من الشاي في خيمة المشروبات.

قال فورد: «كيف تشعر؟»

قال آرثر بصوت أجش: «أنا في موطني». أغمض عينيه واستنشق بخاراً من الشاي الذي في كوبه بجشع كأنه شاي، وفيما خص آرثر فلقد كان شاياً.

كرر قائلاً: «أنا في موطني، موطني. إنها إنكلترا، إنه اليوم، انتهى الكابوس». فتح عينيه مجدداً وابتسم بهدوء، وقال بهمسة عاطفية: «أنا موجود حيث أنتمي».

قال فورد: «صادفني شيئان عليّ إخبارك بهما،» ورمى إليه بنسخة من صحيفة الغارديان عبر الطاولة.

قال آرثر: «أنا في موطني».

قال فورد: «نعم، واحد منهما،» وأشار إلى التاريخ في أعلى الصفحة، «أن الأرض ستُدَمَّر في غضون يومين».

قال آرثر: «أنا في موطني، شاي، كريكت،» وأضاف بسرور: «أعشاب مجزوزة، مقاعد خشبية، سترات كتانية بيضاء، عبوات بيرة»...

بدأ يركّز على الصحيفة ببطء، وأمال رأسه إلى جهة بعبسة صغيرة وقال: «رأيت هذه من قبل،» حامت عيناه ببطء إلى التاريخ في الأعلى حيث كان فورد ينقر بكسل. تجمّد وجه آرثر لثانية أو ثانيتين ومن ثم بدأ ينهار ببطء شديد كما تنهار صفائح الجليد في القطب الشمالي بشكل مثير إبان فصل الربيع.

قال فورد: «والشيء الآخر هو أنه يبدو أن لديك عظمة في لحيتك». وأعاد كوب الشاي إلى الطاولة.

كانت الشمس تتألق على حشد سعيد خارج خيمة المشروبات، تألقت على قبعات بيض ووجوه حمر، تألقت على مثلجات وأذابتها، تألقت على دموع أطفال صغار ذابت مثلجاتهم وسقطت عن أعوادها، تألقت على الأشجار وانعكست عن مضارب كريكت تدور بسرعة، وانعكست عن أجسام استثنائية تماماً كانت قد حطت خلف شاشات المشاهدة التي لم يبد

أن أحداً قد انتبه إليها. أشعت على فورد وآرثر اللذين خرجا من خيمة المشروبات وهما يغمضان أعينهما ويفتحانها، وعاينا المشهد من حولهما.

كان آرثر يرتجف، قال: «ربما عليّ أن»...

قال فورد بحدّة: «لا».

قال آرثر: «ماذا؟»

- «لا تجرب أن تتصل بنفسك في المنزل».

- «كيف عرفت...؟»

هز فورد كتفيه.

قال آرثر: «لكن لم لا؟»

قال فورد: «إن الذين يتكلمون مع أنفسهم عبر الهاتف لا يتعلمون أي شيء يفيدهم».

- «لكن»...

قال فورد: «انظر،» ورفع سماعة هاتف وهمية وضغط على أزرار وهمية.

قال فورد عبر السماعة الوهمية: «مرحباً؟ هل أنت آرثر دينت؟ آه، مرحباً، نعم، أنا آرثر دينت، لا تغلق السماعة».

نظر فورد بخيبة أمل إلى السماعة الوهمية وقال: «لقد أغلق السماعة». هز كتفه وأعاد الهاتف الوهمي بإتقان إلى علّاقته الوهمية. أضاف قائلاً: «هذا ليس أول شذوذ زماني أصادفه».

استبدلت النظرة الكئيبة على وجه آرثر بنظرة أشد كآبة وقال: «إذاً لم تتم مهمتنا بعد؟»

رد فورد قائلاً: «لا يمكن لنا أن نقول أننا بدأنا بها بعد».

استمرت اللعبة، اقترب اللاعب من الويكت بقفزة، ثم بهرولة، من ثم رَكَضَ وانفجر فجأة في شكل كومة من الأذرع والأرجل التي طارت منها كرة. استدار اللاعب الممسك بالمضرب وضرب الكرة إلى الخلف من فوق شاشات المشاهدة. تابعت عينا فورد مسار الكرة واهتزتا مؤقتاً. تصلّب فورد، وعاود النظر على طول مسار طيران الكرة فانتفضت عيناه مجدداً.

قال آرثر الذي كان ينقّب في حقيبة جلد الأرنب خاصته: «هذه ليست منشفتي».

قال فورد: «صه،» وكزّ على عينيه بتركيز.

تابع آرثر قائلاً: «كان لدي منشفة غولغافرينشية للهرولة، كان لونها أزرق وتتخللها نجوم صفر، وهذه ليست هي».

قال فورد مجدداً: «صه،» غطى إحدى عينيه ونظر بالأخرى.

قال آرثر: «هذه زهرية، إنها ليست منشفتك، أليس كذلك؟»

قال فورد: «أود لو تتوقف عن الحديث حول منشفتك».

أصرّ آرثر قائلاً: «هذه ليست منشفتي، هذه هي النقطة التي أحاول أن»...

تابع فورد بهدير منخفض: «والوقت الذي أود فيه أن تخرس حيال الأمر هو الآن».

قال آرثر: «حسناً». وبدأ يقحمها مجدداً في حقيبة جلد الأرنب بدائية الخياطة. «أدرك أنها في الأغلب ليست مهمة في المقياس الكوني للأمور، إن الأمر غريب فقط، هذا كل ما هنالك. على نحو مفاجئ منشفة زهرية عوضاً عن زرقاء بنجوم صفر».

بدأ فورد يتصرف على نحو أكثر غرابة، أو بالأحرى لم يبدأ بالتصرف بغرابة، بل بدأ يتصرف بطريقة مختلفة غريبة عن الطرائق الغريبة الأخرى في التصرف التي يستخدمها بانتظام أكثر. وكان يفعل التالي: بغض النظر عن تحديقات الذهول التي جرى تحريضها لدى أمثاله من أعضاء الحشد المتجمعين حول أرضية الملعب، كان فورد يشير بيديه بحركات حادة فوق وجهه، يحتجب خلف بعض الناس، ويثب خلف بعضهم الآخر، ومن ثمّ يقف ثابتاً وتطرف عيناه كثيراً. بعد هنيهة من كل ذلك، بدأ يمشي إلى الأمام ببطء وخلسة وقد علت وجهه عبسة تركيز مرتبكة، كأنه نمر ليس متأكداً إن كان قد رأى علبة طعام قطط نصف فارغة على بعد نصف ميل عبر أرض حارة ومغبرة.

قال آرثر فجأة: «هذه ليست حقيبتي أيضاً».

انكسرت تعويذة التركيز لدى فورد، فاستدار بغضب إلى آرثر.

قال آرثر: «لم أكن أتكلم عن منشفتي، لقد قررنا أن تلك لم تكن لي، أما الآن فإن الحقيبة التي كنت أضع فيها المنشفة التي ليست لي هي أيضاً ليست لي، على الرغم من التشابه الكبير. أنا شخصياً أظن أن ذلك غريب جداً، ولا سيما أن الحقيبة قد صنعتها بنفسي على أرض ما قبل التاريخ، وهذه أيضاً ليست حجارتي،» أضاف وهو يخرج بعض الحجارة الرمادية المسطحة

من الحقيبة: «كنت أجمع مجموعة من الحجارة المثيرة للاهتمام ومن الجليّ أن هذه الحجارة مملة جداً».

اهتز هدير من الإثارة عبر الحشد وطمس ما كان فورد قد ردّ به على المعلومة التي قالها آرثر. سقطت من السماء كرة الكريكت التي أثارت رد الفعل هذا وحطت بشكل مرتّب في حقيبة جلد الأرنب الغريبة الخاصة بآرثر.

قال آرثر: «أقول أيضاً إن هذا حدث غريب جداً». وأغلق الحقيبة بسرعة متظاهراً بأنه يبحث عن الكرة على الأرض.

قال آرثر لمجموعة من الصبية الصغار تجمعوا حوله بسرعة للمشاركة في البحث: «لا أظن أنها هنا، لا بد أنها تدحرجت إلى مكان ما، هناك كما أظن». وأشار على نحو مبهم إلى المكان الذي تمنى أن يندفعوا إليه.

نظر إليه أحد الصبية بفضول وقال: «هل أنت على خير ما يرام؟»

قال آرثر: «لا».

قال الصبي: «إذاً لم لديك عظمة في لحيتك؟»

قال آرثر: «أدربها كي تحب أي مكان توضع فيه». وافتخر بنفسه لقوله ذلك، ظن أن ما قاله هو بالتحديد ما يسلّي ويحثّ العقول الشابة.

قال الصبي الصغير: «أوه،» وأمال رأسه مفكراً في الأمر.

- «ما اسمك؟»

قال آرثر: «دينت، آرثر دينت».

قال الصبي: «أنت أحمق يا دينت، وأخرق تماماً». ونظر الصبي خلف آرثر إلى شيء آخر ليُظهِرَ أنه لم يكن مستعجلاً للهروب، ومن ثم ابتعد وهو يحكّ أنفه. تذكر آرثر فجأة أن الأرض ستدمر بعد يومين، وهذه المرة لم يشعر بالسوء حيال الأمر.

استمرت اللعبة بكرة جديدة، واستمرت الشمس بإشعاعها، واستمر فورد يقفز إلى الأعلى وإلى الأسفل وهو يهز رأسه ويطرف عينيه.

قال آرثر: «هنالك شيء في بالك أليس كذلك؟»

بنبرة صوت أصبح آرثر يعرف أنها تتنبأ بشيء غير واضح إطلاقاً قال فورد: «أظن أنه يوجد م.ش.آ هناك».

أشار فورد. ليزيد الأمر غرابة كان الاتجاه الذي أشار إليه غير الاتجاه الذي ينظر نحوه. نظر آرثر إلى الجهة حيث كانت شاشات المشاهدة، وإلى الأخرى حيث كانت ساحة اللعب، وأومأ برأسه، هز كتفيه، وهز كتفيه مجدداً.

قال: «ماذا؟»

- «م.ش.آ».

- «م...؟»

- «...ش.آ».

- «و ما ذلك؟»

- «مشكلة شخص آخر».

قال آرثر: «آه، جيد». واسترخى. لم يكن لديه أدنى فكرة عن معنى ذلك، لكن بدا أن الأمر قد انتهى. لكنه لم يكن كذلك.

قال فورد: «هناك». ومن جديد أشار إلى شاشات المشاهدة ونظر إلى الملعب.

قال آرثر: «أين؟»

قال فورد: «هناك!»

قال آرثر: «رأيت،» ولم يكن قد فعل.

قال فورد: «حقاً؟»

قال آرثر: «ماذا؟»

قال فورد بصبر: «هل يمكنك رؤية م.ش.آ؟»

- «أظنك قلت إنها مشكلة شخص آخر».

- «ذلك صحيح».

أومأ آرثر برأسه ببطء، بحذر، وبمسحة غباء هائلة.

قال فورد: «وأريد أن أعرف إن كنت تستطيع أن تراها».

- «هل تراها؟»

- «نعم».

قال آرثر: «كيف يبدو شكلها؟»

صاح فورد: «حسناً، كيف لي أن أعرف أيها الأحمق، إن كنت تراها أخبرني».

شعر آرثر بإحساس الخفقان الفاتر خلف صدغيه، الذي كان سمة مميزة لكثير من محادثاته مع فورد. اختبأ دماغه مثل جرو خائف في وجاره.

أمسك فورد بذراعه وقال: «م.ش.آ هي شيء لا نستطيع أن نراه، أو لا نراه، أو أن دماغنا لا يسمح لنا برؤيته، لأننا نظن أنه مشكلة شخص آخر، هذا ما يعنيه م.ش.آ، مشكلة شخص آخر، يحذفها الدماغ، إنها مثل النقطة العمياء، إن نظرت إليها مباشرة فلن تراها ما لم تعرف بالضبط ماهيتها. أملك الوحيد لمشاهدتها هو أن تلتقطها على نحو مفاجئ من زاوية عينيك».

قال آرثر: «آه، إذاً لهذا السبب»...

قال فورد الذي كان يعرف ما الذي سيقوله آرثر: «نعم».

- «.... كنت تقفز إلى الأعلى و»...

- «نعم».

- «... الأسفل، وتطرف عينيك»...

- «نعم».

- «... و»...

- «أظنك فهمت القصد».

قال آرثر: «أستطيع رؤيتها، إنها سفينة فضائية».

أذهلت آرثر لوهلة ردة الفعل التي أثارتها هذه المفاجأة، وانطلق صخب من الحشد، فراح الناس يركضون من كل الاتجاهات، يصرخون،

يصيحون، يسقطون فوق بعضهم في نوبة من الفوضى. تعثر آرثر إلى الخلف بذهول وألقى نظرة من حوله بخوف، ثم ألقى نظرة من حوله مجدداً بذهول أكبر.

قال شبح: «الأمر مثير، أليس كذلك؟» تذبذب الشبح أمام عيني آرثر على الرغم من كون حقيقة الأمر أن عيني آرثر كانتا تتذبذبان أمام الشبح، ارتعش فمه أيضاً.

قال فمه: «م... م... م... م...»...

قال الشبح: «أظن أن فريقك قد فاز للتو».

كرر آرثر: «م... م... م... م...» وقد قاطع كل ارتعاشة بوكزة على ظهر فورد. كان فورد يحدق خائفاً نوبة الفوضى.

قال الشبح: «أنت إنكليزي ألست كذلك؟»

قال آرثر: «م... م... م... م... نعم».

«حسناً، كما قلت لك، فإن فريقك قد فاز للتو، فاز بالمباراة، هذا يعني أنهم احتفظوا باللقب. لا بد أنك مسرور جداً. أعترف بأنني مولع جداً بالكريكت، على الرغم من أنني لا أحب أن يسمعني أحد من خارج هذا الكوكب أتفوّه بذلك، يا للهول لا».

ابتسم الشبح ابتسامة بدت خبيثة، لكن من الصعب معرفة ذلك لأن الشمس كانت خلفه مباشرة حاجبة وجهه بهالة حول رأسه أضاءت شعره الفضي ولحيته بطريقة رائعة ومثيرة ومن الصعب أن تصلح للابتسامات الخبيثة.

قال: «ومع ذلك سينتهي كل شيء في غضون يومين، أليس كذلك؟ مع أنني، كما أخبرتك عندما التقينا، متأسف جداً لذلك، فإن ما سيحصل، سيحصل».

حاول آرثر أن يتكلم، لكنه استسلم في هذا الصراع غير المتكافئ، فوكز فورد من جديد.

قال فورد: «اعتقدت أن شيئاً رهيباً قد حصل، لكنها نهاية اللعبة فحسب، علينا الخروج، آه، مرحباً يا سلارتيبارتفاست، ما الذي تفعله هنا؟»

قال العجوز برزانة: «آه، إنني أتسكع، أتسكع».

- «هل تلك سفينتك؟ هل تستطيع أن تقلّنا إلى مكان ما؟»

استحثه العجوز قائلاً: «صبراً، صبراً».

قال فورد: «حسناً، كل ما في الأمر أن الكوكب سيتدمر عمّا قريب».

قال سلارتيبارتفاست: «أعرف ذلك».

قال فورد: «و، حسناً، أردت فقط أن أوضح تلك الفكرة».

- «وضحت الفكرة».

- «وإن كنت تشعر بالرغبة في أن تتسكع عند ملعب كريكت في هذه المرحلة»...

- «أريد ذلك».

- «فهي سفينتك».

- «هي كذلك».

- «هذا ما افترضته». واستدار فورد بحدة عند هذا الحد.

قال آرثر في النهاية: «مرحباً يا سلارتيبارتفاست».

قال سلارتيبارتفاست: «مرحباً أيها الأرضيّ».

قال فورد: «في النهاية، لا يمكننا الموت سوى مرة واحدة».

تجاهل العجوز هذه الملاحظة وحدّق إلى الملعب بشدة، بعينين متقدتين بتعبيرات ليس لها علاقة واضحة بما يحدث هناك. وما كان يحدث هو أن الحشد كان يتجمّع في دائرة كبيرة حول منتصف الملعب. لم يعرف أحد ما في تلك الدائرة غير سلارتيبارتفاست.

كان فورد يهمهم بشيء، كانت نغمة موسيقية واحدة متكررة، كان يأمل أن يسأله أحد ما الذي يهمهم به، لكن لم يسأله أحد. لو سأله أحد كان سيجيب بأنه يهمهم مراراً وتكراراً بالسطر الأول من أغنية نويل كاوارد التي تدعى «مفتون بالصبي».

عندئذ كان سيُنبَّه إلى أنه يغني نغمة واحدة، عندها كان سيجيب بأنه لأسباب، كان يأمل أن تكون واضحة، كان يحذف مقطع «بالصبي». كان منزعجاً أن أحداً لم يسأل.

انفجر في النهاية قائلاً: «كل ما في الأمر أننا إن لم نذهب بسرعة فقد نعلق من جديد، ولا شيء يحزنني أكثر من رؤية كوكب يجري تدميره، ما عدا احتمالية بقائي عليه في حين يجري تدميره، أو،» وأضاف بصوت خفيض «التسكع في مباريات الكريكت».

قال سلارتيبارتفاست مجدداً: «صبراً، ستحدث أمور عظيمة».

قال آرثر: «هذا ما قلته في آخر مرة التقينا فيها».

قال سلارتيبارتفاست: «و ذلك ما حصل».

أقر آرثر: «نعم، هذا صحيح».

لكن ما بدا أنه سيحدث كان نوعاً من أنواع المراسم. لقد تم تقديمه ليكون مناسباً للتلفزة أكثر من المشاهدين، وكل ما تمكنوا من معرفته حول الأمر سمعوه من مذياع قريب. كان فورد غير مهتم إطلاقاً.

لقد أُغيظ عندما سمع أنهم أوشكوا أن يقدموا الكأس إلى قائد الفريق الإنكليزي في الملعب، استشاط غضباً عندما أُخبر أن السبب في ذلك يعود إلى أنهم فازوا للتو بعدد لا يحصى من المرات، واشتد انزعاجه لمعرفته أن الكأس هي عبارة عن بقايا عارضة كريكت، وبالإضافة إلى ذلك عندما طُلب إليه أن يلمّ بحقيقة أن عارضة الكريكت المقصودة أُحرقت في ملبورن، أستراليا عام ١٨٨٢، للتعبير عن «موت الكريكت الإنكليزي»، استدار إلى سلارتيبارتفاست، وأخذ نفساً عميقاً لكنه لم يتمكن من قول أي شيء لأن العجوز لم يكن موجوداً. كان يمشي إلى الملعب وفي مشيته تصميم رهيب، ارتد ثوبه وشعره ولحيته إلى الخلف، فبدا مثل ما كان لموسى أن يبدو لو كانت سيناء قطعة من المرج الأخضر بدلاً من كونها جبلاً دخانياً متقداً كما يجري تصويرها عادة.

قال آرثر: «لقد أشار إلى أن نلاقيه عند سفينته».

انفجر فورد غاضباً: «باسم 'الزاركينغ فاردواركس'، ما الذي يفعله ذلك العجوز الأخرق؟»

قال آرثر: «يلاقينا عند سفينته في غضون دقيقتين». وهز كتفيه بطريقة دلت على غياب تام لأي فكرة. انطلقا باتجاه السفينة، ووصلت إلى مسامعهما أصوات غريبة. حاولا ألا يستمعا لكنهما لم يستطيعا عدم ملاحظة أن سلارتيبارتفاست كان يطالب بإلحاح أن يُعطى الكأس التي تحتوي على الرماد لأنه، كما قال: «ذو أهمية حيوية لأمان المجرة في الماضي والحاضر والمستقبل،» وكان ذلك يتسبب بصخب جامح. فقررا تجاهل الأمر.

لكنهما لم يتمكنا من تجاهل ما حصل لاحقاً، بصوت يشبه صوت مئة ألف شخص يقولون «ووب» بدا أن سفينة فضائية فولاذية بيضاء تشكلت فجأة من العدم في الهواء فوق ملعب الكريكت مباشرة وتعلقت هناك متوعدة وهي تهمهم همهمة خفيفة.

عند ذلك ولوهلة لم تفعل أي شيء، كأنها توقعت من الجميع أن يتابعوا أعمالهم الاعتيادية وألا يهتمّوا بتعلقها هناك.

ومن ثم، فعلت شيئاً استثنائياً إلى حد بعيد. أو بالأحرى انفتحت وتركت شيئاً استثنائياً إلى حد بعيد يخرج منها، أحد عشر شيئاً استثنائياً إلى حد بعيد.

كانت روبوتات بيضاء.

لم يكن الشيء الاستثنائي حيالها أنه بدا عليها أنها ترتدي زيّاً للمناسبة. لم تكن بيضاً فحسب، بل كانت تحمل ما بدا أنه مضارب كريكت، وليس ذلك فحسب، لكنها حملت أيضاً ما بدا أنه كرات كريكت، وليس ذلك فحسب، بل كانت ترتدي بطانات مضلّعة حول الأجزاء السفلية من

أقدامها. هذه الأخيرة كانت استثنائية لأنها كما يبدو تحتوي محركات نفاثة سمحت لهذه الروبوتات المتحضّرة على نحو غريب بالطيران إلى الأسفل من سفينتها الحائمة والبدء بقتل الناس، وذلك ما فعلته.

قال آرثر: «مرحباً، يبدو أن شيئاً ما يحدث».

صرخ فورد: «انطلق إلى السفينة، لا أريد أن أعرف، لا أريد أن أرى، لا أريد أن أسمع،» وتابع صائحاً وهو يركض: «هذا ليس كوكبي، لم أختر أن أكون هنا، لا أريد أن أتدخل، أخرجني من هنا وحسب، وخذني إلى حفلة، مع أناس أستطيع التفاهم معهم!»

هبّ الدخان واللهب من الملعب.

ثرثر مذياع وحده بسعادة: «حسناً، من المؤكد أن الفرقة الخارقة للطبيعة تبدو بكامل قوتها هنا اليوم»...

صرخ فورد ليوضّح ملاحظاته السابقة: «ما أحتاجه هو شراب قوي ومجموعة من الناس أمثالي». وتابع يركض متوقفاً لوهلة فقط كي يمسك بذراع آرثر ويجرّه معه. تبنى آرثر دوره الاعتيادي في الأزمات، الذي كان أن يقف وفمه مفتوح يسيل منه اللعاب.

دمدم آرثر قائلاً: «إنهم يلعبون الكريكت،» وهو يتعثر بخطواته خلف فورد. «أقسم إنهم يلعبون الكريكت، لا أعرف لمَ يفعلون ذلك، لكن هذا ما يفعلونه. إنهم لا يقتلون الناس وحسب، إنهم يرسلوننا إلى الأعلى،» وصاح: «فورد، إنهم يرسلوننا إلى الأعلى!»

من الصعب عدم تصديق ذلك من دون معرفة أكثر بالتاريخ المجرّي مما جمعه آرثر في أثناء ترحاله. بدا أن الأشكال الشبحية العنيفة، التي ظهرت

وهي تتحرك عبر حجب الدخان، تقوم بسلسلة من المحاكاة الغريبة للضربات في المضارب، ويمكن الاختلاف في أن كل كرة ضربوها كانت تنفجر أينما سقطت. بددت أول هذه الكرات رد فعل آرثر الأولي حول أن كل ما يحدث كان عبارة عن حيل دعائية من قبل أصحاب معامل السمن الأسترالي.

وبعد ذلك انتهى كل شيء بالسرعة التي بدأ بها. صعدت الروبوتات الأحد عشر البيض عبر السحابة الهائجة بتشكيل بارع، وبعد بعض الومضات الملتهبة دخلت أحشاء سفينتها البيضاء الحائمة التي أصدرت صوتاً كصوت مئة ألف شخص يقولون: «فووب» ثم اختفت من غير إبطاء في الهواء الذي ظهرت منه.

للحظة، كان هنالك صمت رهيب مذهل، ومن ثم ظهر جسم سلارتيبارتفاست الشاحب من الدخان المتدفق وهو يبدو أكثر مثل موسى لأنه، وعلى الرغم من استمرار غياب الجبل، فلقد كان في الأقل يخطو عبر مرج دخاني ومتقد ومجزوز بشكل جيد.

نظر حوله بتمعن حتى رأى جسمي آرثر دينت وفورد بريفيكت المستعجلين وهما يشقان طريقهما عبر الحشد المرتعب الذي كان في هذه اللحظة يفر مذعوراً في الاتجاه المعاكس. كان الحشد يفكر في الأحداث الغريبة التي شهدها هذا اليوم وهم لا يعرفون بحق إلى أي جهة، إن وجدت، يتجهون.

كان سلارتيبارتفاست يؤشّر بإلحاح إلى فورد وآرثر ويصيح لهما، ومع تقارب الثلاثة التدريجي من السفينة التي لا تزال مركونة خلف شاشات المشاهدة، والتي لم يلاحظها الحشد الفارّ من جانبها حيث يفترض أن لديه كفايته من المشكلات ليتغلب عليها في ذلك الوقت.

صاح سلارتيبارتفاست بصوته المرتجف: «لقد شوّشوا وغرّدوا التغريدات!»

لهث فورد وهو يدفع الناس بمرفقه ويشق طريقه: «ما الذي قاله؟»

هز آرثر رأسه وقال: «لقد قاموا... بشيء أو بآخر».

صرخ سلارتيبارتفاست من جديد: «لقد جدولوا وغرّدوا التغريدات!»

هز فورد وآرثر رأسيهما لبعضهما.

توقف آرثر وصاح قائلاً: «يبدو أمراً ملحّاً».

- «ماذا؟»

صاح سلارتيبارتفاست: «لقد شوّشوا وغرّدوا المشكلات!» وهو لا يزال يلوح لهما.

قال آرثر: «إنه يقول إنهم أخذوا الجوائز، هذا ما أظنه يقوله». واستمر يركض.

قال فورد: «ال...؟»

قال آرثر بإيجاز: «جوائز، بقايا عوارض الكريكت المحروقة. إنها ميدالية. ذلك»... كان يلهث، «ما... يبدو... أنهم... أتوا وأخذوه». وهزّ رأسه على نحو طفيف كأنه يحاول أن يجعل دماغه يستقر أسفل جمجمته.

تكلم فورد بسرعة: «شيء غريب ما يريد إخبارنا به».

- «شيء غريب ليؤخذ».

- «سفينة غريبة».

وصلا إليها، ثاني أغرب شيء حول السفينة كان مشاهدة كيفية عمل حقل «مشكلة شخص آخر». تمكنا من رؤية السفينة بصورتها الحقيقية لأنها

ببساطة عرفا أنها موجودة. ومع ذلك كان من الواضح أنه لم يتمكن أحد آخر من رؤيتها. لم يكن ذلك لأنها خفيّة في الواقع أو شيء مستحيل مثل ذلك. إن التقنية المستخدمة في جعل أي شيء خفي معقدة على نحو غير محدود إلى درجة أن تجاهلها أبسط وأنجع بتسعمئة وتسعة وتسعين ألف مليون، وتسعمئة وتسعة وتسعين مليون وتسعمئة وتسعة وتسعين ألفاً وتسعمئة وتسع وتسعين مرة من بليون. ادعى العالم الساحر الشهير جداً إيفرافاكس من كوكب ووغ ذات مرة أنه يراهن بحياته على أنه سيتمكن من إخفاء جبل ماغرامال العظيم بالكامل في غضون سنة.

بعد أن أمضى معظم السنة متبختراً في لاكس-و-ڤالڤز هائلة وريفراكتو-ناللبفايرز وسبيكتروم-باياس-و-ماتيك، أدرك قبل انقضاء المهلة بتسع ساعات أنه لن ينجح في الأمر.

لذا قام هو وأصدقاؤه، وأصدقاء أصدقائه، وأصدقاء أصدقاء أصدقائه، وأصدقاء أصدقاء أصدقاء أصدقائه، وأشخاص آخرون أقل صداقة بهم اتفق أن لديهم شركة شحن نجمية كبيرة، قاموا بما يعرف الآن بأصعب عمل ليلي في التاريخ، وفي اليوم التالي، بكل تأكيد، كان ماغرامال غير مرئي. خسر إيفرافاكس رهانه، وبذلك خسر حياته، لسبب بسيط هو أن أحد موظفي المحاكم المتحذلقين لاحظ أنه: **(أ)** عند المشي في المنطقة التي ينبغي أن يوجد فيها ماغرانال لم يتعثر أو يكسر أنفه أو أي شيء، و**(ب)** وجود قمر إضافي مريب.

إن حقل مشكلة شخص آخر أكثر بساطة وفاعلية بشكل كبير، أضف إلى أنه يمكن تشغيله لأكثر من مئة سنة ببطارية ذات مشعل واحد. ذلك

لأنه يعتمد على نزعة الناس الطبيعية لعدم رؤية ما لا يريدون رؤيته، ما لا يتوقعون رؤيته، أو ما لا يستطيعون تفسيره. لو أن إيفرافاكس دهن الجبل باللون الزهري وأقام حقل مشكلة شخص آخر رخيص وبسيط عليه، لكان الناس بكل بساطة سيعبرون الجبل، ويمرون من حوله، حتى من فوقه من دون أن يلاحظوا أن الشيء موجود.

هذا بالضبط ما كان يحصل لسفينة سلارتيبارتفاست، لم تكن زهرية، حتى لو كانت لكان الأمر من أقل مشكلاتها المرئية، وكان الناس سيتجاهلونها كأي شيء.

أغرب ما فيها أنها بدت في جزء منها كسفينة فضائية، بزعانف التوجيه، والمحركات الصاروخية وبوابات الهروب، وإلى ما هنالك، وبدا قسمها الأكبر كمقهى إيطالي مقلوب.

حدق إليها فورد وآرثر بتعجب وبأحاسيس مجروحة بعمق.

قال سلارتيبارتفاست وهو يسرع إليهما في تلك اللحظة مهتاجاً ومنقطع النفس: «نعم أعلم، لكن ليس هنالك سبب. تعالا، يجب أن نذهب. لقد عاد الكابوس القديم. الهلاك يواجهنا جميعاً، يجب أن نغادر حالاً».

قال فورد: «أحب أن يكون مكاناً مشمساً».

لحق فورد وآرثر بسلارتيبارتفاست إلى داخل السفينة وقد ارتبكا مما شاهداه في الداخل إلى درجة أنهما كانا غير مدركين لما حصل لاحقاً في الخارج.

نزلت سفينة فضائية أخرى، لكنها فضية وملساء، من السماء إلى أرض الملعب، بهدوء ومن دون جلبة انفتحت سيقانها الطويلة في حركة باليه تكنولوجية هادئة.

هبطت بلطف، مدت منحدرها القصير، وخطا منها برشاقة جسم طويل رمادي-مخضر، واقترب من مجموعة صغيرة من الناس المتجمعين في منتصف الملعب، الذين يعتنون بإصابات المذبحة الغريبة التي حصلت للتو. دفع هذا الجسم الناس جانباً بهدوء وثقة مطلقة، ووصل في النهاية إلى رجل ممدد في بركة دماء كبيرة، من الواضح أنه لم يكن يوجد طب أرضي يمكنه إنقاذه. وبينما هو يتنفس ويسعل سعلاته الأخيرة انحنى الجسم بهدوء إلى جانبه.

سأله الجسم: «آرثر فيليب ديودات؟»

هز الرجل رأسه بوهن وقد أربك الذعر عينيه.

همس له المخلوق: «أنت لا شيء، شخص غبي لا ترجى منه منفعة، أظن أن عليك معرفة ذلك قبل أن تموت».

الفصل الرابع

حقائق مهمة من التاريخ المجرّي، رقم اثنان:

(منسوخ من كتاب سيديريال ديلي مينشينر للتاريخ المجرّي المبسّط.)

منذ بداية المجرة، قام وسقط العديد من الحضارات، قامت وسقطت، قامت وسقطت كثيراً إلى درجة أنه من المغري التفكير في الحياة في هذه المجرة على أنها

(أ) شيء مماثل لدوار البحر – دوار الفضاء – دوار الزمن – دوار التاريخ أو شيء من هذا القبيل، و

(ب) غبية.

الفصل الخامس

بدا لآرثر أن السماء برمتها قد تنحت جانباً على حين غرة وسمحت لهم بالعبور.

بدا له أن ذرات دماغه وذرات الكون تتدفق عبر بعضها بعضاً.

بدا له أنه نُفِخَ في رياح الكون وأنه هو هذه الرياح.

بدا له أنه أحد أفكار الكون وأن الكون كان فكرة من أفكاره.

بدا للناس في ملعب لورد للكريكت أن مطعماً آخر من مطاعم شمال لندن قد أتى وذهب كعادة هذه المطاعم، وأن ذلك مشكلة شخص آخر.

همس آرثر برعب كبير: «ما الذي حصل؟»

قال سلارتيبارتفاست: «لقد أقلعنا».

استلقى آرثر على أريكة التسارع بسكون وهو مرتاع، ولم يكن متأكداً ما إذا كان قد أصابه دوار الفضاء أو الدين.

قال فورد: «محرك جميل،» بمحاولة فاشلة لإخفاء درجة انبهاره بالشيء الذي فعلته سفينة سلارتيبارتفاست للتو، أضاف: «لكن الديكور مخزٍ».

لم يردّ العجوز للحظة أو اثنتين، كان قد بدأ بتشغيل الآلات، وبدا كمن يحاول التحويل من فهرنهايت إلى مئوي في رأسه، وبيته يحترق. بعد

ذلك صفا جبينه وحدق لوهلة إلى الشاشة البانورامية أمامه، التي عرضت تشابكاً مربكاً من النجوم التي تتدفق مثل خيوط الفضة من حولهم.

تحركت شفتاه كأنه يحاول تهجئة شيء، ونظرت عيناه فجأة وبذعر إلى آلاته، ثم تخامدت تعابير وجهه إلى مجرد عبوس ثابت. عاود النظر إلى الشاشة، واستشعر نبضه، وازداد عبوسه لوهلة، ومن ثم استرخى.

قال: «من الخطأ محاولة فهم الرياضيات، إنها تزعجني، ما الذي قلته؟»

قال فورد: «الديكور، أمره مؤسف».

قال سلارتيبارتفاست: «عميقاً في قلب العقل الأساسي والكون هنالك سبب».

نظر فورد حوله بتمعن، اعتقد أن تلك كانت نظرة متفائلة إلى الأمور.

من الداخل، كانت منصة القيادة باللون الأخضر القاتم، الأحمر القاتم، البني القاتم، تعسة وإضاءتها شاحبة. التشابه مع مقهى إيطالي صغير فشل في أن ينتهي على المدخل على نحو يصعب تفسيره. أنارت بقع من الضوء نباتات زينة، قطع قرميدية صقيلة وكل أنواع النحاسيات الصغيرة غير المعروفة.

كمنت زجاجات ملفوفة بالليف بشكل شنيع في الظلال.

بدت الآلات التي استحوذت على انتباه سلارتيبارتفاست مركبّة على أسفل زجاجات موضوعة في إسمنت.

مد فورد يده ولمسها.

إسمنت مزيّف، بلاستيك، زجاجات مزيّفة موضوعة في إسمنت مزيّف.

فكر فورد لنفسه، يمكن لقلب العقل الأساسي والكون أن يغربا بعيداً، هذا هراء. إنما في المقلب الآخر لا يمكن إنكار أن الطريقة التي تحركت بها هذه السفينة جعلت قلب الذهب تبدو كعربة أطفال كهربائية.

تمايل على الأريكة وانزلق إلى الأسفل، ونظر إلى آرثر الذي كان يغني بهدوء لنفسه، نظر إلى الشاشة ولم يميز شيئاً، ونظر إلى سلارتيبارتفاست وقال: «كم هي المسافة التي سافرناها للتو؟»

قال سلارتيبارتفاست: «نحو... أقول نحو ثلثي مسافة قرص المجرة، تقريباً. نعم تقريباً ثلثين، كما أعتقد».

قال آرثر بهدوء: «من الغريب أنه كلما كان سفرك أسرع وأبعد عبر الكون بدا موقعك غير مادي إلى حد بعيد، ويملؤك عمق، أو بالأحرى فراغ ال»...

قال فورد: «نعم، غريب جداً، إلى أين نحن ذاهبون؟»

قال سلارتيبارتفاست: «نحن ذاهبون لنواجه كابوساً قديماً للكون».

- «وأين ستنزلنا؟»

- «أحتاج إلى مساعدتكما».

- «إنه أمر عسير، اسمع، هنالك مكان يمكنك أن تأخذنا إليه حيث نستطيع الاستمتاع، أحاول أن أتذكره، يمكننا أن نسكر، وربما نستمع إلى بعض الموسيقا الغاضبة جداً. انتظر، سأبحث عنه». أخرج نسخته من دليل المسافر إلى المجرة وقلّب عبر أجزاء الفهرس المتعلقة على نحو أساسي بالجنس، والمخدرات وموسيقا الروك آند رول.

قال سلارتيبارتفاست: «ظهرت لعنة من غشاوات الزمان».

قال فورد: «نعم، أتوقع ذلك،» ثم أضاف: «هيه،» وهو يشير مصادفة إلى بند مدخل مرجعي، «إكسينتريكا غالومبيتس، هل سبق لك مقابلتها؟ عاهرة "إيروتيكون ٦" ثلاثية الأثداء. يقول بعض الناس إن مناطقها الحساسة تبدأ على بعد أربعة أميال تقريباً من جسمها الفعلي. أما أنا فلا أوافقهم، أقول خمسة».

قال سلارتيبارتفاست: «لعنة ستغمر المجرة بالنار والدمار، ومن الممكن أن تودي بالكون إلى نهاية قبل أوانها. إنني جاد».

قال فورد: «لا يبدو وقتاً مناسباً، فبنظرة سأكون ثملاً إلى درجة أنني لن ألاحظ. هنا،» قال وهو ينقر بإصبعه على شاشة الدليل، «سيكون مكاناً شريراً جداً لو ذهبنا إليه، وأظن أن علينا ذلك. ما رأيك يا آرثر؟ توقف عن الغمغمة بالتعويذات وانتبه، هنالك أمور مهمة تفوتك هنا».

دفع آرثر بنفسه عن الأريكة وهزّ رأسه.

قال: «إلى أين نحن ذاهبون؟»

- «لنواجه كابوساً قديه»...

قال فورد: «دعك من ذلك، آرثر نحن ذاهبون إلى المجرة لنستمتع بوقتنا، هل يمكنك تحمّل هذه الفكرة؟»

قال آرثر: «ما الذي يقلق سلارتيبارتفاست؟»

قال فورد: «لا شيء».

قال سلارتيبارتفاست: «النهاية،» وأضاف بسلطة مفاجئة: «تعالا، علي أن أخبركما وأريكما الكثير».

مشى باتجاه سلم حلزوني أخضر مزخرف بالحديد وموضوع بطريقة مبهمة في منتصف قمرة القيادة وبدأ يصعد، ولحق به آرثر وقد اعتلت وجهه عبسة.

قذف فورد الدليل إلى محفظته بغضب.

تمتم لنفسه: «يقول طبيبي إنّ لدي غدة واجب-عام مشوّهة وعجزاً طبيعياً في النسيج الأخلاقي، لذلك أُعفيتُ من إنقاذ الكون».

و مع ذلك، خطا إلى أعلى السلم خلفهما.

ما وجدوه في الأعلى كان ببساطة سخيفاً، أو هكذا بدا، هزّ فورد رأسه، ودفن وجهه في يديه وسقط فجأة على نبتة زينة ساحقاً إياها على الحائط.

قال سلارتيبارتفاست من دون قلق: «منطقة الحوسبة المركزية، هنا تتم كل الحسابات التي تؤثر في السفينة بأي شكل. نعم، أعلم كيف تبدو، لكنها في الواقع خريطة طبوغرافية رباعية الأبعاد لسلسة من العمليات الرياضية شديدة التعقيد.

قال آرثر: «تبدو مثل نكتة».

قال سلارتيبارتفاست: «أعرف ما تبدو عليه،» ودخلها، ومع دخوله فيها طرأت لآرثر فكرة عمّا قد تعنيه، لكنه رفض تصديقها. فكّر آرثر، من غير الممكن للكون أن يعمل بهذه الطريقة، ذلك غير ممكن. فكر لنفسه أن

ذلك سيكون بسخف ال... قطع سلسلة أفكاره. فمعظم الأشياء السخيفة حقاً التي يمكن أن يفكر فيها قد حصلت فعلاً.

وهذه كانت واحدة منها.

كانت عبارة عن قفص زجاجي كبير، أو صندوق، في الواقع كانت غرفة.

يوجد فيها طاولة طويلة. تجمّع حولها دستة من الكراسي الخشبية. وضع على الطاولة غطاء، من النوع المبتذل في شكل مربعات حمر وبيض، عليه ندب من الحروق التي تتسبب بها السجائر أحياناً، ومن المفترض أن كل حرق متموضع في مكان محسوب رياضيّاً على نحو دقيق.

يوجد على الغطاء بعض الوجبات الإيطالية نصف المُلتَهَمة، مطوّقة بقطع خبز نصف مأكولة وكؤوس نبيذ نصف مشروبة، وتقوم روبوتات بالعبث فيها بكسل.

كان كل شيء صناعياً على نحو كامل، وكانت الروبوتات النادلة تخدم الروبوتات الزبائن، فكان هنالك روبوت نادل للنبيذ وروبوت سيد. كان الأثاث صناعياً، والغطاء صناعياً، وكانت كل قطعة طعام على حدة قادرة على عرض المواصفات الميكانيكية لطبق الدجاج، في سبيل المثال، من دون أن تكون طبق دجاج في الواقع.

واشترك الجميع برقصة صغيرة، وهو روتين معقد يتضمن التلاعب بقوائم الطعام، أوراق الفواتير، المحافظ، دفاتر الشيكات، البطاقات الائتمانية، الساعات، أقلام الرصاص والمناديل الورقية، فبدا أنها تحوم باستمرار على حافة العنف، لكن من دون أن تسبب أي شيء في الواقع.

أسرع سلارتيبارتفاست بالدخول، ومن ثم ظهر عليه أنه يمضي الوقت بكسل إلى حد بعيد مع السيد، في حين انزلق أحد الروبوتات الزبائن، أوتوروري، ببطء تحت الطاولة وهو يذكر ما نوى فعله لأحد الشبّان فوق إحدى الفتيات.

احتل سلارتيبارتفاست المقعد الذي أصبح خالياً ونظر إلى قائمة الطعام نظرة ثاقبة. بدا على نحو أو آخر أن إيقاع الروتين حول الطاولة يتسارع حتى يكاد لا يدرك. فانفجرت الخلافات، وحاول الناس البرهنة على أشياء على المناديل. لوحوا لبعضهم بعنف، وحاول كل منهم تفحص قطعة دجاج الآخر. راحت يد النادل تتحرك على أوراق الفواتير على نحو أسرع مما يمكن ليد بشرية أن تفعله، وبعد ذلك أسرع من أن تلاحقها عين بشرية. تسارعت الحركات، وبعد وهلة عمّ المجموعة جو غريب من التهذيب اللافت للنظر، وبعد ثوان عدة بدا أنهم حققوا لحظة الإجماع على حين غرّة. سرى عبر السفينة مزاج جديد.

خرج سلارتيبارتفاست من الغرفة الزجاجية.

قال: «بسيتروماتيكس، أعظم قوة حوسبة معروفة لعلم الماورائيات. تعالا إلى غرفة 'الأوهام المعلوماتية'».

تجاوزهما وقادهما مذهولين في إثره.

الفصل السادس

إن محرك البيستروماتيك هو طريقة جديدة ورائعة لقطع مسافات شاسعة بين النجوم من دون العبث الخطر بمعامِلات اللااحتمالية.

إن البيستروماتيك بحد ذاتها طريقة ثورية جديدة لفهم سلوك الأرقام، فمثلما أدرك آينشتاين أن الزمان ليس ثابتاً بل يعتمد على حركة المراقب في المكان، وأن المكان ليس مطلقاً بل يعتمد على حركة المراقب في الزمان، تم الآن إدراك أن الأرقام ليست ثابتة بل تعتمد على حركة المراقب في المطاعم.

إن أول رقم غير ثابت هو عدد الناس الذين تُحجز الطاولة لهم، فهذا الرقم سيتغير خلال سياق أول ثلاثة اتصالات هاتفية ترد إلى المطعم، ومن ثم لا يكون له علاقة واضحة بعدد الأشخاص الذين سيأتون، أو عدد الأشخاص الذين من ثم سينضمون إليهم بعد العرض/ المباراة/ الاحتفالية/ الحفل، أو عدد الأشخاص الذين سيغادرون بعد أن يروا الآخرين الذين حضروا.

ثاني الأرقام غير الثابتة هو موعد الوصول، والمعروف الآن كواحد من أغرب المفاهيم الرياضية، ريسيبريقرسيكسكلسن[1]، وهو رقم لا يمكن

---

(١) recipriversexculson.

لوجوده أن يحَدَد إلا أنه أي شيء ما عدا نفسه. بتعبير آخر، إن موعد الوصول هو اللحظة من الزمن التي يستحيل أن يصل فيها أي من أعضاء الجماعة. ويلعب الآن الريسيبريڤرسيكسكلسن دوراً حيوياً في العديد من فروع الرياضيات، بما فيها علوم الإحصاء والمحاسبة وهو أيضاً يشكل المعادلة الأساسية المستخدمة في هندسة حقل مشكلة شخص آخر.

الجزء الثالث والأكثر غموضاً من اللاثبات على الإطلاق يقع في العلاقة بين عدد البنود على الفاتورة، وتكلفة كل منهم، وعدد الناس الجالسين حول الطاولة، والكمية المستعد كل منهم لدفعها.

(عدد الناس الذين، وبحق، جلبوا معهم نقوداً يعد مجرد ظاهرة ثانوية في هذا المجال.**)**

بقيت التناقضات المربكة التي كانت تحدث في هذه المرحلة من دون استقصاء لقرون، ببساطة لأن أحداً لم يحملها على محمل الجد. في ذلك الوقت، كان يجري طمسها في أمور مثل التهذيب، الوقاحة، الدناءة، المفاجأة، التعب، الانفعالية، أو تأخر الوقت، ونسيانها على نحو تام في صباح اليوم التالي. لم تُختبر في ظروف مخبرية بالتأكيد لأنها لم تحصل في مختبرات، أو في مختبرات موثوقة على الأقل.

وهكذا لم تتوضح هذه الحقيقة المذهلة إلا مع مجيء الحواسيب الجيبية، وكانت وفق ما يلي:

الأرقام المكتوبة على فواتير المطاعم ضمن حدود المطعم لا تتبع القوانين الرياضية نفسها التي تتبعها الأرقام المكتوبة على أي قطعة من الورق في أي جزء من الكون.

عصفت هذه الحقيقة الوحيدة بالمجتمع العلمي، وأحدثت فيه ثورة كاملة، فعقد كثير من المؤتمرات الرياضية في مطاعم جيدة، حيث إن العديد من عقول هذا الجيل البارعة ماتت من البدانة وقصور القلب، فتراجع علم الرياضيات لسنوات.

وعلى الرغم من ذلك فلقد بدأت معاني هذه الفكرة تتوضح ببطء. في البداية كانت مطلقة جداً، مجنونة جداً، يمكن جداً لرجل في الشارع أن يقول عنها، «آه نعم، لقد أخبرتك بذلك». بعد ذلك تم اختراع بعض العبارات مثل: «هياكل الذاتية التفاعلية» وتمكن الجميع من الاسترخاء والمتابعة في الأمر.

أما مجموعات الرهبان الصغيرة، التي أخذت على عاتقها التسكع حول معاهد الأبحاث وهم يغنون ترانيم غريبة لحقيقة أن الكون كان مجرد تلفيقة من مخيلة الكون الخاصة، فقد تم إعطاؤهم في النهاية منحة لمسرح متنقل وانصرفوا.

الفصل السابع

قال سلارتيبارتفاست وهو يعبث ببعض الآلات في غرفة الأوهام المعلوماتية: «في السفر عبر الفضاء، كما تعلم، في السفر عبر الفضاء»...

توقف ونظر حوله.

كانت غرفة الأوهام المعلوماتية استراحة سارّة بعد الأشياء الرهيبة المرئية في منطقة الحوسبة المركزية. لم يكن هنالك شيء فيها. لا معلومات، لا أوهام، فقط هم أنفسهم، جدران بيضاء وبعض المعدات التي بدت أنها يجب أن تكون موصولة بشيء لم يتمكن سلارتيبارتفاست من إيجاده.

استحثه آرثر قائلاً: «نعم؟» كان الأخير قد التقط إحساس سلارتيبارتفاست الملحّ لكنه لم يعلم ماذا يفعل به.

قال العجوز: «نعم ماذا؟»

- «كنت تقول؟»

نظر إليه سلارتيبارتفاست بحدة.

قال: «إن الأرقام بغيضة». وتابع بحثه.

حنى آرثر رأسه بحكمة، بعد لحظة أدرك أن ذلك لم يكن يوصله إلى نتيجة فقرر أنه في النهاية سيقول «ماذا؟».

كرر سلارتيبارتفاست قوله: «في السفر عبر الفضاء، كل الأرقام بغيضة».

أومأ آرثر برأسه مجدداً ونظر حوله بحثاً عن فورد ليساعده، لكن فورد كان يمارس العبوس، وكان ينجح في الأمر إلى حد كبير.

قال سلارتيبارتفاست بتنهيدة: «كنت أحاول فقط أن أوفر عليك مشقة أن تسألني لم تتم كل عمليات الحوسبة في السفينة على ورقة فاتورة للنادل».

عبس آرثر وقال: «لم تتم كل عمليات الحوسبة في السفينة على ور-»

توقف.

قال سلارتيبارتفاست: لأنه في السفر عبر الفضاء كل الأرقام بغيضة».

كان يعرف أن فكرته غير واضحة.

قال: «اسمع، ترقص الأرقام على ورقة الفاتورة الخاصة بالنادل. لا بد أنك صادفت هذه الظاهرة».

- «حسناً»...

قال سلارتيبارتفاست: «على ورقة الفاتورة الخاصة بالنادل يتصادم الواقع باللاواقع على مستوى جوهري فيصبح كل منهما الآخر، وكل شيء ممكن، ضمن إحداثيات محددة».

- «أي إحداثيات؟»

قال سلارتيبارتفاست: «من المستحيل معرفة ذلك، ذلك شيء منها، غريب لكنه حقيقي. في الأقل أظنه غريباً،» وأضاف قائلاً: «وأنا مقتنع بأنه حقيقي».

في تلك اللحظة، وجد سلارتيبارتفاست المأخذ الذي كان يبحث عنه في الحائط فأدخل فيه آلة كان يمسكها.

قال: «لا ترتعب،» ونظر فجأة إلى نفسه نظرة رعب واندفع إلى الخلف قائلاً: «إنها»...

لم يسمعا ما قاله لأنه في تلك اللحظة اختفت السفينة من الوجود من حولهما واندفعت من الليل باتجاههم سفينة فضاء حربية بحجم مدينة صناعية داخلية صغيرة، واتقدت أشعة الليزر النجمية.

حدّقوا فاغرين أفواههم، وجحظت عيونهم، ولم يتمكنوا من الصراخ.

الفصل الثامن

كوكب آخر، يوم آخر، فجر آخر.

ظهرت خيوط ضوء الصباح الباكر الفضية الرقيقة بصمت.

صعدت ببطء فوق الأفق بضعة مليارات بلايين الأطنان من ذرات الهيدروجين الحارة والمتفجرة، وتمكنت من أن تبدو صغيرة، باردة وكئيبة قليلاً.

في لحظة من كل فجر، حينما يعوم الضوء، تكون هنالك احتمالية للسحر. حبس الخلق أنفاسه.

مضت اللحظة كما هي عادتها على كوكب سكوارنشيلوس زيتا من دون أي حوادث.

تعلق الضباب على سطوح المستنقعات، فبدت أشجار المستنقعات بسببه رمادية، وبدا القصب الطويل باهتاً، متعلقاً من دون حراك كأنه يحبس نَفَسَه.

لم يتحرك شيء.

كان هنالك صمت.

بضعف كافحت الشمس الضباب، وحاولت أن تمنح القليل من الدفء هنا، وتشع قليلاً من الضوء هناك، لكن من الواضح أن هذا اليوم سيكون مجرد انسحاب طويل عبر السماء.

- لم يتحرك شيء.

- ومن جديد، صمت.

- لم يتحرك شيء.

- صمت.

كثيرة هي المرات على سكوارنشيلوس زيتا التي تمضي بها الأيام على هذا، وهذا اليوم بالتأكيد كان واحداً منها.

بعد أربع عشرة ساعة، غاصت الشمس بيأس خلف الأفق المقابل وهي تشعر بالجهد المبدد تماماً.

و بعد بضع ساعات، ظهرت من جديد، سوّت كتفيها وانطلقت في السماء مجدداً.

إنما هذه المرة كان هنالك ما يحصل، التقى فراش للتو بروبوت.

قال الفراش: «مرحباً أيها الروبوت».

قال الروبوت: «إييه،» وتابع ما كان يقوم به من مشي دائري ببطء شديد وبدوائر صغيرة.

قال الفراش: «أأنت سعيد؟»

توقف الروبوت ونظر إلى الفراش، نظر إليه بفضول، من الواضح أنه فراش غبي جداً، نظر إليه الفراش محدقاً بعينيه.

بعد التوقف لعشرة أجزاء من الثانية، كونها طول التوقف المناسب لإيصال احتقار عام إلى كل ما هو فراشيّ، تابع الروبوت المشي في دوائر ضيقة.

قال الفراش: «يمكننا أن نجري محادثة، ألا تحب ذلك؟»

كان فراشاً كبيراً ومن المحتمل أنه من نوعية جيدة. قليلة هي الأشياء التي يجري تصنيعها هذه الأيام، لأنه في كون لامتناه في الكبر مثل الذي نعيش فيه، في سبيل المثال، كل الأشياء التي يمكن للمرء تخيلها، وكثير من الأشياء التي لا يتمكن من ذلك تنمو في مكان ما.

نمت سقاطات مفكات البراغي على أشجار غابة تم اكتشافها مؤخراً كأنها فاكهة. دورة حياة فاكهة سقاطات مفكات البراغي مثيرة للاهتمام. فهي بمجرد قطفها تحتاج إلى درج معتم ومغبر لترقد فيه من دون إزعاج لسنوات. ومن ثم تفقس فجأة في إحدى الليالي، وتطرح قشرتها الخارجية التي تنهار متحولة إلى غبار وتخرج كأجسام معدنية غير قابلة للتمييز عليها حافات بارزة على طرفيها وشيء يشبه الضلع وآخر يشبه الثقب من أجل المفك. تُرمى هذه الأشياء عندما يُعثر عليها. لا أحد يعرف ما الذي يمكن أن تفعله هذه الأشياء. من المفترض أنّ الطبيعة، بحكمتها غير المحدودة، تعمل على هذا الموضوع.

لم يعلم أحد أيضاً ما الذي ترجوه الفرش من حياتها. إنها مخلوقات كبيرة، ودود، نشأت محاصرة وتعيش حياة منعزلة وهادئة في مستنقعات سكوارنشيلوس زيتا. تم إمساك الكثير منها، ذبحها، تجفيفها، شحنها ومن ثم النوم عليها. لا يبدو أن الأمر يهم أي واحد منها وجميعها تدعى زيم.

قال مارڤن: «لا».

قال الفراش: «اسمي زيم، يمكننا التكلم عن الطقس قليلاً».

توقف مارڤن قليلاً في تهاديه الدائري الضجر.

علّق قائلاً: «تساقط الندى بشكل مقزز للنفس هذا الصباح».

تابع مشيته كمن دفعه ثوران المحادثة هذه إلى حدود جديدة من الكآبة والقنوط. تهادى بعناد، ولو أن لديه أسناناً لكان أصرّ عليها في هذه المرحلة، لكن ليس لديه، لذا لم يفعل، فمجرد التهادي كان معبراً عن كل شيء.

تشقلب[1] الفراش، وهو شيء لا يمكن أن يفعله سوى الفرش الأحياء في المستنقعات، لذلك ليس شائعاً استخدام هذه الكلمة.

تشقلب على نحو ودّي محرّكاً كمية واسعة من الماء. نفخ فقاعات عدة عبر الماء على نحو فاتن، تلألأت خطوطه الزرق والبيض لوهلة في شعاع الشمس الضعيف والمفاجئ الذي عبر الضباب بشكل غير متوقع، مسبباً للفراش بأن ينعم به لوهلة.

تهادى مارڤن.

قال الفراش متخبّطاً[2]: «هنالك ما يشغلك حسب ما أعتقد».

قال مارڤن برعب: «أكثر مما يمكنك تخيّله، قدرتي على النشاط العقلي بكل أنواعه لا محدودة مثل الفضاء نفسه، ما عدا بالطبع قدرتي على السعادة».

مشى ضارباً الأرض بقدميه.

أضاف: «يمكنك وضع قدرتي على السعادة في علبة أعواد ثقاب من دون أن تخرج أعواد الثقاب منها».

---

(١) الكلمة الأصلية flolloped وهي قد تكون دمجاً لكلمات (flop-loll-lop)

(٢) الكلمة الأصلية floopily وهي قد تكون مشتقة من كلمة flop

خرخر[1] الفراش، وهو الصوت الذي يصدره فراش حي يعيش في المستنقعات عندما تتحرك مشاعره بسبب قصة مأساة شخصية. بحسب قاموس ماكسيميغالون فائق الكمال لجميع اللغات على الإطلاق فيمكن للكلمة أن تعني الصوت الذي أصدره اللورد هاي سانثالڤواغ الهولوبي عندما اكتشف أنه نسي أمر عيد ميلاد زوجته للسنة الثانية على التوالي، وبما أنه لم يوجد سوى لورد هاي سانثالڤواغ الهولوبي واحد ولم يكن متزوجاً فلم تستخدم الكلمة سوى في سياق سلبي أو تأمّلي، ويزداد عدد أصحاب الرأي الذي يرى أن قاموس ماكسيميغالون فائق الكمال لا يستحق أسطول الشاحنات الذي يستخدمه لنقل إصداره المُخَزَّن ميكروياً في الأرجاء. من الغريب بمكان أن القاموس يهمل كلمة «بشكل متخبّط» التي تعني ببساطة «على شاكلة شيء يتخبّط».

خرخر الفراش مجدداً.

قرقع[2] الفراش قائلاً: «أستشعر اكتئاباً عميقاً في أنصاف نواقلك». (لمعرفة معنى كلمة «يقرقع» اشتر نسخة من قاموس ماكسيميغالون فائق الكمال إذ إن الجامعة ستكون سعيدة جداً بالتخلص منه واستعادة بعض مواقف ركن السيارات القيّمة)، «وإن الأمر يحزنني، عليك أن تتشبه بالفراش، نحن نعيش حياة هادئة ومنعزلة في المستنقع حيث نحن راضون بالشقلبة والقرقعة ونهتم بالرطوبة بطريقة تخبطيه تماماً. يُقتل بعضنا، لكننا

---

(١) الكلمة الأصلية globbered وهي قد تكون مشتقة من كلمة glob

(٢) الكلمة الأصلية vollued وليس لها معنى في اللغة الانكليزية.

جميعاً ندعى زيم، فلا نعرف من الذي قُتل، وبذلك تبقى الخرخرة في حدودها الدنيا. لمَ تمشي دائرياً؟»

قال مارڤن ببساطة: «لأن ساقي عالقة.»

قال الفراش وهو يعاين الساق بعطف: «تبدو لي أنها ساق تعسة إلى حد بعيد».

قال مارڤن: «معك حقك، إنها كذلك».

قال الفراش: «ڤوون.»

قال مارڤن: «أظن ذلك، وأنا أيضاً أظن أنك تستمتع بفكرة الروبوت مع الساق الاصطناعية. عليك أن تخبر صديقيك زيم وزيم عندما تراهما في وقت لاحق، سيضحكان، لو أنني أعرفهما، لكنني لا أعرفهما بالطبع، إلا أنني أعرف كل أشكال الحياة العضوية، وهذا أفضل مما يمكن أن أتمناه. ها، لكن حياتي عبارة عن مجرد صندوق تروس لولبية».

خبط مارڤن الأرض مجدداً في دوائره الصغيرة، حول رجله النحيلة المثبتة التي دارت في الطين لكنها بدت بطريقة أو بأخرى عالقة.

قال الفراش: «لكن، لم لا تنفك تمشي بحلقات دائرية؟»

قال مارڤن: «لتوضيح الفكرة فحسب،» واستمر في حلقات دائرية.

خرخر الفراش قائلاً: «احسب أنها توضحت يا صديقي العزيز، احسب أنها توضحت».

قال مارڤن: «مجرد مليون سنة أخرى، مجرد مليون سنة أخرى سريعة، عندئذ قد أجرب هذه الحركة بالعكس، في سبيل التنويع فحسب كما تعلم».

عميقاً في الجزء الأعمق من جيوبه النابضية تمكن الفراش من الشعور بأن الروبوت تمنى كثيراً أن يُسأل عن المدة التي قضاها يمشي مجهداً بهذه الطريقة العقيمة وعديمة الفائدة، وبخرخرة هادئة أخرى سأله الفراش ذلك.

قال مارڤن برقة: «أوه، أكثر بقليل من واحد-فاصلة-خمسة-ملايين علامة».

- «سلني إن كان يصيبني الملل، هيا، سلني».

سأله الفراش.

تجاهل مارڤن السؤال، ومشى مجهداً فحسب بتوكيد أكبر. قال على نحو مفاجئ، ومن الواضح أنه غير مترابط: «لقد ألقيت خطاباً ذات مرة، قد لا تفهم على الفور لماذا أتناول هذا الموضوع، لكن السبب في ذلك يعود إلى أن دماغي يعمل بسرعة استثنائية، وأنا أذكى منك بثلاثين مليار مرة تقريباً، دعني أوضّح لك الأمر، فكر في عدد، أي عدد».

قال الفراش: «إيه، خمسة».

قال مارڤن: «خطأ، أرأيت؟»

ذُهل الفراش كثيراً بذلك وأدرك أنه بحضرة دماغ رائع. ارتجف بكامل طوله مرسلاً موجات صغيرة مثارة عبر بركته الضحلة المغطاة بالطحالب.

ألحّ عليه الفراش: «أخبرني بالخطاب الذي ألقيته في إحدى المرات، فأنا أتشوق إلى سماعه».

قال مارڤن: «جرى تلقيه بصورة سيئة جداً، لأسباب عدة. لقد ألقيته،» وتوقف قليلاً ليومئ على نحو مجهد كثيراً بذراعه التي ليست في خير ما يرام، لكن ذراعه التي كانت أفضل من الأخرى كانت ملتحمة إلى جانبه الأيسر بطريقة يائسة، «هناك، على بعد ميل تقريباً».

كان يشير بأقصى ما يستطيع، ومن الواضح أنه أراد على نحو لا ريب فيه توضيح أن ذلك كان أقصى ما يستطيع، عبر الضباب، فوق القصب، إلى جزء من المستنقع بدا مطابقاً لكل جزء آخر من المستنقع.

كرر قوله: «هناك، كنت من المشاهير نوعاً ما في ذلك الوقت».

استحوذت الإثارة على الفراش. فلم يكن قد سمع بخطابات تلقى في سكوارنشيلوس زيتا، ناهيك عن خطابات يلقيها مشاهير. رُشَّ الماء من حول الفراش مع تصاعد الرعشة على ظهره.

فعل شيئاً نادراً ما يتكلف الفراش عناء فعله، استجمع كل قواه، ورفع جسمه المستطيل، ورماه في الهواء وتركه يرتعش هناك لثوان عدة في حين راح الفراش يحدق عبر الضباب وفوق القصب في جزء المستنقع الذي أشار إليه مارڤن، ملاحظاً، من دون خيبة أمل، أنه يشبه بالضبط كل أجزاء المستنقع الأخرى.

كان الجهد كبيراً جداً، فخبط في مستنقعه من جديد، غامراً مارڤن بطين ذي رائحة كريهة وطحالب وأعشاب.

دندن الروبوت بحزن: «لقد كنت مشهوراً لوهلة قصيرة بعد هروبي الخارق، الذي أستاء منه بمرارة، من قدر قد لا يضاهيه بالجودة سوى الموت

في قلب شمس ملتهبة، يمكنك التخمين من وضعي، كم كان ضيقاً مهربي، أنقذني تاجر نفايات معدنية، تخيل ذلك، وها أنا ذا، دماغي بحجم.... لا عليك».

خطا متثاقلاً بوحشية لثوان عدة وأضاف: «كان هو من دبّر لي هذه الساق، بغيضة أليست كذلك؟ باعني إلى حديقة عقول، كنت نجم العرض. كان عليّ أن أجلس في صندوق وأخبر قصتي في حين يأمرني الناس بالابتهاج والتفكير بإيجابية. كانوا يصرخون فيّ، 'ابتسم لنا أيها الروبوت الصغير،' 'اضحك لنا.' وكنت أشرح لهم أن الأمر سيتطلب ساعتين من العمل في ورشة مع مفتاح ربط كي أتمكن من وضع ابتسامة على وجهي، وقد تفهموا ذلك جيداً».

ألح الفراش: «الخطاب، أتشوق إلى سماع الخطاب الذي ألقيته في المستنقعات».

- «كان هنالك جسر بني فوق المستنقعات. جسر-فوقي مبني تكنولوجياً، بطول مئات من الأميال، لحمل عربات أيونية وشاحنات فوق المستنقع».

قال الفراش متقداً: «جسر؟ هنا في المستنقع؟»

أكد له مارڤن: «جسر، هنا في المستنقع، كان يرجى منه إعادة إنعاش اقتصاد نظام سكوارنشيلوس، فأنفقوا كل اقتصاد نظام سكوارنشيلوس على بنائه. وطلبوا إلي أن أفتتحه. يا للمغفلين المساكين».

بدأت تمطر قليلاً، وانزلق رذاذ ناعم عبر الضباب.

- «وقفت على المنصة، امتد الجسر لمئات الأميال أمامي ولمئات الأميال خلفي».

تحمّس الفراش قائلاً: «هل كان يلمع؟»

- «كان يلمع».

- «هل امتد هذه الأميال بفخامة؟»

- «امتد هذه الأميال بفخامة».

- «هل امتد كخيوط فضية بعيداً في الضباب اللامرئي؟»

قال مارڤن: «نعم، هل تريد سماع القصة؟»

قال الفراش: «أريد سماع خطابك».

- «هذا ما قُلتُه، قلت، 'أود القول إنه امتياز وشرف وسعادة كبيرة لي لأن أفتتح هذا الجسر، لكنني لا أستطيع ذلك لأن دارات الكذب خاصتي لا يوجد لديها تفويض. أكرهكم وأحتقركم جميعاً. أعلن الآن افتتاح هذا البناء قليل الحظ لتتم إساءة استعماله على نحو لا يصدق من قبل كل من سيعبرونه بإفراط.' ووصلت نفسي بدارات الافتتاح».

توقف مارڤن مستذكراً اللحظة.

خرخر الفراش وتشقلب وتخبط.

قال في النهاية: «ڤوون، وهل كانت مناسبة فخمة؟»

- «فخمة إلى حد معقول. عفوياً، طوى الجسر بطوله البالغ ألف ميل امتداده اللامع وغاص وهو يبكي في الوحل آخذاً الجميع معه».

في هذه المرحلة كان هنالك توقف رهيب وحزين في المحادثة قطعه الصوت المفاجئ لمئة ألف شخص يقولون «ووب» وهبط فريق من

الروبوتات البيض من السماء مثل بذور نبتة الهندباء البريّة التي تنجرف مع الرياح بتشكيل عسكري بارع. في لحظة مفاجئة من العنف كان الجميع هناك، في المستنقع، انتزعت ساق مارڤن الزائفة، ومن ثم ذهبت في سفينتها مجدداً التي قالت «فووب».

قال مارڤن للفراش المذهول: «هل رأيت الأشياء التي علي أن أكافحها؟»

بعد لحظة، وعلى حين غرة، عادت الروبوتات مجدداً لأجل حادثة عنيفة، وعندما غادرت هذه المرة كان الفراش وحيداً في المستنقع. تشقلب في الأرجاء بذعر وذهول. رفع نفسه عالياً كي يرى فوق القصب، لكن لم يكن هنالك شيء، المزيد من القصب فقط. أصاخ السمع، لكن لم يكن هنالك أي صوت في الهواء أكثر من الصوت المعتاد لعلماء اللغة نصف المجانين الذين يصيحون لبعضهم عبر المستنقع الكئيب.

الفصل التاسع

دار جسد آرثر دينت.

تبعثر الكون إلى مليون شظية لامعة من حوله، ودارت كل شظية بصمت عبر الفراغ وهي تعكس على سطحها الفضي بعضاً من محرقات النار والدمار.

ومن ثم انفجر السواد الذي يقع خلف الكون، فكان كل قطعة من السواد عبارة عن الدخان الغاضب للجحيم.

وثار اللاشيء خلف السواد الذي خلف الكون وخلف اللاشيء خلف السواد الذي خلف الكون المتبعثر كان في النهاية ثمة جسم داكن لرجل هائل يتفوه بكلمات هائلة.

قال الجسم: «كانت هذه إذاً،» وهو يتكلم من كرسي مريح على نحو هائل، «حروب الكريكت، أعظم دمار مر على مجرتنا. إن الذي اختبرتماه»...

مرّ سلارتيبارتفاست طافياً وهو يلوّح.

صاح قائلاً: «هو مجرّد فيلم وثائقي، هذا ليس الجزء الجيد. آسف بشدة، أحاول أن أجد متحكم الإعادة»...

«... مليارات ومليارات من»...

صاح سلارتيبارتفاست: «لا،» وقد مرّ طافياً من جديد وهو يعبث باهتياج بالشيء الذي وضعه في حائط غرفة الأوهام المعلوماتية، الذي كان لا يزال عالقاً هناك، «توافقا على شراء أي شيء في هذه المرحلة».

«... الناس، المخلوقات، رفاقكم من الكائنات البريئة»...

ارتفع صوت الموسيقا، من جديد كانت موسيقا هائلة، أوتار هائلة، وخلف الرجل راحت ثلاثة أعمدة تظهر ببطء من دوامة الضباب الهائلة.

«... اختبروا، عاشوا، أو غالباً ما كانوا يفشلون في أن يعيشوا. فكروا في ذلك يا أصدقائي. ودعونا نتذكر – سأتمكن في لحظة من اقتراح طريقة تساعدنا في أن نتذكر دائماً – أنه قبل حروب الكريكت، كانت المجرة شيئاً رائعاً ونادراً، مجرة سعيدة!»

كان قد جن جنون الموسيقا من العظمة في هذه اللحظة.

- «مجرة سعيدة يا أصدقائي، مثلما صوّرها رمز بوابة ويكيت!»

انتصبت الأعمدة الثلاثة بوضوح الآن، ثلاثة أعمدة يعلوها قضيبان بطريقة بدت مألوفة على نحو مذهل لدماغ آرثر المشوش.

أرعد الرجل قائلاً: «الأعمدة الثلاثة، العمود المعدني الذي يمثل قوة وطاقة المجرة!»

سفعت الأضواء الكشافة ورقصت بجنون أعلى وأسفل العمود الأيسر الذي كان من الواضح أنه مصنوع من المعدن أو شيء يشبهه كثيراً. جأرت الموسيقا.

أعلن الرجل قائلاً: «العمود الزجاجي، يمثل قوى العلم والمنطق في المجرة!»

تراقصت أضواء كشافة أخرى على نحو غريب أعلى وأسفل العمود الأيمن الشفاف فأنشأت في داخله نقوشاً متألقة ورغبة مفاجئة وغير مفهومة للمثلجات في معدة آرثر دينت.

تابع الصوت المدوي قائلاً: «والعمود الخشبي، الذي يمثل»... وهنا أصبح صوته أجش قليلاً بسبب العواطف الرائعة، «قوى الطبيعة والروحانية».

التقطت الأضواء العمود الأوسط، وتصاعدت الموسيقا على نحو رائع إلى حدود لا يمكن وصفها.

تابع الصوت وهو يقترب من ذروته: «يقع بين هذه الأعمدة ويدعّمها قضيب الازدهار الذهبي وقضيب السلام الفضي!»

انغمرت البنية برمتها بالأضواء المتألقة، ولحسن الحظ فلقد قطعت الموسيقا الآن حدود التمييز. كان القضيبان يومضان ويتألقان على نحو رائع فوق الأعمدة الثلاثة. بدا أن هنالك فتيات يجلسن فوقهما، أو ربما قُصد بهن أن يكن ملائكة. يتم تصوير الملائكة عادة وهم يرتدون أكثر من ذلك.

كان هنالك صمت مفاجئ فيما افترض فيه أن يكون الكون وتخامدت الإضاءة.

اهتز الصوت المحترف للرجل قائلاً: «لا يوجد كوكب، ولا أي كوكب متحضر في هذه المجرة لا يوقّر هذا الرمز حتى اليوم، حتى في الكواكب البدائية فهذا الرمز حاضر في الذاكرة العنصرية. هذا هو ما دمرته قوى الكريكت، وهذا هو ما يكبح كوكبهم الآن إلى نهاية الأبدية!»

وبتباه قدّم الرجل بين يديه أنموذجاً عن بوابة ويكيت. كان من الصعب جداً تحديد القياس في هذا المشهد الاستثنائي، لكن بدا أن الأنموذج لا بد أن يكون بارتفاع ثلاث أقدام.

- «هذا بالطبع ليس المفتاح الأصلي، فذلك، كما يعلم الجميع، تم تدميره، ذبل في (الإيدي) الدائر لاستمرارية الزمان والمكان وضاع إلى الأبد. أما هذه فهي نسخة جديرة بالحسبان، صنعها يدوياً حرفيون ماهرون، وتم تجميعها بحنان باستخدام أسرار حرفة قديمة لتصبح هذا التذكار الذي ستفخرون بأنفسكم إن ربحتموه، في ذكرى الذين سقطوا، وإجلالنا للمجرة – مجرتنا – التي ماتوا وهم يدافعون عنها»...

مرّ سلارتيبارتفاست طافياً من جديد في هذه اللحظة.

قال: «وجدتها، يمكننا التخلص من كل هذا الهراء، لا تتمايلا فحسب، هذا كل شيء».

رتّل الصوت قائلاً: «الآن دعونا نحنِ رؤوسنا مكافأة» ومن ثم قال ذلك مجدداً لكن بسرعة أكبر وعكسياً.

اشتغلت الأضواء وانطفأت، اختفت الأعمدة، تراجع الرجل عكسياً إلى اللاشيء، وأعاد الكون تشكيل نفسه حولهما على نحو مفاجئ.

قال سلارتيبارتفاست: «هل فهمتما أساس القضية؟»

قال آرثر: «كنت دهشاً ومذهولاً».

قال فورد الذي ظهر في هذه المرحلة: «كنت نائماً، هل فاتني شيء؟»

وجدوا أنفسهم من جديد يتأرجحون بسرعة على حافة جرف مرتفع بشكل مخيف. تحركت الرياح من وجوههم وعبرت خليجاً توجد فيه بقايا

أعظم وأقوى الأساطيل الحربية الفضائية التي حُشدت في تاريخ المجرة، حيث احترقت هذه البقايا عكسياً بنشاط وعادت إلى الوجود. كان لون السماء زهريّاً حزيناً، وكان يشتد لونها قتامة من خلال لون غريب إلى الأزرق ومن ثم الأسود. تلاطم الدخان خارجاً من السماء بسرعة مذهلة.

كانت الأحداث تمر عكسياً إلى جانبهم بسرعة أكبر من أن يتمكن المرء من تمييزها، ولاحقاً عندما ابتعدت عنهم مسرعة سفينة فضاء حربية كأنهم قالوا لها «بوو»، لم يميّزوها إلا على أنها النقطة التي وصلوا إليها.

كانت الأشياء الآن سريعة للغاية، عبارة عن غشاوة فيديو ملموس دفعتهم وهزّتهم عبر قرون من التاريخ المجرّي، وهم ينعطفون، يلتوون، ويترجرجون. كان الصوت مجرد اهتزاز ضئيل.

دورياً، وعبر خليط الأحداث المتكاثف، كانوا يشعرون بالكوارث المروّعة، بالرعب العميق، بالصدمات النفسية العنيفة التي كانت دائماً مرتبطة بصور محددة ومتكررة، كانت الصور الوحيدة التي ظهرت بوضوح من كتلة التاريخ المنهارة هي بوابة ويكيت، كرة حمراء صغيرة وصلبة، روبوتات بيضاء وصلبة، وشيء أقل وضوحاً، شيء داكن وضبابي.

إنما كان هنالك إحساس آخر انبثق بوضوح من مرور الوقت المرتعش.

مجرد سلسلة بطيئة من النقرات التي عندما تسرّعها فإنك ستفقد قدرة تحديد كل نقرة على حدة، وبالتدريج ستأخذ خاصية النغمة الثابتة والمتصاعدة، وكذا أخذت سلسلة من الانطباعات المنفردة خاصية العاطفة الثابتة، ومع ذلك فهي ليست عاطفة. وإن كانت عاطفة، فهي بكل تأكيد

عاطفة من دون انفعال. كانت كرهاً، كرهاً حقوداً. كانت باردة، لكن ليس مثلما يكون الجليد بارداً، بل مثلما يكون الحائط بارداً. كانت مجهولة، ليس مثلما تكون اللكمة في منتصف الحشد مجهولة، بل مثلما تكون استدعاءات القضاء التي يصدرها الحاسوب فيما خص ركن السيارات مجهولة. وكانت مميتة، مجدداً، ليس مثلما تكون الرصاصة أو المدية مميتة، بل مثلما يكون حائط قرميدي في منتصف طريق سريع مميتاً.

ومع التغيّر الذي سيطرأ على النغمة المتصاعدة لتأخذ إيقاعات مع تصاعدها، وكذا مجدداً بدا أن هذه العاطفة الخالية من الانفعال تتصاعد إلى حد لا يطاق كأنها صرخة غير مسموعة، وبدت أنها في حين غرة، صرخة ذنب وفشل.

وفجأة توقفت.

لقد تُرِكوا واقفين على قمة تلة في ليلة هادئة.

كانت الشمس تغرب.

امتدّ بلطف إلى الأفق الخضرة الريفية المتموجة برقة من حولهم. غنّت العصافير حول ما عنى لهم الأمر برمّته، وبدا أنّ رأيهم حيال الأمر جيّد. أتى صوت الأطفال وهم يلعبون من على طريق صغير بعيد، وعلى مسافة أبعد قليلاً من مصدر ذلك الصوت ظهرت تخوم بلدة صغيرة في ضوء المغيب الباهت.

بدا أن البلدة تتكون على نحو كبير من مبان خفيضة إلى حد كبير، مصنوعة من الحجارة البيض، وملأت المنحنيات الوديعة واللطيفة خط الأفق.

غربت الشمس تقريباً.

بدأت الموسيقا من العدم على ما يبدو، سحب سلارتيبارتفاست مفتاحاً فتوقفت.

قال صوت: «هذا»...، سحب سلارتيبارتفاست مفتاحاً وتوقف الصوت.

قال سلارتيبارتفاست بهدوء: «سأخبركما بالقصة.»

كان المكان هادئاً، وشعر آرثر بالسعادة، حتى فورد بدا مبتهجاً، مشوا في طريق قصير باتجاه البلدة، وكان الوهم المعلوماتي للأعشاب من تحت أقدامهم سارّاً ومرناً، أما الوهم المعلوماتي الخاص بالأزهار فكان حلواً وعطراً. وحده سلارتيبارتفاست من بدا قلقاً وتعساً بعض الشيء.

توقف ونظر إلى الأعلى.

خطر في بال آرثر فجأة أن هنالك شيئاً بغيضاً يوشك أن يحدث، بالنظر إلى ما وصلوا إليه في النهاية، كما يقال، أو بالأحرى بالنظر إلى ما اختبروه على نحو مبهم من رعب في البداية.

كان يشعر بالأسى من التفكير في أن شيئاً بغيضاً قد يحدث لمكان مسالم وآمن مثل هذا المكان، فنظر هو الآخر إلى الأعلى، لكن لم يكن هنالك من شيء في السماء.

قال: «هجومهم هنا ليس قريباً، أليس كذلك؟» أدرك أن ما كان يختبره مجرد تسجيل، لكنه ما يزال يشعر بالانزعاج.

قال سلارتيبارتفاست بصوت ارتجف من العاطفة على حين غرة: «لا شيء يدلّ على هجوم وشيك هنا، بدأ كل شيء هنا، هذا هو المكان بعينه، هذا هو كوكب كريكت».

حدق إلى الأعلى في السماء.

كانت السماء من أفق إلى آخر، من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، سوداء بشكل كامل تماماً.

الفصل العاشر

صوت خطا غاضبة.

صوت انفتاح باب.

- «مسرور لخدمتك».

- «اخرس».

- «شكراً لك».

المزيد من صوت الخطا الغاضبة.

صوت انفتاح باب.

- «شكراً لك لجعل باب بسيط في غاية السعادة».

- «أتمنى أن تفسد أنصاف نواقلك».

صوت خطا غاضبة.

صوت انفتاح باب.

- «من دواعي سروري أن أُفتح لك»...

- «اغرب عن وجهي».

- «... ويسبب لي الراحة أن أُغلق مجدداً بمعرفتي أن العمل تم على أحسن وجه».

-«قلتُ اغرب عن وجهي».

- «شكراً لإصغائك إلى هذه الرسالة».

صوت خطا غاضبة.

- «ووب».

توقف زيفود عن خبط الأرض، كان لأيام يذرع قلب الذهب ولم يقل له أي باب «ووب». كان واثقاً تماماً أنه لم يقل له أي باب الآن «ووب»، فهي لم تكن من الأشياء التي تقولها الأبواب، كانت مختصرة جداً، أضف إلى أنه لم يكن يوجد العدد الكافي من الأبواب، بدت كأنها صوت مئة ألف شخص يقولون «ووب»، وهذا ما حيّره لأنه كان الشخص الوحيد على السفينة.

كان المكان مظلماً، معظم الأنظمة غير الأساسية كانت مطفأة. كانت السفينة تنجرف إلى منطقة بعيدة من المجرة، عميقاً في قلب سواد الفضاء الداكن. لذا فمن هم المئة ألف شخص بالتحديد الذين سيظهرون في هذه المرحلة ليقولوا كلمة «ووب» غير متوقعة إطلاقاً؟

نظر حوله على طول الرواق، خيّم ظل قاتم، لم يكن هنالك سوى محيط شكل الأبواب باللون الزهري الباهت الذي كان يومض في الظلام ويتذبذب عندما يتكلمون، على الرغم من أنه جرب الوسائل كافة ليجعلهم يتوقفون عن الكلام.

كانت الأضواء مطفأة لذا تمكن رأساه من تجنّب النظر إلى بعضهما، لأنّ أحداً منهما لم يكن فاتناً للنظر إليه حالياً على وجه الخصوص، ولم يكونا كذلك منذ أن اقترف خطأ النظر في روحه.

كان خطأً بالفعل، وبالطبع، كانت في وقت متأخر من إحدى الليالي.

لقد كان يوماً عصيباً بالطبع.

كانت هنالك موسيقا عاطفية على نظام السفينة الصوتي بالطبع.

وكان هو، بالطبع، ثملاً بعض الشيء.

بتعبير آخر، تم تطبيق كل الظروف الاعتيادية التي تتسبب بالتفتيش عن الروح، لكنها كانت بلا ريب وبوضوح خطأ.

بينما هو واقف وحده وبصمت في الرواق المظلم تذكّر اللحظة وارتجف. نظر كل من رأسيه في اتجاه مختلف وقرر كل منهما أن الطريق من الجهة الأخرى.

أصاخ السمع لكنه لم يتمكن من سماع شيء.

كل ما هنالك كان «الووب».

بدا أن جلب هذا الكم الهائل من الناس لمجرد أن يقولوا كلمة واحدة أمر متعب إلى أبعد حد.

راح زيفود يتقدم تدريجياً وبتوتر باتجاه منصة ربّان السفينة، ففي الأقل، هنالك يشعر بأنه مسيطر. توقف مجدداً، ما كان يشعر به هو أنه ليس شخصاً مناسباً جداً ليكون مسيطراً.

كانت أول صدمة نفسية في تلك اللحظة، بعد تفكيره في ما حصل، هي اكتشافه أن لديه روحاً في الواقع.

لقد افترض على نحو أو آخر أن لديه روحاً بما أن لديه مجموعة كاملة من كل شيء آخر، وبالطبع لديه اثنان من بعض الأشياء، لكن المواجهة المفاجئة للشيء الذي يختبئ عميقاً في داخله تسببت له بمضايقة شديدة.

وبعدها اكتشف (كانت هذه الصدمة الثانية) أن هذه الروح لم تكن بالشيء الرائع تماماً، إذ إنه شعر أن رجلاً بمكانته كان من حقّه الطبيعي توقع أن تكون رائعة، وهذا ضايقه من جديد.

ومن ثم فكر حول ماهية مكانته الفعلية فكادت الصدمة المتجددة تجعله يُسقط شرابه، فأفرغ كأسه بسرعة قبل أن يحصل لها أي شيء خطير، ومن ثم تناول كأساً أخرى لتلحق بالأولى وتتحقق من أن كل شيء على ما يرام.

قال بصوت مرتفع: «حريّة».

صعدت تريليان في تلك اللحظة إلى منصة ربّان السفينة وقالت أشياء عدة مشجعة فيما خص موضوع الحرية.

قال بسوداوية: «لا أستطيع تحملها،» وتجرّع كأساً ثالثة لتتفقد سبب تأخر الثانية في إرسال تقرير عن حالة الأولى. نظر من غير ثقة إلى الاثنتين منها وفضّل التي إلى الجهة اليمنى.

صب شراباً في حلقه الآخر وهو مصمم على أنه سيقطع الطريق على سابقه، ينضم إليه، ومن ثم يجعلان معاً الثاني يستجمع قواه، ومن ثم ينطلقون ثلاثتهم للبحث عن الأول، يتحدثون إليه مطوّلاً وربما يغنون له أيضاً.

لم يكن متأكداً من أن الرابع فهم الأمر برمته، لذا أرسل خامساً ليشرح الخطة باستفاضة أكبر، وسادساً للدعم المعنوي.

قالت تريليان: «أنت تشرب كثيراً».

تصادم رأساه وهو يحاول ترتيب الأربع من تريليان اللاتي يراهن الآن في موقع واحد، فاستسلم للأمر ونظر إلى شاشة الملاحة فكان مذهولاً لكثرة النجوم التي تمكن من رؤيتها.

تذمّر قائلاً: «متعة ومغامرة وأشياء جامحة بحق».

قالت تريليان بنبرة صوت عطوف وهي تجلس إلى جانبه: «اسمع، من المفهوم تماماً أنك ستشعر بالضياع لفترة».

نظر إليها وأجفل منها، فهو لم يسبق له أن رأى أحداً يجلس في حضن نفسه من قبل.

قال: «واو،» واحتسى كأساً آخرى.

- «لقد أنهيت المهمة التي كنتَ موكلاً بها لسنوات».

- «لم أكن موكلاً بها، حاولت أن أتجنب ذلك».

- «ومع ذلك فلقد أنهيتها».

أصدر صوتاً شنيعاً، بدا أن هنالك حفلاً هائلاً في معدته.

قال: «أعتقد أنها أنهتني، ها أنا ذا، زيفود بيبلبروكس، أستطيع الذهاب إلى أي مكان، أفعل أي شيء، أملك أعظم سفينة عرفتها السماء، وفتاة تفهم الأمور على نحو جيد كما يبدو»...

- «هل هذه الأمور كذلك؟»

- «حسبما أعتقد، فأنا لست خبيراً في العلاقات الشخصية»...

رفعت تريليان حاجبيها.

أضاف قائلاً: «أنا شخص فريد في نوعه، أستطيع فعل أي شيء أريده لكنني ببساطة لا أملك أدنى فكرة عن ماهيّة ذلك الشيء».

توقف قليلاً.

قال مضيفاً: «توقف شيء ما على نحو مفاجئ عن التسبب بأشياء أخرى»، وهو يناقض نفسه فقد احتسى كأساً أخرى من الشراب وانزلق عن كرسيّه بطريقة بشعة.

وبينما كان ينام على الموضوع أجرت تريليان بحثاً صغيراً في نسخة السفينة من دليل المسافر إلى المجرّة. فقد كان لدى الدليل بعض النصائح ليقدمها في حالات السكر.

يقول الدليل: «انطلق بالأمر، وحظاً سعيداً».

كان مرجعاً مرتبطاً في التدليل مع مدخل آخر يتعلق بحجم الكون وطرائق التعايش مع ذلك.

وجدت تريليان بعد ذلك مدخلاً عن «هان واقل»، كوكب عطلات غريب جداً، وواحد من معاجز المجرّة.

هان واقل هو كوكب يتكون على نحو كبير من فنادق خرافية عالية الفخامة ونوادٍ، تشكلت كلها بفعل عوامل الحت والتعرية الطبيعية للرياح والأمطار.

إن احتمالية حدوث ذلك هي تقريباً واحد من اللانهاية، المعلومات حول تشكل ذلك قليلة لأن أحداً من علماء فيزياء الأرض، خبراء إحصاء الاحتمالية، محللي الظواهر الجويّة أو علماء الظواهر الشاذة المتحمسين جداً لدراستها، لم يتمكن من دفع تكاليف النزول هناك.

فكّرت تريليان لنفسها، رائع، وفي غضون ساعات قليلة كانت السفينة العظيمة التي تشبه حذاء الركض تتباطأ نازلة من السماء تحت شمس حارة ولامعة باتجاه معبر فضاء رملي ملوّن بشكل صارخ. كانت السفينة تتسبب باهتياج على الأرض، وكانت تريليان تستمتع بنفسها، سمعت زيفود يتحرك في الأرجاء وهو يصفر في مكان ما على السفينة.

قالت عبر نظام المخاطبة العام: «كيف حالك؟»

قال بابتهاج: «بخير، جيد بشدة».

- «أين أنت؟»

- «في الحمّام».

- «ما الذي تفعله؟»

- «أبقى هنا».

بعد ساعة أو ساعتين بدا جليّاً أنه يقصد ما يقوله وعادت السفينة إلى السماء من دون أن تفتح بواباتها حتى مرة.

قال الحاسوب إيدي: «يا للملل».

هزّت تريليان رأسها بصبر، ونقرت بأصابعها مرتين، ومن ثم ضغطت مفتاح نظام المخاطبة.

- «أظن أن إجبارك على المرح ليس بالشيء الذي تريده في هذه المرحلة».

رد زيفود من حيث كان: «في الأغلب لا».

- «أعتقد أن تحدياً بدنياً قد يساعد في إخراجك مما أنت فيه».

قال زيفود: «أعتقد أي شيء تعتقدينه».

كانت «الاستحالات الاستجمامية» وجهة لفتت نظر تريليان عندما جلست بعد وهلة وهي تقلّب في الدليل، ومع تسارع قلب الذهب بسرعات غير محتملة إلى وجهة غير محددة، ارتشفت تريليان من كوبها الذي يحتوي شراباً لا يمكن شربه من وعاء (النوتري-ماتيك) للمشروبات، وقرأت عن كيفية الطيران.

يقول دليل المسافر إلى المجرة التالي عن موضوع الطيران.

هنالك فن، أو بالأحرى حيلة للطيران، كما يقول.

تكمن الحيلة في أن تتعلم كيف ترمي بنفسك على الأرض ولا تصبها.

اختر يوماً لطيفاً وجرّب، كما يقترح.

الجزء الأول سهل.

كل ما يتطلبه هو ببساطة قدرتك على رمي نفسك إلى الأمام بكامل وزنك وإرادتك بألا تفكر أن الأمر سيكون مؤلماً.

إذ إن الأمر سيكون مؤلماً لو أخطأت في ألّا تصيب الأرض.

يفشل معظم الناس في ألّا يصيبوا الأرض، وإن كانوا حقاً يجرّبون بدقّة، فالأرجح أنهم سيفشلون في ألّا يصيبوها بقوة كبيرة.

من الواضح أن النقطة الثانية، عدم الإصابة، هي التي تشكل الصعوبات.

وهنالك مشكلة أخرى تتلخص في أنه عليك ألّا تصيب الأرض مصادفة. فلا تصلح النية المتعمّدة بعدم إصابة الأرض لأنك لن تفلح في

الأمر. عليك أن تشتت انتباهك فجأة بشيء آخر في حين أنت في منتصف الطريق، بحيث لا تفكر بعد ذلك في السقوط، أو الأرض، أو الألم الذي سيتسبب به الفشل في عدم إصابتها.

من الصعوبة بمكان أن تجرّ انتباهك بعيداً عن هذه الأمور الثلاثة في غضون جزء الثانية الذي تملكه تحت تصرفك. من هنا يأتي معظم فشل الناس، وخيبة أملهم النهائية من هذه الرياضة المثيرة والمبهجة.

إنما، إن كنت محظوظاً كفاية ليتشتت انتباهك لحظياً في اللحظة الحاسمة بوساطة، ولنقل اثنين من الأرجل الجميلة (مجسّات، أقدام كاذبة، بحسب النوع الحيواني أو النزعة الشخصية) أو قنبلة تتوقف عن الانفجار إلى جوارك، أو أن تكتشف على نحو مفاجئ نوعاً نادراً جداً من الخنافس تزحف على طول غصين قريب، عندئذ خلال ذهولك لن تصيب الأرض إطلاقاً وستبقى تتمايل على ارتفاع إنشات عدة فوقها بحماقة.

هذه لحظة من التركيز الفخم والدقيق.

تمايل وعُمْ، عُمْ وتمايل.

تجاهل كل اعتبار لوزنك ودع جسمك يندفع إلى الأعلى ببساطة.

لا تستمع إلى ما يقولونه لك في هذه المرحلة لأن من غير المحتمل أن يقولوا أي شيء مفيد.

بل في الأغلب أن يقولوا شيئاً من قبيل: «يا إلهي، لا يمكن أن تطير بالفعل».

إنه لذو أهمية حيوية ألّا تصدقهم وإلا فإنهم سيصبحون على صواب فجأة.

اندفع إلى الأعلى أكثر فأكثر.

جرّب بعض الانقضاضات، المعتدلة في البداية، ومن ثم انجرف فوق قمم الأشجار وأنت تتنفس بانتظام.

لا تلوّح لأحد.

حينما تفعل ذلك مرات عدة فستكتشف أن تحقيق لحظة تشتيت الانتباه أصبح أسهل بكثير وأسرع.

حينذاك، ستتعلم كل الأشياء عن كيفية التحكم بطيرانك، سرعتك، قدرتك على المناورة، وتكمن الحيلة في ألا تفكر بجدية كبيرة حول أي شيء تريد فعله، بل بأن تدع الشيء يحصل كأنه سيحصل في أي حال.

كما ستتعلم كيف تهبط على نحو دقيق، إذ إن الهبوط شيء من شبه المؤكد أنك ستفسده، وستفسده بشدة، في محاولتك الأولى.

هنالك نوادي طيران خاصة يمكنك الانضمام إليها لتساعدك في تحقيق لحظة تشتيت الانتباه فائقة الأهمية. يوظفون أناساً بأجسام فاتنة أو آراء مذهلة ليقفزوا من خلف شجيرات فيعرضون هذه الأجسام أو يشرحون تلك الآراء في اللحظات الحاسمة. يتمكن القليل من المسافرين الطفيليين الحقيقيين من دفع تكاليف الانضمام إلى هذه الأندية، لكن بعضهم قد يتمكن من الحصول على وظيفة مؤقتة فيها.

قرأت تريليان كل ذلك بلهفة، لكنها قررت على مضض أن زيفود ليس بالحالة النفسية أو الجسمانية المناسبة للطيران، أو للمشي عبر الجبال، أو لمحاولة جعل خدمة برانتيسقوغان المدنية تعترف ببطاقة تغيير العنوان، حيث إن هذه الأمور كانت مدرجة ضمن الأشياء الأخرى تحت ترويسة «استحالات استجمامية».

عوضاً عن ذلك، طارت بالسفينة إلى «ألوسيمانيوس سينيكا»، وهو كوكب من الجليد، الثلج، جمال أخّاذ وبرد مذهل. الرحلة من أراضي «ليسكا» الثلجية إلى قمة «أهرامات ساستانتوا البلورية الجليدية» طويلة ومرهقة، حتى مع دراجات ثلجية وفريق من كلاب سينيكا الثلجية، لكن المنظر من الأعلى، منظر يضم حقول أنهار الجليد في «سْتِن»، الجبال الموشورية التي تومض والأضواء الجليدية السماوية التي تتراقص من بعيد، هو منظر يجمّد العقل في البدء ومن ثم يطلق سراحه إلى آفاق من الجمال لم يختبرها من قبل.

انحدروا إلى مدار منخفض.

وضعوا جمال ألوسيمانيوس سينيكا الفضيّ الأبيض تحتهم.

بقي زيفود في فراشه برأس موضوع تحت الوسادة وآخر يحل الكلمات المتقاطعة لوقت متأخر من الليل.

أمالت تريليان رأسها بصبر من جديد، وبدأت تعدّ إلى رقم مرتفع على نحو كافٍ، وأخبرت نفسها بأن الشيء المهم الآن هو جعل زيفود يتكلم فقط.

بوساطة قوة تثبيط جميع تجهيزات المطبخ الآلية، حضّرت ألذ وجبة تمكنت من اختراعها، وجبات مزيّتة بشكل لطيف، فواكه عطرة، أجبان لطيفة الرائحة، ونبيذ (ألدالباري) ممتاز.

حملتها إليه وسألته إن كان يريد التحدث بالأمور.

قال زيفود: «اغربي عن وجهي».

هزت تريليان رأسها بصبر لنفسها، وعدت إلى رقم أكبر من السابق، وقذفت الصينية برفق جانباً، ثم مشت إلى غرفة الناقل ونقلت نفسها خارج حياته.

حتى إنها لم تبرمج أي إحداثيات، ولم يكن لديها أدنى فكرة عن وجهتها، لقد ذهبت وحسب، صفّ عشوائي من النقاط يسيل عبر الكون.

قالت لنفسها وهي تغادر: «أي شيء أفضل من هذا».

دمدم زيفود لنفسه: «أحسنت صنعاً أيضاً،» وتقلّب في فراشه ولم يفلح في النوم.

خطا زيفود في اليوم التالي في الأروقة الفارغة للسفينة بقلق، وهو يتظاهر بأنه لا يبحث عن تريليان، على الرغم من أنه عرف أنها ليست هناك. تجاهل طلبات الحاسوب كثيرة الشكوى لمعرفة ما الذي يجري بحق الجحيم في المكان عن طريق وضع مسد إلكتروني صغير في اثنتين من وحداته الفرعية.

بدأ بإطفاء الأنوار بعد وهلة، ولم يكن هنالك ما يُرى، لم يكن هنالك ما سيحصل.

وبينما هو مستلق في الفراش في إحدى الليالي، إذ إن الليالي كانت مستمرة عملياً في السفينة، قرر أن يستجمع قواه، ويضع الأمور في منظور ما. وقف برشاقة وبدأ يلبس بعض الملابس. لقد حكم أنه لا بد من وجود شخص في الكون بائس ومثير للشفقة ومنبوذ أكثر منه، وقرر أن يبدأ رحلة البحث عنه.

في منتصف الطريق إلى منصة ربّان السفينة خطر له أن مارڤن يمكن أن يكون ذلك الشخص، فعاد إلى الفراش.

بعد ساعات عدة، وبينما هو يمشي خابطاً رجليه ومنفطر القلب في الأروقة المظلمة شاتماً الأبواب المبتهجة، سمع «الووب»، فتوتر جداً.

اتكأ على حائط الرواق وعبس مثل رجل يحاول أن يفك برغياً لولبياً بقواه الذهنية. وضع أطراف أصابعه على الحائط فأحس باهتزاز غير طبيعي. وتمكن من سماع أصوات ضعيفة بوضوح، وتمكن من معرفة المكان الذي تأتي منه، كانت هذه الأصوات تأتي من منصة ربّان السفينة.

هسهس قائلاً: «حاسوب؟»

قالت وحدة الحاسوب الفرعية الأقرب إليه همساً أيضاً: «ممم؟»

«هل هنالك أحد على السفينة؟»

قال الحاسوب: «مممم».

- «من؟»

قال الحاسوب: «مممم ممم مممم».

- «ماذا؟»

- «مممم ممم مم مممممممم».

وضع زيفود أحد وجهيه في اثنتين من أيديه.

تمتم لنفسه: «يا زاركوان،» ثم حدّق إلى نقطة بعيدة في بداية الرواق باتجاه مدخل المنصة حيث كان يأتي المزيد من الأصوات القوية، وحيث كانت الوحدات الفرعية المسدودة متموضعة.

هسهس مجدداً: «حاسوب،»

- «مممم؟»

- «حينما أنزع السدادات منك»...

- «مممم».

- «ذكرني كي ألكم نفسي على فمي».

- «مممم ممم؟»

- «أي فم، الآن أخبرني، مرة واحدة تعني نعم، اثنتان تعني لا، هل الأمر خطير؟»

- «مممم».

- «هل هو كذلك؟»

- «مممم».

- «أنت لم تقل 'مممم' مرتين أليس كذلك؟»

- «ممم ممم».

- «هممممم».

سار ببطء إلى أول الرواق كأنه يفضل أن يهرول إلى آخره، وكان ذلك صحيحاً.

على مسافة ياردتين من الباب المؤدي إلى المنصة أدرك فجأة وبذعر أن الباب سيكون لطيفاً معه، فوقف متجمداً. لم يتمكن من إطفاء دارات الكياسة الصوتية للأبواب.

إنّ مدخل المنصة كان محجوباً عن الرؤية من داخلها بسبب الطريقة المثيرة والمكتنزة التي تم تصميم المنصة بها لتتقوس، وكان زيفود يأمل في أن يدخل من دون أن يُلاحظ.

اتكأ بقنوط على الحائط من جديد وقال بعض الكلمات التي كانت صادمة لرأسه الآخر عندما سمعها.

حدق اللون الزهري الخافت لمحيط الباب، واكتشف أنه في ظلمة الرواق قد يتمكن من حلّ حقل الاستشعار، الذي يمتد في الرواق ليخبر الباب عند وجود أحدهم ليفتح له وليعطيه تعليقاً لطيفاً ومبتهجاً.

ضغط نفسه بقوة على الحائط وتقدم تدريجياً باتجاه الباب، مسطّحاً صدره بأقصى ما يستطيع ليتجنب الاحتكاك بحدود الحقل الخارجية الباهتة جداً. حبس نَفَسَه وهنّأ نفسه لأنه استلقى في الفراش عابساً في الأيام القليلة الماضية عوضاً عن أن ينفّس عن مشاعره على جهاز موسّع الصدر في الصالة الرياضية الخاصة بالسفينة.

حين ذاك أدرك أن عليه أن يتكلم في هذه المرحلة.

أخذ سلسلة من الأنفاس السريعة، ومن ثم قال بأسرع وأهدأ ما يمكنه: «أيها الباب، إن كنت تستطيع سماعي، أخبرني بذلك بهدوء كبير جداً».

تمتم الباب بهدوء كبير جداً: «أستطيع سماعك».

- «جيد، الآن بعد لحظة سأطلب إليك أن تفتح، فلا أريدك أن تقول إنك استمتعت بالأمر عندما تفتح، موافق؟»

- «موافق».

- «ولا أريدك أن تخبرني بأنني جعلت باباً بسيطاً في غاية السرور، أو أنه من دواعي سرورك أن تفتح لي، ومن أسباب راحتك أن تغلق مجدداً عارفاً بأن الأمر تم على أحسن ما يرام، موافق؟»

- «موافق».

- «ولا أريدك أن تطلب إليّ تمضية يوم سعيد، هل فهمت؟»

- «فهمت».

قال زيفود وهو يشد من رباطة جأشه: «حسناً، افتح الآن».

فُتِح الباب بهدوء، وانسل زيفود عبره بهدوء، انغلق الباب من خلفه بهدوء.

قال الباب بصوت مرتفع: «هل هذه هي الطريقة التي تعجبك يا سيد بيبلبروكس؟»

قال زيفود لمجموعة الروبوتات البيض التي استدارت لتحدّقه في هذه اللحظة: «أريدكِ أن تتخيلي أن لدي مسدس كيل-و-زاب سريع خارق القوة في يدي».

كان هنالك صمت هائل موحش وبارد، نظرت إليه الروبوتات بعيون ميتة وشنيعة. وقفت بسكون تام، وكان هنالك شيء رهيب بشدة في مظهرها، بالنسبة إلى زيفود، على وجه الخصوص، هو لم يرَ واحداً منها من قبل، ولم يعرف شيئاً عنها. تعود حروب الكريكت إلى تاريخ قديم في المجرة، حيث أمضى زيفود معظم دروس التاريخ الأولى وهو يخطط كيف سيتمكن من ممارسة الجنس مع الفتاة من المهجع الافتراضي إلى جواره، وبما أن حاسوبه التدريسي كان جزءاً تكاملياً من هذه الخطة، مسح الحاسوب في النهاية كل دارات التاريخ الخاصة به، واستبدلها بمجموعة مختلفة تماماً من الأفكار التي تسببت لاحقاً بأن يتم هجره وإرساله إلى مأوى للمصفوفات الافتراضية المنحطة، حيث تبعته الفتاة التي وقعت في حب هذا الحاسوب التعس من غير قصد، وكانت النتيجة هي **(أ)** أن زيفود لم يتمكن من الاقتراب من الفتاة و**(ب)** أنه فوّت فترة من التاريخ القديم كانت لتكون نفيسة له في هذه اللحظة.

حدقّ زيفود إليها مصدوماً.

من المستحيل تفسير السبب لكن أجسامها البيض الصقيلة والملساء كانت تجسيداً مطلقاً للشر الرصين الصرف. بدا، من عيونها الميتة والشنيعة، إلى أقدامها القوية التي لا حياة فيها، أنها النتاج المدروس لفكر أراد ببساطة القتل. بلع زيفود ريقه بخوف تام.

كانت تفكك جزءاً من حائط المنصة الخلفي، وقد فتحت ممراً عبر بعض الأجزاء الداخلية الحيوية من السفينة. تمكن زيفود عبر الحطام المتشابك أن يرى، بصدمة أكبر وأسوأ، أنها كانت تفتح أنفاقاً باتجاه قلب

السفينة مباشرة، قلب محرك اللااحتمالية، الذي تم صنعه على نحو غامض من العدم، قلب الذهب نفسه.

كان الروبوت الأقرب إليه يعاينه بطريقة بدا أنه يقيس فيها كل جزيء صغير من جسمه، عقله وقدراته. ولما تكلم بدا أن ما قاله يحمل هذا الانطباع. إنما، قبل الذهاب إلى ما قاله، من الجدير بالذكر أنه في هذه المرحلة كان زيفود أول مخلوق عضوي حي يسمع أحداً من هذه المخلوقات يتكلم منذ ما يزيد عن عشرة مليارات سنة. فلو أنه اعتنى بدروس التاريخ القديم أكثر من اعتنائه بشخصه العضوي لكان من الممكن أن يتأثر أكثر بهذا الشرف.

كان صوت الروبوت مثل جسمه، بارداً، صقيلاً وبلا حياة. كانت فيه خشونة ثقافية تقريباً. بدا عتيقاً مثل الروبوت.

قال الروبوت: «لديك مسدس كيل-و-زاب سريع في يدك».

لوهلة لم يفهم زيفود ما قصده الروبوت، لكن بعد ذلك نظر نظرة خاطفة إلى يده وارتاح لرؤية أن ما وجده معلقاً على مسند الحائط كان حقاً ما ظنّه.

قال بنوع من السخرية، التي كانت تتطلب براعة: «نعم، حسناً لا أريد أن أرهق مخيلتك أيها الروبوت». للحظة لم يقل أحد شيئاً، وأدرك زيفود أن من الواضح أن الروبوتات لم تكن هنا لإجراء محادثات، وأن الأمر منوط به.

قال وهو يومئ بأحد رأسيه بالاتجاه المناسب: «لا أستطيع تجاهل ركن سفينتكم عبر سفينتي».

لم يكن هنالك شك في ذلك، فلقد تجسدت سفينتهم حيث أرادوا لها ذلك بالضبط من دون الأخذ في الحسبان أي نوع من السلوك البُعْدِي المناسب، وكان ذلك يعني أنها تثبتت ببساطة عبر قلب الذهب كأنها مشطان.

مجدداً لم يصدر أي رد على ما سبق، وتساءل زيفود ما إن كان سيعطي زخماً للمحادثة لو أنه صاغ دوره في شكل أسئلة.

أضاف: «... أليس كذلك؟»

قال الروبوت: «نعم».

قال زيفود: «حسناً، ما الذي تفعلونه هنا أيها المحتالون؟»

صَمْت.

قال زيفود: «أيتها الروبوتات، ما الذي تفعلينه هنا أيتها الروبوتات؟»

قال الروبوت بصوت خشن: «لقد أتينا من أجل ذهب العارضة».

أومأ زيفود برأسه، وهزّ مسدسه من أجل إسهاب أكثر، وبدا أن الروبوت فهم ذلك.

تابع الروبوت: «العارضة الذهبية جزء من المفتاح الذي نحن في طلبه لإطلاق سراح أسيادنا من كريكت».

أومأ زيفود برأسه مجدداً، وهزّ مسدسه مجدداً.

تابع الروبوت ببساطة: «تحلل المفتاح في الزمان والمكان، إن العارضة الذهبية متموضعة في الجهاز الذي يحرّك سفينتك. سيجري إعادة وضعها في المفتاح، وسوف يتم إطلاق سراح أسيادنا. وستستمر عملية إعادة الضبط الكونية».

أومأ زيفود برأسه مجدداً.

قال: «ما الذي تتحدث عنه؟»

بدا أن تعبيراً طفيفاً من الانزعاج عبر وجه الروبوت الخالي من التعابير كليّاً. بدا أنه يجد هذه المحادثة مؤسفة.

قال الروبوت: «إزالة». ثم كرر: «نحن نريد المفتاح، لدينا العمود الخشبي، العمود المعدني، والعمود الزجاجي. في غضون ثوان ستكون لدينا العارضة الذهبية»...

«لا لن تفعلوا».

صرّح الروبوت: «سنفعل».

- «لا لن تفعلوا، إنها تجعل سفينتي تعمل».

كرر الروبوت بصبر: «في غضون لحظة ستكون لدينا العارضة الذهبية»...

قال زيفود: «لن تأخذوها».

قال الروبوت بكل جديّة: «وبعد ذلك يجب أن نذهب إلى حفل».

قال زيفود وقد أجفل: «أوه، هل يمكنني المجيء؟»

قال الروبوت: «لا، سنطلق النار عليك».

قال زيفود وهو يهزّ مسدساً: «آه حقاً؟»

قال الروبوت: «نعم،» وأطلقوا النار عليه.

كان زيفود مدهوشاً من أنه كان عليهم أن يطلقوا النار عليه من جديد قبل أن يسقط.

الفصل الحادي عشر

قال سلارتيبارتفاست: «صه، راقب واستمع».

كان قد خيّم الليل على كوكب كريكت القديم، كانت السماء كالحة وفارغة، والضوء الوحيد كان قادماً من بلدة قريبة حيث يأتي منها أيضاً بهدوء عبر النسيم أصوات مرحة وسارّة. وقفوا تحت شجرة أطلقت عطورها الزكية من حولهم. جثم آرثر واستشعر الوهم المعلوماتي للتربة والأعشاب، مررها عبر أصابعه. بدت التربة ثقيلة وغنية، والأعشاب قوية. كان من الصعب تجنّب الانطباع بأن هذا المكان كان مبهجاً تماماً من النواحي كافة.

إلا أن السماء كانت فارغة على نحو كامل، وبدت لآرثر أنها تتسبب بقشعريرة فوق المشهد الذي، لو لم تكن السماء مرئية، كان من ناحية أخرى شاعرياً. ومع ذلك، افترض آرثر، أن الأمر منوط بما أنت معتاد عليه.

شعر بنقرة على كتفه ونظر إلى الأعلى، كان سلارتيبارتفاست يحاول توجيه انتباهه بهدوء إلى شيء في الأسفل من الجهة الأخرى للتلة. نظر ولم يتمكن سوى من رؤية أضواء باهتة تتراقص وتتمايل وتتحرك ببطء باتجاههم.

ومع اقترابهم أصبحت الأصوات مسموعة أيضاً، وسريعاً ما تحولت الأضواء الخافتة والأصوات إلى مجموعة صغيرة من الناس الذين كانوا يتجهون إلى منازلهم عبر التلة باتجاه البلدة.

مشوا بالقرب من المراقبين الذين كانوا تحت الشجرة وهم يؤرجحون فوانيس جعلت الأضواء الرقيقة والواهنة ترقص خلال الأشجار والأعشاب، يدردشون برضا، وفي الواقع يغنون أغنية حول كم كان كل شيء لطيفاً بشدة، كم كانوا سعداء، وكم كانوا يستمتعون بالعمل في المزرعة، وكم من اللطيف أن يذهبوا إلى بيوتهم ليروا زوجاتهم وأولادهم، مع كَوْرَس مغنٍّ ليظهر أن عبق الأزهار كان لطيفاً مميزاً في هذه الفترة من السنة، وأن من المؤسف أن الكلب قد مات لأنه أحبهم كثيراً. كان آرثر أوشك أن يتخيل «بول ماكارتني»[1] يجلس رافعاً قدميه إلى جانب النار ليلاً، وهو يدندن بذلك لليندا ويتساءل ما الذي سيشتريه من العائدات، ويفكر في أنه في الأغلب سيشتري إيسيكس[2].

لهث سلارتيبارتفاست بنبرة كئيبة: «أسياد كريكت».

أتت هذه الملاحظة قاسية على الأفكار التي كان يستمتع بها آرثر حول إيسيكس فتسببت له بلحظة من الارتباك. ومن ثم فرض منطق الوضع نفسه على دماغه المشتت، واكتشف أنه لم يفهم بعد ما يعنيه الرجل العجوز.

قال: «ماذا؟»

قال سلارتيبارتفاست مجدداً: «أسياد كريكت،» إن كان قد بدا لهاثه كئيباً في السابق فهذه المرة بدا كأنه شخص في الجحيم مصاب بالالتهاب الشُعَبيّ.

---

(١) Paul McCartney مغنٍ ومؤلف وعازف بريطاني – المترجم.

(٢) Essex مقاطعة في جنوب شرق إنكلترا – المترجم.

حدّق آرثر إلى الجماعة وحاول أن يفهم المعلومة الصغيرة التي بحوزته في هذه المرحلة.

كان الناس في المجموعة غرباء تماماً، فقط لأنهم بدوا أكثر طولاً، ضعفاء، شديدي النحول وشاحبين إلى درجة البياض، لكن في ما عدا ذلك بدوا لطفاء رائعين، ربما غريبي الأطوار بعض الشيء، حيث لم يكن لأحد بالضرورة أن يمضي معهم رحلة حافلة طويلة، لكن المسألة كانت كالتالي، إن هم انحرفوا بأي شكل عن كونهم أناساً طيبين ويتمتعون بالاستقامة فبسبب أنهم كانوا لطفاء أكثر من كونهم غير لطفاء على نحو كاف. لذا لم كل هذه الأصوات الخشنة من رئتي سلارتيبارتفاست التي قد تبدو ملائمة أكثر لإعلان على الراديو عن واحد من تلك الأفلام البغيضة التي تروي قصة شخص يستخدم منشاراً كهربائياً ويأخذ عمله معه إلى البيت؟

ومن ثم هنالك فكرة الكريكت هذه، كانت صعبة أيضاً. فهو لم يفهم جيداً بعد الصلة بين ما عرفه كرياضة الكريكت وما...

قطع في تلك اللحظة سلارتيبارتفاست سلسلة أفكاره كأنه يستشعر ما يجري في دماغ آرثر.

قال: «إن اللعبة التي تعرفها بأنها كريكت،» كان صوته لا يزال يبدو تائهاً في ممرات خفيّة، «هي مجرد واحدة من المسوخ الغريبة للذاكرة العرقية التي تستطيع الاحتفاظ بالصور حية في الدماغ بعد دهور من ضياع معناها الحقيقي في غشاوات الزمن. بين كل الأعراق في المجرّة، لم يتمكن أحد سوى الإنكليز من إحياء ذكرى أكثر الحروب التي مرّت على الكون رعباً وتحويلها إلى ما يؤسفني أن يُعدّ على نطاق واسع لعبة مملة، غريبة وتافهة».

أضاف: «وعلى العكس، فأنا شخصياً مولع بها، لكنكم في نظر معظم الناس متهمون على نحو غير متعمّد بأشنع ذوق. بالتحديد في ما خص الكرة الصغيرة الحمراء التي تصدم الويكت، ذلك مقزز جداً».

قال آرثر: «إم،» بعبسة تأملية تشير إلى أن نقاط الاشتباك العصبي الإدراكية لديه تقوم بحل هذه المعضلة بأفضل ما يمكنها، «إم».

قال سلارتيبارتفاست وهو يختفي في تجويف ساكن ويشير إلى مجموعة من رجال كريكت الذين تجاوزوهم الآن «وهؤلاء هم الذين بدؤوا الأمر كله، وسيبدأ الأمر الليلة، تعالا، سنتبعهم، ونرى لِمَ».

انزلقوا من تحت الشجرة وتبعوا العصبة المبتهجة على طول طريق التلة الداكنة. أوحت إليهم غريزتهم الطبيعية بأن يخطوا بهدوء وخلسة في سعيهم وراء طريدتهم، ولأنهم كانوا يمشون في وهم معلوماتي كان بإمكانهم ببساطة أن يحملوا معهم أبواقاً وأزهار النّيلج من دون أن تنتبه إليهم طريدتهم.

لاحظ آرثر أن زوجاً من أعضاء العصبة بدؤوا الآن بغناء أغنية مختلفة، تحرك صوت الأغنية إليهم بخفّة عبر هواء الليل الرقيق، وكانت أغنية شعبية حلوة وخيالية إلى درجة أنها يمكن أن تُربِحَ ماكارتني مقاطعتي كينت وإيسيكس وتمكنّه من حصد عرض مناسب لمقاطعة هامبشاير.

قال سلارتيبارتفاست لفورد: «من المؤكد أنك تعرف ما الذي سيحصل بعد قليل؟»

قال فورد: «أنا؟ لا».

«ألم تتعلم التاريخ المجريّ القديم عندما كنت طفلاً؟»

- «كنت في المهجع الافتراضي خلف زيفود، وكان ذلك مشتتاً للانتباه كثيراً، لكن لا يمكن القول إنني لم أتعلم بعض الأشياء الفاتنة جداً».

لاحظ آرثر في تلك المرحلة مزية غريبة للأغنية التي كانت العصبة تغنيها. فلقد وُجِدَ في المقطع الثاني، الذي كان له أن يعزز وجود ماكارتني في وينشيستر ويسمح له بالتركيز على الحصص الفخمة من نيو فوريست خلف تيست ڤالي، بعض من الكلمات الغريبة. فلقد كان الكاتب يشير إلى لقاء مع فتاة ليس «تحت القمر» أو «تحت النجوم» بل «فوق الأعشاب»، وهذا ما صدم آرثر كونه مبتذلاً بعض الشيء. ومن ثم نظر إلى الأعلى مجدداً إلى السماء السوداء المذهلة، وشعر على نحو واضح بوجود نقطة مهمة هنا، لو تمكن فقط من فهم ماهيتها. لقد جعلته يشعر بأنه وحيد في الكون، وهذا ما قاله.

قال سلارتيبارتفاست وهو يسرع قليلاً في مشيته: «لا، لم يفكر شعب كريكت إطلاقاً في أنفسهم بأنهم 'وحيدون في الكون.' إنهم محاطون بغمامة غبار كبيرة، كما ترى، هي شمسهم الوحيدة مع كوكبها الوحيد، وهم يقعون في أقصى الحافة الشرقية من المجرّة. لم يكن هنالك ما يمكن رؤيته في السماء بسبب غمامة الغبار. في المساء تكون السماء فارغة تماماً وفي النهار هنالك الشمس، لكنك لا تتمكن من النظر مباشرة إليها، لذا فهم لا يفعلون ذلك. إنهم بعناء منتبهون إلى وجود السماء، كأن لديهم نقطة عمياء تمتد ل ١٨٠ درجة من أفق إلى أفق.

كما تعلم، فإن السبب وراء أنهم لم يفكروا 'بأننا وحيدون في الكون' هو أنهم حتى هذه الليلة لم يعلموا بوجود الكون، حتى هذه الليلة».

تابع مسيره تاركاً الكلمات تصدح في الهواء خلفه.

قال: «تخيل عدم التفكير حتى 'بأننا وحيدون' لسبب بسيط هو أنه لم تخطر في بالك أي طريقة أخرى للوجود».

وتابع تقدمه من جديد.

ثم أضاف: «أخشى أن الأمر سيكون مثيراً للأعصاب بعض الشيء».

ومع تكلمه انتبهوا إلى ضجة هادرة خفيفة عالياً في السماء فوقهم. نظروا إلى الأعلى بذعر، لكن لثانية أو ثانيتين لم يتمكنوا من رؤية أي شيء.

لاحظ آرثر أن الناس في العصبة التي أمامهم قد سمعوا الضجيج، لكن لم يدر أحد منهم ما يفعل تجاهه، كانوا ينظرون حولهم برعب، يساراً، يميناً، إلى الأمام، إلى الخلف، حتى على الأرض. لم يخطر في بالهم أن ينظروا إلى الأعلى.

كان عمق الرعب والصدمة، الذين صدرا عنهم بعد لحظات عدة، عندما أتى حطام سفينة الفضاء المشتعل مندفعاً وصارخاً من السماء، متحطماً على بعد نصف ميل من مكان وجودهم، شيء يجب أن تكون هناك لتختبره.

تكلم بعضهم عن سفينة قلب الذهب بأصوات هادئة، وبعضهم عن سفينة الفضاء بيستروماث.

تكلم الكثيرون عن سفينة الفضاء العملاقة والأسطورية تايتانيك، وهي سفينة رحلات فخمة ومترفة أُطلقت من مجمعات الكويكبات العملاقة لبناء السفن في آرتيفاكتوقول منذ مئة سنة، ولسبب مقنع.

كانت جميلة بامتياز، كبيرة على نحو مذهل، ومجهزة بلطف أكثر من أي سفينة في بقايا التاريخ حالياً (راجع الملاحظة في الأسفل فيما خص حملة التوقيت الحقيقي) لكن من سوء حظها أنها بُنِيَت في الأيام الأولى لفيزياء اللااحتمالية، قبل أن يتم فهم هذا الفرع الصعب واللعين من العلوم على نحو كامل، أو على الإطلاق.

قرر المهندسون والمصممون، ببراءة، أن يبنوا أنموذجاً من حقل اللااحتمالية فيها، الذي كان يعني، كما افترضوا، ضمانة أنه من غير المحتمل مطلقاً أن يحدث أي خطأ في أي جزء من السفينة.

لم يدركوا أنه بسبب الطبيعة الدائرية والمعكوسة ظاهرياً لكل حسابات اللاحتمالية، فإن أي شيء غير محتمل الحدوث مطلقاً هو مرجّح جداً للحدوث على الفور تقريباً.

كانت سفينة الفضاء تايتانيك منظراً جميلاً على نحو هائل وهي مركونة إلى الشاطئ مثل حوت ميغاڤويد الأريكتاري وسط الزخارف المضاءة بالليزر لجسور ودعامات بنائها، فكانت كحشد متألق من مسامير وأبر الضوء مقابل السواد القاتم للسفر بين النجوم؛ لكن حينما أُطلقت لم تتمكن من إكمال أول رسالة إذاعية لها – نداء استغاثة – قبل أن تخضع على نحو مفاجئ لفشل تام وغير مسوّغ في الوجود.

إنما، على الرغم من ذلك فإن الحدث الذي كان شاهداً على الفشل المشؤوم لواحد من العلوم في مهده شهد أيضاً تمجيداً لعلم آخر. فلقد بُرهن على نحو حاسم أن عدد الناس الذين شاهدوا إطلاق السفينة عبر تغطية

التري-دي كان في الواقع أكبر من عدد الناس الموجودين أساساً في وقتها، وعُدّت هذه كواحدة من أعظم إنجازات العلم في مجال أبحاث الجمهور.

وثمة حدث آخر من أحداث الإعلام المثيرة في ذلك وقت كان الانفجار الكبير الذي تعرض له نجم (إسلودنس) بعد ساعات عدة، حيث إن إسلودنس هو النجم الذي يعيش، أو بالأحرى، عاش حوله معظم ضامني سندات التأمين الرئيسيين في المجرة.

فيما خص هذه السفن الفضائية، وسفن فضاء أخرى عظيمة يمكن أن تخطر في البال مثل، سفن حرب الأسطول المجريّ: الجي إس إس ديرينغ، الجي إس إس أوداسي، والجي إس إس سويسايدال إنسانيتي[1]، فإنه يتم التكلم عنها جميعها برهبة، فخر، حماس، عاطفة، إعجاب، ندم، حسد، استياء، وفي الواقع يتم التكلم عنها بمعظم العواطف المعروفة، لكن السفينة التي تسبب الذهول الحقيقي كانت سفينة كريكت، أول سفينة يبنيها شعب كريكت على الإطلاق. ليس لأنها سفينة رائعة، هي لم تكن كذلك.

كانت قطعة خرقاء من الخردة، بدت كأنها صُنعت بسرعة في الفناء الخلفي لمنزل أحدهم، وفي الحقيقة، ذلك هو الموضع الفعلي لتصنيعها السريع.

لم يكن الشيء المذهل في هذه السفينة أنها جيدة، فهي لم تكن كذلك، بل كان أنها صُنعت أساساً. المدة الزمنية التي انقضت بين لحظة اكتشاف سكان كريكت أن هنالك شيئاً يدعى فضاء ولحظة إطلاق سفينتهم الفضائية الأولى كانت سنة بالتمام.

---

(١) Suicidal Insanity: الجنون الانتحاري.

كان فورد بريفيكت، وهو يحزّم نفسه داخلها، ممتناً لكون ذلك مجرد وهم معلوماتي، ولذلك فهو في مأمن تام. في الحياة الواقعية لم يكن ليخطو في داخلها ولو قُدِّم له كل نبيذ الأرزّ في الصين. كان ليخطر في بالك عبارة «متقلقلة جداً» وعبارة «رجاء، هل لي أن أخرج؟»

قال آرثر: «هل ستطير هذه؟» وهو ينظر بكآبة إلى شبكة الأنابيب والكابلات المتداخلة ببعضها، التي تدلت وزينت داخل السفينة الضيّق.

أكد له سلارتيبارتفاست أنها ستطير، وأنهم آمنون تماماً، وأن الأمر سيكون تثقيفياً على نحو كبير، وليس مزعجاً في الإطلاق.

قرر فورد وآرثر أن يسترخيا وينزعجا.

قال فورد: «لم لا، أتجنّ؟»

يوجد أمامهم ثلاثة طيارين غير مدركين في الإطلاق وجودهم بسبب أنهم لم يكونوا هناك فعلاً. كان هؤلاء الطيارون قد بنوا السفينة أيضاً. كانوا على طريق التلة في تلك الليلة يغنون أغاني لطيفة ومشجعة. لم تكن أدمغتهم قد استوعبت تماماً التحطم القريب لسفينة الفضاء الغريبة. أمضوا أسابيع وهم يجرّدون حطام تلك السفينة المحترقة من أدق أسراره، في حين هم يغنّون أغاني قصيرة ومرحة عن تجريد السفن الفضائية. بعد ذلك، بنوا سفينتهم فكانت هذه هي النتيجة. كانت هذه سفينتهم، وكانوا حالياً يغنون أغاني صغيرة عن ذلك الأمر أيضاً، يعبّرون فيها عن السعادة المزدوجة التي خلفها كل من الإنجاز والامتلاك. كان الكَوْرَس مؤثراً بعض الشيء، فكان يحكي عن محنتهم في أن عملهم أبقاهم لساعات طويلة في المرآب، بعيداً عن

صحبة زوجاتهم وأطفالهم، الذين اشتاقوا إليهم بشدة، لكنهم أبقوهم سعيدين بإخبارهم قصصاً متواصلة عن كيفية أن الجرو كان ينمو بلطف.

صدر صوت قوي، وأقلعوا.

هدروا في السماء كسفينة تعرف ما تفعله تماماً.

لما استعاد فورد وعيه من صدمة التسارع بعد لحظة وهم يصعدون خارج غلاف الكوكب الجوي قال: «مستحيل،» وكرر: «مستحيل أن يصمم أحدهم سفينة كهذه ويبنيها في غضون سنة، بغض النظر عن مدة استمتاعه بالأمر، لا أصدق ذلك، حتى لو أثبت لي ذلك فلن أصدقه».

هز رأسه بتفكّر وحدّق خارجاً إلى اللاشيء عبر نفق صغير.

مرت الرحلة من دون أحداث تذكر، وعمد سلارتيبارتفاست إلى تسريع الشريط خلالها.

لذا، وصلوا بسرعة إلى المحيط الداخلي لفجوة، غيمة غبار دائرية أحاطت بالشمس وبكوكبهم الأم، فكانت تحتل بطبيعة الحال المدار التالي المتجه إلى الخارج.

بدا الأمر كأن هنالك تغيراً تدريجياً في بنية واتساق الفضاء، بدت الظلمة تصغر وتتموج خلفهم، كانت ظلمة باردة جداً، ظلمة عقيمة وثقيلة، كانت ظلمة السماء في ليالي كريكت.

أطبقت برودتها وظلمتها وعقمها على قلب آرثر ببطء، وقد شعر أنه مدرك بحدة لمشاعر طياري كريكت الذين تعلقوا في الهواء كشحنة ساكنة كثيفة. كانوا الآن على تخم معرفة تاريخية بالنظر إلى عرقهم، كان هذا هو الحد

الذي لم يتصور ما بعده أحد منهم على الإطلاق، أو عرف حتى أن هنالك ما يمكن تصوّره.

ضربت ظلمة الغيمة السفينة. في داخلها كان هناك صمت التاريخ. تلخصت مهمتهم التاريخية في أن يكتشفوا إن كان هناك أحد ما أو مكان ما في الجانب المقابل من السماء، من حيث يمكن أن تكون أتت سفينة الفضاء المتحطمة ، كوكب آخر ربما، على الرغم من غرابة وصعوبة فكرة كهذه على العقول المطوّقة لهؤلاء الذين عاشوا تحت سماء كريكت.

كان التاريخ يستجمع قواه ليوجه ضربة أخرى.

ظلت الظلمة العقيمة التي تطوقهم تهمهم لهم، بدت أقرب أكثر فأكثر، وكثيفة أكثر فأكثر، وأثقل أكثر فأكثر، وفجأة اختفت.

طاروا خارج الغيمة.

شاهدوا جواهر الليلة المذهلة في غبارها اللامتناهي، وغنّت عقولهم بخوف.

تابعوا الطيران لوهلة، من دون حركة في مواجهة امتداد المجرّة المزدان بالنجوم، التي هي بحد ذاتها من دون حراك في مواجهة امتداد الكون غير المحدود. ومن ثم استداروا.

قال رجال كريكت وهم يتوجهون عائدين إلى الوطن: «يجب أن تختفي».

في طريق عودتهم غنّوا عدداً من الأغاني الرخيمة والتأملية عن موضوعات السلام، العدل، الأخلاق، الثقافة، الرياضة، الحياة الأسرية وعن إزالة أشكال الحياة الأخرى كافة.

الفصل الثاني عشر

بينما راح سلارتيبارتفاست يحرك قهوته المحضرة صناعياً، وبذلك يحرك معها أسطح الدوامات الواصلة بين الأرقام الحقيقية والخيالية، بين مدركات العقل والكون التفاعلية، فكان بذلك يولّد المصفوفات المعاد تشكيلها للذاتية المغلّفة ضمنياً ما سمح لسفينته بإعادة بناء مبادئ الوقت والمكان، قال: «هل رأيت كيف هي الحال؟»

قال آرثر: «نعم».

قال فورد: «نعم».

قال آرثر: «ما الذي عليّ فعله بقطعة الدجاج هذه؟»

نظر إليه سلارتيبارتفاست برزانة وقال: «العب بها، العب بها». وبيّن له كيفية ذلك بقطعته.

فعل آرثر ذلك، وشعر بوخز الوظيفة الرياضية الخفيف يُثار عبر ساق الدجاجة وهي تحرك فضاءً رباعي الأبعاد مع أن سلارتيبارتفاست قد أكد له أنه خماسي الأبعاد.

قال سلارتيبارتفاست: «تحول شعب كريكت بأكمله في ليلة وضحاها من كونهم فاتنين، مُبهِجين، أذكياء»...

أقحم آرثر نفسه بالقول: «... مع أنهم أناس غريبون»...

تابع سلارتيبارتفاست: «... عاديين، إلى أناس فاتنين، مُبهِجين، أذكياء»...

- «... غريبي الأطوار»...

- «... مصابون بجنون الرهاب من الأجانب. كما يقال، فإن فكرة الكون لم تتناسب مع رؤيتهم للعالم. ببساطة، لم يستطيعوا تحمّل الفكرة. لذا، قرروا على نحو فاتن، مبهج، ذكي، وغريب، إن أحببت، أن يدمّروا الكون. ما المشكلة الآن؟»

قال آرثر وهو يشتمّ النبيذ: «لا يعجبني النبيذ كثيراً».

- «حسناً، أعدها، إنها جزء من رياضياتها».

فعل آرثر ذلك، لم تعجبه طبوغرافية ابتسامة النادل، وهو لم يعجب بالرسوم البيانية في أي حال.

قال فورد: «إلى أين نحن ذاهبون؟»

قال سلارتيبارتفاست وهو ينهض ويربت على فمه بتمثيل رياضي لمنديل ورقي: «سنعود إلى غرفة الوهم المعلوماتي، من أجل النصف الثاني».

الفصل الثالث عشر

قال سيادة سمّوه القضائي، القاضي باغ، (ممج: متعلم، متجرّد، مسترخ جداً) رئيس مجلس القضاة في محكمة جرائم حرب كريكت: «إن شعب كريكت، حسناً، كما تعلمون، إنهم جماعة من الأشخاص المحبوبين، كما تعلمون، الذين اتفق لهم أن يريدوا قتل الجميع. يا للجحيم، أشعر الشعور نفسه في بعض الأيام، سُحقاً».

تابع وهو يرفع رجله على المقعد أمامه ويتوقف للحظة من أجل أن يمسك بخيط من حذاء الشاطئ الرسمي خاصته: «حسناً، فليس من الضروري أن تشاركوا المجرة مع هؤلاء الناس».

كان ذلك صحيحاً، فهجوم كريكت على المجرة كان مذهلاً، قفزت آلاف مؤلفة من سفن حرب كريكت من الفضاء الفوقي وهاجمت في وقت واحد آلاف مؤلفة من الكواكب الرئيسة، فكانوا يسيطرون أولاً على التجهيزات الحيوية كي يبنوا موجة الهجوم التالية، ومن ثم يعملون على محو هذه الكواكب من الوجود.

اضطربت المجرة، التي كانت في وقتها تعيش فترة من السلام والرخاء غير المعهودين، كرجل هوجم من الخلف في مرج أخضر.

تابع القاضي باغ وهو ينظر في قاعة المحكمة الحديثة جداً (كان ذلك منذ عشرة مليارات سنة، عندما كانت تعني كلمة «حديثة جداً» الكثير من

الفولاذ المقاوم للصدأ والإسمنت المنعّم): «أقصد أن هؤلاء الأشخاص قلقون فقط».

كان ذلك صحيحاً أيضاً، وكان التفسير الوحيد، الذي تمكن أي شخص من التفكير فيه، للسرعة غير المعقولة التي كان يسعى فيها شعب كريكت خلف هدفه الجديد والجوهري: تدمير كل شيء لا يمت إلى كريكت بصلة.

كان ذلك أيضاً التفسير الوحيد لتمكنهم المفاجئ والمذهل من الاستحواذ على التكنولوجيا المتقدمة التي يحتاجونها في بناء آلاف السفن الفضائية الخاصة بهم، والملايين من روبوتاتهم البيض المميتة.

لقد أوقعت هذه الروبوتات الذعر في قلوب كل الذين واجهوها، على الرغم من أن هذا الذعر كان قصير الأمد في معظم الحالات، كحال الشخص الذي يتعرض لهذا الذعر. كانت آلات حرب طائرة وحشية ومصمِّمة. كانت هذه الروبوتات تستخدم مضارب حرب مرعبة متعددة الوظائف ببراعة، بحيث إنها لو لوّحت بها بطريقة ما فإنها ستهدّم مباني، وبطريقة أخرى تطلق أشعة أومني-ديستركتو زاب الحارقة، وبطريقة ثالثة كانت تطلق مخزناً بشعاً من القنابل التي تتراوح بين رمانات حرق بسيطة ورمانات ماكسي-سلورتا النووية الفائقة، التي يمكن لها أن تدمر شمساً كبيرة. كانت القنابل تعد للإطلاق في وقت واحد بمجرد ضربها بالمضارب الحربية، وكان يتم إطلاقها بدقة استثنائية على مسافات تتراوح من ياردات عدة إلى مئات الآلاف من الأميال.

قال القاضي باغ مجدداً: «حسناً، إذاً فقد ربحنا». توقف قليلاً ومضغ علكة صغيرة وكرر: «ربحنا، لكن ذلك ليس بالشيء العظيم، أقصد أنها مجرة متوسطة الحجم ضد كوكب صغير وحيد، وكم من الوقت لزمنا لذلك؟ يا كاتب المحكمة؟»

قال الرجل الصغير المتزمت الذي يرتدي ثياباً سوداً وهو يقف: «سيدي؟»

- «كم من الوقت يا فتى؟»

- «سيدي، من الصعب قليلاً أن أكون دقيقاً في هذه المسألة، الوقت والمسافة»...

- «استرخ يا رجل، كن تقريبياً»

- «لا يعجبني أن أكون تقريبياً يا سيدي في شيء»...

- «قرر، وكن تقريبياً».

طرفت عيني كاتب المحكمة إلى القاضي. من الواضح أنه، مثل معظم أهل مهنة القانون المجريين، وجد أن القاضي باغ (أو زيبو بيبروك ٥\١٠٨، إذ إن هذا كان، لسبب غير مفهوم، اسمه الخاص) شخصية مزعجة كثيراً. كان وغداً ذا مرح صاخب، فهو يعتقد، كما يبدو، أن حقيقة امتلاكه لأفضل عقل قانوني في الإطلاق، أعطته الصلاحية لأن يتصرف على هواه تماماً، ويا للأسف، بدا أنه على حق.

تمتم الكاتب بتعاسة: «إيه، حسناً، سيدي، بشكل تقريبي جداً، لألفي سنة».

- «كم شخصاً اختفى؟»

«غريليونين يا سيدي». جلس الكاتب، وكانت صورة هيدروسبيكتية له في هذه اللحظة لتُظهر أن الأبخرة كانت تتصاعد منه قليلاً.

جال القاضي باغ ببصره في قاعة المحكمة، حيث اجتمع المئات من أرفع الموظفين من كل حكومات المجرة، وكل منهم يرتدي زيّه أو جسمه الرسمي، بحسب الأيض والعرف.

وقفت خلف حائط زجاجي مضاد لرصاص (زاب) مجموعة تمثل شعب كريكت، ينظرون باشمئزاز هادئ ووقور إلى كل الغرباء المجتمعين لإصدار حكم بحقهم. كانت هذه أخطر مناسبة في تاريخ القضاء، وكان القاضي باغ يعلم ذلك.

أخرج العلكة وألصقها تحت كرسيّه.

قال بهدوء: «هذا كثير جداً».

بدا أن الصمت المتجهم في قاعة المحكمة مناسب لهذه الفكرة.

- «إذاً، كما قلت، هنالك جماعة من الأناس اللطفاء جداً، لكنكم لا تريدون مشاركة المجرة معهم، إن هم أصروا على ما يفعلونه، إن هم لم يتعلموا أن يسترخوا قليلاً. أقصد أن الأمر سيكون متوتراً باستمرار، أليس ذلك صحيحاً؟ بو، بو، بو، متى سيأتون إلينا مجدداً؟ التعايش السلمي موجود، أليس كذلك؟ فليحضر لي أحدهم بعض الماء، شكراً لك».

ارتد إلى الخلف وارتشف الماء بتأمل.

قال: «حسناً، اسمعوني جيداً، يبدو الأمر كأن هؤلاء الأشخاص مخولون بنظرتهم الخاصة إلى الكون، كما تعلمون. وبحسب نظرتهم التي أجبرهم بها الكون، فلقد فعلوا الأمر الصحيح. يبدو الأمر جنونياً، لكنني أعتقد أنكم ستوافقون. إنهم يؤمنون بـ»...

راجع قطعة من الورق كانت في الجيب الخلفي لسروال الجينز القضائي خاصته.

«إنهم يؤمنون "بالسلام، العدل، الأخلاق، الثقافة، الرياضة، الحياة الأسرية وإزالة أشكال الحياة الأخرى كافة"».

هز كتفيه وقال: «سمعت أسوأ من ذلك بكثير».

حكّ بين فخذيه متأملاً. قال: «أووووف،» وارتشف من الماء، رفع الكأس إلى الضوء في الأعلى وعبس فيها ثم أدارها.

قال: «هيه، هل يوجد شيء في هذا الماء؟»

قال حاجب المحكمة، الذي جلب الماء، متوتراً: «إيـ، لا يا سيدي».

قال القاضي باغ على نحو خاطف: «خذها إذاً، وضع شيئاً فيها، لدي فكرة».

دفع الكأس بعيداً واتكأ إلى الأمام قائلاً: «أنصتوا إلي جيداً».

كان الحلّ ذكياً جداً وفق النحو التالي:

يتم الإغلاق على كوكب كريكت إلى الأبد في غلاف زمن-بطيء، حيث تستمر الحياة داخله ببطء لا متناه. سيتم عكس كل الضوء حول الغلاف ليبقى الأخير غير مرئي وغير قابل للاختراق. سيكون الهروب من الغلاف مستحيلاً تماماً إلا إذا قُفل من الخارج.

لما وصل الكون إلى نهايته، ولما وصل جميع الخلق إلى لحظاتهم الأخيرة (كان كل ذلك، بالطبع، في الفترة التي سبقت معرفة أن نهاية الكون ستكون مغامرة مطعم مثيرة) وتلاشت الحياة والمادة، خرج كوكب كريكت وشمسه من غلاف الزمن-البطيء وتابع وجوده وحيداً، مثلما كان يرغب، في فجر الفراغ الكونيّ.

سيكون القفل كويكباً يدور في مدار الغلاف ببطء.

سيكون المفتاح رمز المجرّة – بوابة ويكيت.

في الوقت الذي خمد فيه التصفيق في المحكمة كان القاضي باغ في حمامه السينس-و-شاور مع عضو، أنثى لطيفة من المحلّفين كان قد أرسل إليها قصاصة ورق قبل ذلك بنصف ساعة.

الفصل الرابع عشر

بعد شهرين كان زيبو بيبروك ٥ \ ١٠٨ قد قص الجزء السفلي من سروال الجينز المجريّ الرسمي خاصته، وكان ينفق جزءاً من الأجر الضخم الذي استحقته أحكامه بالتمدد على شاطئ مرصع بالجواهر، ويستمتع بتدليك ظهره بخلاصة كوالاكتين من قبل عضو المحلفين اللطيفة نفسها. كانت فتاة سولفينية ممّا وراء كوكب الغيوم في يادا. كانت بشرتها مثل الحرير الليموني، وكانت تهتم جداً بالأشخاص الذين يعملون في القانون.

قالت: «هل سمعت الأخبار؟»

قال زيبو بيبروك ٥ \ ١٠٨: «وييييلاااااا!»، وكان يجب أن يكون المرء هناك ليعرف بالضبط لم قال ذلك. إذ إنه لم يكن هنالك شيء من ذلك على شريط الوهم المعلوماتي، بل كان كله مبنياً على الشائعة.

أضاف قائلاً: «لا،» بعد أن توقف الشيء الذي تسبب له بقول «وييييلاااااا» عن الحدوث. حرك جسمه قليلاً لينعم بالأشعة الأولى للشمس الثالثة والأعظم من شموس ڤود البدائية التي كانت الآن تزحف فوق الأفق الجميل جداً، فكانت السماء الآن تلتمع ببعض من أعظم القوى المسببة للسمرة على الإطلاق.

هبّ نسيم معطر من البحر الهادئ، تنقّل على طول الشاطئ ومن ثم انزلق إلى البحر مجدداً، متسائلاً أين يمكنه الذهاب لاحقاً. وبنزوة مجنونة صعد إلى الشاطئ مجدداً وعاد أدراجه إلى البحر.

تمتم زيبو بيبروك ٥ \ ١٠٨: «أتمنى ألّا تكون أخباراً سارّة، لأنني لا أعتقد أنني أستطيع تحملها».

قالت الفتاة بفخامة: «حكمك فيما خص كريكت نُفّذ اليوم».

لم يكن من الضروري قول شيء واضح كهذا بفخامة، لكنها فعلت ذلك في أي حال لأن هذا اليوم كان مؤاتياً. قالت: «سمعته عبر الراديو، حين عدت إلى السفينة من أجل الزيت».

تمتم زيبو: «آها،» وأراح رأسه على رمال الجواهر.

قالت: «حصل شيء ما».

- «ممم؟»

قالت: «بعد أن قُفل غلاف الزمن-البطيء،» وتوقفت للحظة عن التدليك بخلاصة الكوالاكتين، «تبين في النهاية أن هنالك سفينة كريكت حربية مفقودة كان يفترض أنه تم تدميرها. ظهرت وحاولت أن تستولي على المفتاح».

جلس زيبو بحدة وقال: «هيه، ماذا؟»

قالت بصوت يمكنه أن يهدّئ الانفجار الكبير: «إن الأمر على ما يرام، يبدو أنه كانت هنالك حرب قصيرة. تحطم المفتاح والسفينة الحربية وذبلا في سلسلة الزمان والمكان، ويبدو أنهما ضاعا إلى الأبد».

ابتسمت، ووضعت المزيد من خلاصة كوالانتين على أطراف أصابعها.

استرخى زيبو وتمدد إلى الخلف. تمتم قائلاً: «افعلي ما فعلته منذ دقيقة أو دقيقتين».

قالت: «ذلك الشيء؟»

قال: «لا، لا، ذلك الشيء».

جرّبت مجدداً وسألت: «ذلك الشيء؟»

- «وييييلاااا!»

مجدداً، يجب أن تكون هناك.

صعد نسيم معطر من البحر مجدداً.

تجوّل ساحر على طول الشاطئ، لكن لم يكن أحد يحتاجه.

الفصل الخامس عشر

قال سلارتيبارتفاست وقد ترجرج وجهه باحمرار من ضوء الشمعة التي كان الروبوت النادل يحاول أن يأخذها: «لا شيء مفقود إلى الأبد، ما عدا كاتدرائية كاليزم».

قال آرثر وقد فوجئ: «ماذا؟»

كرر سلارتيبارتفاست: «كاتدرائية كاليزم، كان ذلك إبان فترة أبحاثي في حملة الزمن الحقيقي إذ إنني»...

قال آرثر مجدداً: «ماذا؟»

توقف العجوز قليلاً ولملم أفكاره، في حين أمل أن يكون آخر جملة في قصته، تحرك الروبوت النادل عبر مصفوفات الزمان والمكان بطريقة رائعة جمعت بين الخشونة والتذلل، مد يده على نحو خاطف إلى الشمعة وأمسك بها. كانوا قد حصلوا على الفاتورة، وتناقشوا على نحو مقنع حول من تناول لفائف اللحم وكم زجاجة من النبيذ تناولوا، وبما أن آرثر لم يكن مدركاً بشكل كافٍ، فقلد تمكنوا من المناورة بالسفينة وإخراجها من الفضاء المحسوس إلى مدار ركن حول كوكب غريب. كان النادل الآن توّاقاً إلى إنهاء دوره في التمثيلية وتنظيف المقهى.

قال سلارتيبارتفاست: «سيكون كل شيء واضحاً»،

- «متى؟»

- «في غضون دقيقة، اسمع، تيارات الزمن ملوّثة جداً الآن، هنالك الكثير من القذارة التي تتحرك فيها، حطام وأشياء متروكة، وتجري إعادة المزيد والمزيد منها إلى العالم الطبيعي. (إيدي) في سلسلة الزمان والمكان كما ترى».

قال آرثر: «هذا ما أسمعه».

قال فورد وهو يدفع بكرسيّه إلى الخلف بسأم بعيداً عن الطاولة: «اسمع، إلى أين نحن ذاهبون؟ لأنني متلهّف للوصول إلى هناك».

قال سلارتيبارتفاست بنبرة موزونة وبرويّة: «سنحاول أن نمنع روبوتات كريكت الحربية من استرداد كامل المفتاح الذي يحتاجونه لفتح قفل كوكب كريكت من غلاف الزمن-البطيء وإطلاق باقي جيشهم وأسيادهم المجانين».

قال فورد: «كل ما هنالك أنك ذكرت الحفل».

قال سلارتيبارتفاست: «قلت». وأرخى رأسه.

أدرك أن ذلك كان خطأً، لأنه بدا أن الفكرة تمارس تخيلات غريبة وغير سليمة في عقل فورد بريفيكت. فكلما أسهب سلارتيبارتفاست في سرده لقصة كوكب كريكت وشعبه المأساوية والمظلمة ازداد طلب فورد لأن يشرب كثيراً ويرقص مع الفتيات.

شَعَرَ العجوز بأنه ما كان ينبغي له أن يذكر الحفل حتى يصبح مجبراً على ذلك. إنما، ها هي ذي، استُبيحت الحقيقة، والتصق بها فورد بريفيكت بالطريقة نفسها التي يلتصق بها الطفيلي الأريكتوري الهائل بضحيته قبل أن يقضم رأسها ويهرب بسفينتها.

قال فورد بتوق: «متى نصل إلى هناك؟»

- «عندما أنتهي من إخبارك بالسبب الذي يستوجب علينا الذهاب إلى هناك».

قال فورد: «أعرف لم أنا ذاهب،» واتّكأ إلى الخلف واضعاً يديه خلف رأسه، أطلق واحدةً من ابتساماته التي كانت تتسبب بالشلل للناس.

كان سلارتيبارتفاست يأمل بتقاعد سلس.

كان يخطط لتعلم العزف على (الأوكترافينترال هيبيفون) وهي، كما يعلم، مهمة غير مجدية على نحو سار لأن لديه العدد الخطأ من الأفواه.

كان أيضاً يخطط لكتابة مقالة شاذة وغير صحيحة على نحو مؤسف عن موضوع المضائق البحرية الاستوائية من أجل التضليل حول مسألة أو اثنتين كان يراهما مهمتين.

جرى إقناعه عوضاً من ذلك بالقيام ببعض الأعمال الإضافية لحملة الزمن الحقيقي، وراح يأخذها على محمل الجد لأول مرة في حياته. ونتيجة لذلك، وجد نفسه يمضي معظم سنواته التي تذبل بسرعة يقاتل الشر ويحاول أن ينقذ المجرّة.

وجد ذلك عملاً مضنياً، وتنهد بعمق.

قال: «اسمع، في حملة الزمن»...

قال آرثر: «ماذا؟»

- «في حملة الزمن الحقيقي، التي سأخبرك عنها لاحقاً، لاحظت خمس قطع من المخلفات التي عادت إلى الوجود في وقت قريب نسبياً وهي تتوافق

مع القطع الخمس للمفتاح المفقود. تمكنت من اقتفاء أثر قطعتين فقط بدقة: العمود الخشبي، الذي ظهر على كوكبك، والعارضة الفضية. يبدو أنهما موجودان في حفل أو ما شابه. علينا أن نذهب إلى هناك ونستعيدهما قبل أن تجدهما روبوتات كريكت، وإلا فمن يعلم ما قد يحدث؟»

قال فورد بصلابة: «لا، يجب أن نذهب إلى الحفل كي نسرف في الشرب ونرقص مع الفتيات».

- «إنما، ألم تفهم كل ما...؟»

قال فورد بعنف مفاجئ وغير متوقع: «نعم، لقد فهمت كل ذلك على نحو ممتاز، لذلك السبب أريد أن أحتسي قدر ما أستطيع، وأرقص مع أكبر عدد من الفتيات، في حين لا يزال هنالك بعض من كل ذلك. إن كان كل ما أريتنا إياه صحيحاً»...

- «صحيح؟ بالتأكيد هو صحيح».

- «...إذاً، ليس لدينا حتى فرصة حلزون في النجاة من انفجار نجمي».

قال آرثر بحدة مجدداً: «ماذا؟» كان يتتبع مجرى المحادثة بعناد حتى هذه اللحظة وكان متحمساً كي لا يفقد طرفها الآن.

كرر فورد من دون أن يفقد زخمه: «فرصة حلزون في النجاة من انفجار نجمي»

- «ال»...

قال آرثر: «ما علاقة الحلزون بالانفجار النجمي؟»

قال فورد ممهداً: «ليس لديه فرصة للنجاة».

توقف قليلاً ليرى إن كانت المسألة قد توضحت. أخبرته نظرات الارتباك الجديدة التي تسلقت وجه آرثر أن المسألة لم تتوضح.

قال فورد بأسرع وأوضح ما يمكنه: «إن الانفجار النجمي هو عبارة عن نجم ينفجر بنصف سرعة الضوء تقريباً ويحترق بسطوع مليار شمس، ومن ثم ينهار كنجم نيوتروني شديد الثقل. إنه نجم يحرق نجوماً أخرى، هل فهمت؟ لا شيء لديه فرصة في انفجار نجمي».

قال آرثر: «فهمت».

- «ال»...

- «إذا لم الحلزون تحديداً؟»

- «لم لا يكون حلزوناً؟ لا يهم».

تقبل آرثر الفكرة، وتابع فورد بأفضل ما يمكنه من الزخم القوي السابق. قال: «الفكرة هي أن الناس من أمثالنا، يا سلارتيبارتفاست، ومن أمثال آرثر، تحديداً، ولا سيما آرثر، هم عبارة عن هواة، منحرفين، قليلي النفع، عديمي النفع إن أحببت».

عبس سلارتيبارتفاست، بسبب بعض الارتباك وبعض الاستياء. بدأ الكلام: «-»... وكان ذلك كل ما تمكن من قوله.

أصر فورد قائلاً: «ليس لدينا هواجس من أي شيء، كما تعلم».

- «»...

- «وهذا هو العامل الحاسم. لا يمكننا التغلب على الهواجس. هم يهتمون، نحن لا نهتم، هم يفوزون».

قال سلارتيبارتفاست: «أهتم للعديد من الأشياء،» وكان صوته يرتعش، بسبب بعض الانزعاج، وأيضاً بسبب بعض الشك.

- «مثل؟»

قال العجوز: «حسناً، الحياة، الكون، كل شيء في الواقع. المضائق البحرية».

- «هل تبذل حياتك فداءً لها؟»

طرفت عينا سلارتيبارتفاست من المفاجأة وقال: «المضائق البحرية؟ لا».

- «حسناً إذاً».

- «صراحة، لا أفهم القصد من ذلك».

قال آرثر: «وما زلت لا أرى الصلة مع الحلزون».

شعر فورد بأنه بدأ يفقد السيطرة على الحوار، ورفض أن تجري تنحيته بسبب أي شيء في هذه المرحلة.

هسهس قائلاً: «الفكرة هي أننا لسنا أناساً مفرطين في هواجسنا، وليست لدينا فرصة ضد»...

تابع آرثر: «ما عدا هاجسك المباغت فيما خص الحلزون، والذي لا أزال لا أفهمه».

- «هلا تركت الحلزون جانباً من فضلك؟»

قال آرثر: «سأفعل إن فعلت أنت، أنت من أتى على ذكره».

قال فورد: «كان ذلك خطأً، انس أمره، الفكرة هي كالتالي».

انحنى فورد إلى الأمام وأراح جبهته على أطراف أصابعه.

قال بملل: «ما الذي كنت أتحدث عنه؟»

قال سلارتيبارتفاست: «لنذهب إلى الحفل وحسب، أيّاً يكن السبب».

وقف فورد وهو يهز رأسه، وقال: «أظن أن ذلك ما كنت أحاول قوله».

لسبب غير مسوّغ كانت مقصورات النقل في الحمام.

الفصل السادس عشر

يُعدُّ السفر عبر الزمن على نحو متزايد أنه خطر، فلقد تم تلويث التاريخ.

لدى الموسوعة المجريّة الكثير لتقوله عن نظرية السفر عبر الزمن وتطبيقها، ومعظم ما تقوله غير مفهوم لأي أحد لم يمض أربع حيوات في الأقل في دراسة الرياضيات الفوقية المتقدمة، وبما أن ذلك كان مستحيلاً قبل اختراع السفر عبر الزمن، فهنالك بعض من التشويش حول كيفية الوصول إلى الفكرة في المقام الأول. أحد مسوّغات هذه المشكلة يقول إن السفر عبر الزمن، بسبب طبيعته الخاصة، تم اكتشافه في وقت واحد في كل فترات التاريخ، لكن من الواضح أن ذلك هراء.

المشكلة هي أنه من الواضح أن الكثير من التاريخ الآن هو هراء أيضاً.

وهنا مثال، قد لا يبدو مهماً لبعض الناس، لكن لأناس آخرين هو حاسم. من المهم طبعاً معرفة متى كان الحدث الذي تسبب بإقامة حملة الزمن الحقيقي في المقام الأول (أو في المقام الأخير؟ بحسب وجهة نظرك في رؤية الأحداث التاريخية، وهذا الآن أيضاً يُعدُّ سؤالاً مربكاً على نحو متزايد).

هناك، أو كان هناك، شاعر اسمه لالافا، وقد كتب ما يُعدُّ تماماً في المجرة أروع القصائد في الوجود، قصائد الأرض الطويلة.

تُعدُّ هذه القصائد (عُدّت) رائعة كما لا يوصف. وذلك بأنه لا يمكنك التكلم عنها كثيراً من دون أن تغلبك العاطفة، الحقيقة وشعور بالاتحاد ووحدة الأشياء، حيث إنك لن تحتاج إلى التنزه بنشاط والتوقف في طريق عودتك عند حانة من أجل أن تحتسي كأساً من المياه الغازية وأنت تتأمل. كانت قصائده بهذه الجودة.

عاش لالافا في أراضي إيفا الطويلة. عاش هناك وكتب قصائده هناك. كتبها على أوراق مصنوعة من أوراق هابرا المجففة، من دون مساعدة التعليم أو سائل التصحيح. كتب عن الضوء في الغابة وما كان يعني له ذلك. كتب عن الظلمة في الغابة وما كان يعنيه له ذلك، كتب عن الفتاة التي تركته وتحديداً ما عنى له ذلك.

وُجدت قصائده بعد موته بكثير، وشُغل الناس بها، انتشرت الأخبار عن هذه القصائد مثل ضوء شمس الصباح. لقرون أنارت هذه القصائد وأغنت حيوات الكثيرين من الناس الذين ما كان لحيواتهم أن تكون، لولا هذه القصائد، بهذا الغنى والوضوح.

بعد ذلك، وبفترة قصيرة من اختراع السفر عبر الزمن، تساءل بعض صنّاع سائل التصحيح الكبار عن إمكان أن تكون قصائده أفضل لو أنه كان يملك سوائل تصحيح عالية الجودة، وعمَّا إن كان قد استُحِث لقول بعض الكلمات عن ذلك التأثير.

سافروا عبر موجات الزمن، وجدوه، شرحوا له الموقف – مع بعض الصعوبة – وبالطبع استحثوه. في الواقع هم استحثوه إلى درجة أنه أصبح فاحش الثراء بسببهم، والفتاة التي كان مقدراً له أن يكتب عنها بإحكام لم تتركه، وفي الواقع انتقلا من الغابة إلى رقعة لطيفة من بلدة، وقاما برحلات إلى المستقبل ليجري برامج حوارية حيث تألق ببراعة.

بالطبع لم يكتب قط القصائد، وكانت تلك مشكلة، لكنها مشكلة سهلة الحل، فقد أرسله أصحاب مصانع سائل التصحيح بسرعة لمدة أسبوع إلى مكان ما مع نسخة من إصدار أخير لكتابه وكومة من أوراق هابرا المجففة لينسخ الكتاب عليها، ويترك الأخطاء العرضية المتعمدة ومن ثمَّ تصحيحاتها في طريقه.

يقول كثير من الناس الآن إن القصائد أصبحت عديمة القيمة فجأة. يجادل آخرون بأنها تماماً كما كانت دائماً، فما الذي تغير؟ يقول الفريق الأول إن تلك ليست المسألة، وهم ليسوا متأكدين بالضبط من ماهية المسألة، لكنهم متأكدون إلى حد بعيد من أن هذه القصائد ليست كذلك، فأقاموا الحملة من أجل الزمن الحقيقي، وحاولوا أن يوقفوا حدوث مثل هذه الأشياء. لقد تقوّت قضيتهم على نحو ملحوظ بحقيقة أنه بعد أن أقاموا أنفسهم بأسبوع انتشرت الأخبار حول أن كاتدرائية كاليزم العظيمة لم تُهدم فحسب من أجل بناء مصفاة أيونية، بل إن إنشاء المصفاة أخذ وقتاً طويلاً، وامتد في الماضي الغابر من أجل السماح لإنتاج الأيونات أن يبدأ في موعده، وبذلك تكون كاتدرائية كاليزم الآن لم تبنَ أساساً. في ليلة وضحاها أصبحت صور الكاتدرائية على بطاقات البريد ثمينة على نحو هائل.

لذا، اختفى الآن معظم التاريخ. يدّعي أعضاء الحملة من أجل الزمن الحقيقي أن السفر عبر الزمن تسبب بتلاشي الفرق بين بلد وآخر، وبين كوكب وآخر، وبذلك يتسبب السفر عبر الزمن الآن بتلاشي الفرق بين عصر وآخر، فيقولون: « يشبه الماضي الآن بلداً غريباً. هم يفعلون الأمور على نحو متطابق هناك».

الفصل السابع عشر

تشكّل آرثر، وقام بذلك مع كل الترنّح الاعتيادي والإمساك بحلقه، قلبه وأطراف مختلفة منه، حيث كان لا يزال يطلق العنان لنفسه كلّما قام بأي من هذه التشكلات البغيضة والمؤلمة التي صمم على ألا يدع نفسه يعتاد عليها.

نظر حوله بحثاً عن الآخرين.

لم يكونوا هناك.

نظر حوله بحثاً عن الآخرين مجدداً.

لم يكونوا هناك أيضاً.

أغمض عينيه.

فتحهما.

نظر حوله بحثاً عن الآخرين.

ثابروا على غيابهم بعناد.

أغمض عينيه مجدداً تمهيداً للقيام بنشاطه عديم الفائدة مرة أخرى، وبما أن دماغه، عندما كانت عيناه مغلقتين فقط، راح يفهم ما كانت عيناه تنظران إليه وهما مفتوحتان، تسللت عبسة مرتبكة إلى وجهه.

لذا، فتح عينيه مجدداً للتأكد من حقائقه وبقيت العبسة.

إن حصل شيء فهو أن عبسته اشتدت وتمكنت من وجهه. فلو كانت هذه حفلة فإنها حفلة سيئة جداً، سيئة إلى درجة أن جميع الآخرين قد رحلوا. تخلى آرثر عن سلسلة أفكاره هذه كونها عقيمة، فمن الواضح أن هذه لم تكن حفلة. كانت عبارة عن كهف، أو متاهة، أو نفق لشيء ما، لم تكن هنالك إضاءة كافية للتأكد. كل ما هنالك كان مظلماً، كان ظلاماً كئيباً ولامعاً. أما الأصوات الوحيدة فكانت صوت صدى أنفاسه التي بدت قلقة. سعل سعلة خفيفة، ومن ثم اضطر إلى الاستماع إلى الصدى الضعيف والمخيف لسعلته وهو يعبر خلال أروقة لولبية وحجرات غير مرئية، كما لو أنها متاهة عظيمة، وفي النهاية يعود إليه عبر الأروقة الخفية نفسها كأنه يقول... «نعم؟»

هذا ما حصل لكل ضجيج صغير أحدثه، فأثار أعصابه. حاول أن يدندن لحناً مرحاً، لكن مع عودته إليه كان قد استحال ترنيمة جنائزية عميقة، فتوقف.

امتلأ عقله فجأة بتخيلات من القصة التي كان يرويها له سلارتيبارتفاست. وعلى حين غرة، كان شبه متوقع أن يرى الروبوتات البيض المميتة تخطو بصمت من الظلام وتقتله. حبس نَفَسه. لم تفعل ذلك.

تنفس من جديد، لم يعلم ماذا يتوقع.

إنما، بدا أن هنالك شخصاً أو شيئاً يتوقعه، لأنه في تلك اللحظة أنارت على نحو مفاجئ، على مبعدة في الظلام، لافتة نيون خضراء مخيفة.

قالت، بصمت: لقد تمت تسليتك.

انطفأت اللافتة بسرعة مجدداً، بطريقة لم يكن آرثر متأكداً من أنه أحبّها. انطفأت بنوع من التفاخر المحتقِر. حاول آرثر عند ذلك أن يؤكد لنفسه أن ذلك كان مجرد خدعة سخيفة من مخيلته. فلافتة النيون هي إما مضاءة وإما مطفأة، بالاعتماد على ما إذا كان التيار الكهربائي يمر عبرها أو لا. فكر لنفسه أنه لا مجال لها أن تؤثر في نقل التيار من حالة إلى أخرى بتفاخر محتقِر.

ومع ذلك، فقد ضمّ نفسه بقوة في عباءته وارتعش.

أضاءت لافتة النيون البعيدة فجأة على نحو محيّر، وعرضت مجرد ثلاث نقاط وفاصلة كما الشكل التالي:

(، بضوء أخضر فقط...)

أدرك آرثر بعد أن نظر إليها بارتباك لثانية أو اثنتين أنها تحاول أن تشير إلى أن هنالك المزيد لتعرضه، وأن الجملة غير مكتملة. فكر ملياً في أنها تحاول ذلك بحذلقة خارقة للطبيعة، أو في الأقل بحذلقة غير طبيعية.

حينها أكملت الجملة نفسها بهاتين الكلمتين:

آرثر دينت.

ترنح آرثر، ومن ثم ثبّت نفسه من أجل أن يحظى بنظرة واضحة إليها، كانت لا تزال تقول آرثر دينت، فترنح من جديد.

من جديد انطفأت تاركة إياه يطرف عينيه في الظلام ولا شيء سوى الصورة الحمراء الباهتة لأسمه تقفز على شبكية عينيه.

قالت اللافتة على نحو مفاجئ، مرحباً.

وبعد لحظة، أضافت:

لا أعتقد ذلك.

أدرك الخوف الهائل الذي كان يحوم حول آرثر طيلة هذا الوقت بانتظار لحظته أن لحظته قد حانت فانقض على آرثر. حاول آرثر أن يحاربه. انخفض إلى شكل من أشكال الجثوم المتنبّه، الذي كان قد شاهد أحدهم يمارسه عبر التلفاز، لكن لا بد أنه كان شخصاً بركبتين أقوى. نظر بتمعن في الظلام.

قال: «إيه، مرحباً؟»

أحّ، وقالها مجدداً، بصوت أكثر ارتفاعاً، ومن دون الـ «إيه». فجأة، على مسافة في نهاية الرواق بدا أن أحدهم قد بدأ يدق على طبلة.

استمع إليها للحظات، ومن ثم أدرك أنها ليست سوى دقات قلبه.

أنصت للحظات إضافية عدة وأدرك أنها لم تكن دقات قلبه، لقد كانت صوت قرع طبلة.

تشكلت قطرات من العرق على جبهته، توترت هذه القطرات ووثبت. وضع يداً على الأرضية ليثبت جثمته المتنبّهة، التي لم تكن على خير ما يرام، ومن ثم غيرت اللافتة نفسها من جديد، قالت:

لا تكن متوتراً.

أضافت بعد توقف قصير:

كن مرعوباً جداً جداً يا آرثر دينت.

انطفأت من جديد وتركته في الظلمة، بدت عيناه كأنهما تجحظان من وجهه، ولم يكن واثقاً ما إذا كانتا كذلك لأنهما تحاولان الرؤية بشكل أوضح أو لأنهما ببساطة قررتا المغادرة في هذه المرحلة.

قال من جديد: «مرحباً؟ هل من أحد هناك؟» وهو يحاول في هذه المرة وضع نبرة من الصرامة والثقة العدوانية فيها.

لم يكن هنالك من رد، لا شيء.

أثار ذلك من توتر أعصاب آرثر أكثر مما كان الرد سيفعله، وبدأ يتراجع من اللاشيء المخيف. وازداد خوفه مع ازدياد تراجعه. أدرك بعد وهلة أن السبب وراء خوفه المتزايد هو الأفلام التي شاهدها، حيث يأخذ البطل في التراجع بعيداً عن رعب يتخيله أمامه فيرتطم به قادماً من الخلف.

في تلك اللحظة، خطر له أن يستدير بسرعة كبيرة.

لم يكن هنالك شيء. مجرد سواد.

توترت أعصابه بحق من ذلك وبدأ يتراجع في الطريق نفسه الذي أتى منه.

بعد أن فعل ذلك لوهلة قصيرة، خطر في باله فجأة أنه الآن يتراجع باتجاه ذلك الشيء الذي كان يتراجع عنه في المقام الأول.

بعناء تمكن من تجنب التفكير في أن ذلك لا بد كان عملاً أحمق وقرر أنّ من الأفضل أن يتراجع في الطريق نفسه الذي كان يتراجع منه واستدار مجدداً.

توضّح في هذه المرحلة أن ميله الثاني كان الصحيح، لأنه كان هنالك وحش شنيع كما لا يوصف يقف بهدوء خلفه. تعرّج آرثر على نحو كبير مع محاولة جلده أن يقفز في اتجاه وهيكله العظمي في اتجاه آخر، في حين حاول دماغه أن يعرف أياً من أذنيه أرادت أكثر أن تزحف مبتعدة.

قال الوحش: «أراهن على أنك لم تكن تتوقع أن تراني مجدداً،» بمشقة تمكن آرثر من تجنب التفكير في أن تلك كانت ملاحظة غريبة، من مبدأ أنه لم يقابل هذا المخلوق من قبل. كان يعرف أنه لم يقابل المخلوق من قبل لأنه ببساطة يتمكن من النوم في الليل. لقد كان... لقد كان... لقد كان...

طرفت عينا آرثر على الوحش الذي وقف ساكناً، بدا مألوفاً بعض الشيء. غمره هدوء بارد ورهيب عندما أدرك أن ما كان ينظر إليه هو صورة ثلاثية الأبعاد بارتفاع ست أقدام لذبابة منزلية.

تساءل لم قد يريد أحدهم أن يريه صورة ثلاثية الأبعاد بارتفاع ست أقدام لذبابة منزلية في هذا الوقت. وتساءل عن صوت من قد سمع.

كانت صورة ثلاثية الأبعاد حقيقية بشكل رهيب.

اختفت.

قال الصوت فجأة: «أو لربما تتذكرني على نحو أفضل كأرنب». كان صوتاً عميقاً، مجوفاً حاقداً كأنه قطران مذاب يتدفق من طبلة واضعاً الشر نصب عينيه.

مع صوت أزيز مفاجئ كان هنالك أرنب معه في المتاهة السوداء، أرنب ضخم، رهيب الهيئة، ناعم ومحبب على نحو شنيع، ومجدداً كان مجرد

صورة، لكنها صورة بدت فيها كل شعرة، ناعمة ومحببة، حقيقة، وأنها شيء ينمو على جلده المحبب والناعم. أجفل آرثر من رؤية انعكاس صورته في عيني الأرنب الناعمتين، المحببتين، الكبيرتين بشكل كبير، واللتين لا ترفان.

قعقع الصوت: «مولود في الظلمة، مترعرع في الظلمة. في صباح أحد الأيام أخرجت رأسي للمرة الأولى إلى العالم الجديد والساطع فانفتحت بما شككت أنه آلة بدائية مصنوعة من الصوان. صنعتها أنت يا آرثر دينت، واستخدمتها أنت بقسوة حسبما أذكر. لقد حولت جلدي إلى محفظة لجمع الأحجار المثيرة للاهتمام، تصادف أنني أعرف ذلك لأنني في حياتي التالية عدت كذبابة، ومن جديد ضربتني. مجدداً، إلا أنه في هذه المرة ضربتني بالمحفظة التي صنعتها من جلدي السابق. لست مجرد رجل قاس وبلا رحمة يا آرثر دينت، أنت أيضاً غير لبق على نحو مذهل».

توقف الصوت في حين حدّق آرثر بغباء.

قال الصوت: «أرى أنك أضعت المحفظة، لربما مللت منها، أليس كذلك؟»

هزّ آرثر رأسه يائساً، كان يريد أن يفسّر أنه كان في الواقع مولعاً جداً بالمحفظة، وأنه اعتنى بها جيداً وأخذها معه إلى حيث كان يذهب، لكن بطريقة ما بدا أنه كلما سافر إلى مكان ما انتهى به المطاف مع المحفظة الخطأ على نحو عصيّ على التفسير، وأنه، يا للغرابة، بينما هما واقفان هناك، كان يلاحظ للمرة الأولى أن المحفظة التي معه حالياً تبدو مصنوعة من جلد نمر مزيف ورديء، وأنها ليست المحفظة التي كانت معه منذ دقائق عدة قبل أن يصل إلى هذا المكان، ولم تكن محفظة يمكن أن يختارها بنفسه، وتعلم السماء

فقط ما قد يكون في داخلها بما أنها ليست له، وأنه أراد بشدة أن يستعيد محفظته الأصلية، باستثناء أنه كان بالطبع آسفاً بشدة لنزعها نهائياً، أو بالأحرى مكوناتها، جلد الأرنب مثلاً، من صاحبها السابق، بمعنى آخر، الأرنب الذي كان لآرثر حالياً شرف المحاولة عبثاً في مخاطبته.

كل ما تمكن من قوله في الواقع هو «إيم».

قال الصوت: «قابل سمندل الماء الذي خطوت عليه،».

وكان يقف هناك مع آرثر في الرواق سمندل ماء أخضر عملاق كثير الحراشف.

استدار آرثر، صاح، وقفز إلى الخلف، وجد نفسه يقف في منتصف الأرنب. صاح مجدداً، لكنه لم يتمكن من إيجاد أي مكان يقفز إليه.

تابع الصوت قائلاً بقعقعة منخفضة وخطرة: «كان ذلك أنا أيضاً، كأنك لا تعلم»...

ابتدأ آرثر قائلاً: «أعلم؟ أعلم؟»

تكلم الصوت بنبرة خشنة: «الشيء المثير حول التقمّص هو أن معظم الناس، معظم الأرواح، لا تدرك أن ذلك يحدث لها».

توقف قليلاً من أجل التأثير، فيما خص آرثر كانت تحدث كمية كافية من التأثير حتى الآن.

هسهس الصوت قائلاً: «كنتُ مدركاً. إذ إنني أدركت. تدريجياً، ببطء».

توقف مجدداً صاحب الصوت ، أياً يكن، واستجمع أنفاسه.

جأر الصوت قائلاً: «بعناء تمكنت من إدراك ذلك، أأدركتُ ذلك؟ لما استمر الشيء نفسه يحدث مراراً وتكراراً! قُتلت على يد آرثر دينت في كل حياة عشتها. على أي كوكب، في أي جسم، في أي زمان، بمجرد أن أستقر يأتي آرثر دينت و، بووم، يقتلني.

من الصعب عدم ملاحظة ذلك، جزء من منبه الذاكرة، جزء من تلميح، جزء من إفشاء سر لعين غير مقصود!

كانت روحي تقول لنفسها 'ذلك مضحك' بينما هي تعود إلى العالم السفلي بعد مغامرة عقيمة أنهاها دينت في أرض الأحياء، "بدا ذلك الرجل، الذي يدهسني حين أثب عبر الطريق إلى بركتي المفضلة، مألوفاً بعض الشيء..." وبالتدريج كوّنت الفكرة، دينت، يا من قتلتني مرّات عدّة!»

هدر صدى صوته على طول الأروقة. وقف آرثر صامتاً وضعيفاً، رأسه يرتجف وهو غير مصدق.

صرخ الصوت بنبرة محمومة من الكره: «ها هي ذي اللحظة يا دينت، ها هي ذي اللحظة التي علمت فيها!»

الشيء الذي فُتِحَ أمام آرثر كان شنيعاً على نحو لا يوصف، فجعله يلهث ويتغرغر من الرعب، وهذه محاولة وصف كم كان شنيعاً ذلك الشيء: كان كهفاً ضخماً رطباً ومهتزّاً فيه مخلوق ضخم قذر وخشن يشبه الحوت يتدحرج فيه ويتزحلق فوق بلاطات أضرحة بيض هائلة. عالياً فوق الكهف يوجد نتوء ضخم يمكن للمرء أن يشاهد فيه تجاويف كهفين مرعبين آخرين حيث...

أدرك آرثر دينت فجأة أنه كان ينظر إلى فمه عندما كان القصد من ذلك جذب انتباهه إلى محارة حية يتم تقليبها على نحو بائس داخله.

ترنح إلى الخلف صارخاً وحرف نظره.

لما نظر مجدداً كان الطيف المرعب قد اختفى. كان الرواق مظلماً، ولوقت قصير، صامتاً. كان آرثر وحيداً مع أفكاره التي كانت بغيضة بشدة، التي من الأفضل أن يكون لها رقيب.

لما أتى صوت الضجيج التالي، كان الصوت المرتفع والثقيل من ناحية الأرض لقسم كبير من الحائط يتدحرج جانباً، كاشفاً للحظة من ورائه مجرد سواد. نظر فيه آرثر بالطريقة نفسها التي ينظر فيها فأر إلى وجار كلب مظلم.

كلّمه الصوت مجدداً فقال: «قل لي إنه كان مصادفة يا دينت، أتحداك أن تقول لي إنه كان مصادفة!»

قال آرثر بسرعة: «كان مصادفة».

خار الصوت مجيباً: «لم يكن كذلك!»

قال آرثر: «كان كذلك، كان كذلك»...

هدر الصوت قائلاً: «إن كان مصادفة، فإن اسمي ليس أغراجاغ!!!»

قال آرثر: «من المفترض أنك تود أن تدعي أن ذلك كان اسمك».

هسهس أغراجاغ: «نعم!» كأنه أكمل للتو محاكاة منطقية أنيقة.

قال آرثر: «حسناً، أخشى أن الأمر لا يزال مصادفة».

صاح الصوت بغضب شديد مجدداً: «تعال إلى هنا وقل ذلك!»

دخل آرثر وقال إن الأمر كان مصادفة، أو في الأقل، تقريباً قال إن الأمر كان مصادفة. فلقد فقد لسانه شجاعته عند نهاية الكلمة الأخيرة لأن المصابيح أُنيرت وكشفت المكان الذي دخل فيه.

كانت كاتدرائية كره.

كانت نتاج عقل ليس منحرفاً فحسب، بل ملتوياً أيضاً.

كانت عملاقة، كانت مروّعة.

كان فيها تمثال...

سوف نأتي على ذكر التمثال بعد لحظة.

بدت الحجرة المتسعة بشكل يفوق الإدراك كأنها منحوتة في قلب جبل، والسبب في ذلك أنها منحوتة تحديداً في قلب جبل. بدت لآرثر تدور على نحو مثير للغثيان حول رأسه حيث وقف وحدق فاغراً فاه.

كانت سوداء.

ستميل للتمني لو أنها سوداء في الأماكن التي لم تكن فيها سوداء، لأن الألوان التي رسمت بها بعض التفاصيل المرعبة كانت تتراوح على نحو بغيض في طيف الألوان المزعجة للعيون من فوق البنفسجي إلى تحت الميت، بما فيها، الأرجواني الكبدي، الأرجواني الفاتح الكريه، أصفر المادة، الرجل المحروق والأخضر الغاني الذي يوشك أن يتم استخدامه.

كانت التفاصيل الشنيعة التي أظهرتها هذه الألوان عبارة عن تماثيل بشعة كانت لتظهر فرانسيس بيكون بأنه بلا قيمة.

أطلّت كل التماثيل البشعة إلى الداخل من الجدران، من الأعمدة، من دعامات الجدران، من منصة الكَوْرَس، باتجاه التمثال الذي سنقوم بوصفه خلال لحظة.

وإن كان للتماثيل البشعة أن تظهر فرانسيس بيكون بأنه بلا قيمة، فكان واضحاً من أوجهها أن التمثال جعلها تبدو بلا قيمة، لو أنها حيّة لتشعر بالأمر، وهذا ما لم يكن، أو في حال حاول أحدهم أن يشعرها بها وهذا ما لم يفعله أحد.

في مكان قريب من الحائط التذكاري كانت توجد ألواح حجرية منقوشة لذكرى أولئك الذين قضوا على يد آرثر دينت.

رُسِمَ خط تحت بعض أسماء هؤلاء المذكورين، ونقشت نجمة إلى جانبهم. ففي سبيل المثال، بأبسط شكل، نُقش اسم البقرة التي ذبحت، والتي اتفق لآرثر أن يأكل منها شريحة لحم، أما في حالة السمكة التي اصطادها آرثر بنفسه وقرر أنه لم يحبها وتركها على جانب الطبق فكان تحت اسمها خطان، ثلاث نجوم إلى جانبه، ورسم لخنجر يقطر دماً، لتوضيح وجهة النظر.

وأكثر ما يثير القلق في كل ذلك، بغض النظر عن التمثال، الذي سنصل إليه في النهاية، كان التضمين الواضح أن كل هؤلاء الأشخاص والمخلوقات كانت بالتأكيد الشخص نفسه، مراراً وتكراراً.

وكان واضحاً أيضاً أن هذا الشخص، مهما يكن في الأمر من ظلم، غاضب ومنزعج جداً.

في الواقع، من المناسب قول إنه وصل إلى درجة من الانزعاج لم يعرف لها مثيل في الكون. كان انزعاجاً بنسبة خيالية، لهيباً حارقاً وسافعاً من الانزعاج، انزعاجاً امتد عبر كل من الزمان والمكان في استيائه اللامتناهي.

وقد جرى التعبير عن هذا الانزعاج بطريقة جلية في التمثال المتموضع في منتصف هذه الفظاعة، حيث إنه كان تمثالاً لآرثر دينت، ولم يكن لطيفاً. طوله خمسون قدماً، ولو كان يقاس بالإنشات فلم يكن ليوجد إنش فيه غير متخم بالإهانة لمن يمثله هذا التمثال، وخمسون قدماً من تلك النوعية كفيلة بأن تجعل أياً من تمثله يشعر بالسوء. من أصغر بثرة على جانب أنفه إلى القصة البائسة لردائه، لم يكن هنالك مظهر لآرثر دينت لم يتم التهكم به والحط من قدره من قبل النحّات.

بدا آرثر مقرفاً، شريراً، جشعاً، مفترساً، غولاً دموياً، يمهد طريقه بالمجازر عبر كونٍ لرجل واحد بريء.

مع كل واحدة من الأذرع الثلاثين التي قرر النحّات، بنوبة من الحماسة الفنيّة، أن يعطيه إياها، كان آرثر يقتل أرنباً، يضرب ذبابة، ينتزع عظم ترقوة، ينتقي برغوثاً من ذقنه، أو يفعل شيئاً لم يتمكن آرثر من معرفته من أول نظرة.

أما أرجله المتعددة فكانت على نحو عام تدوس على نمل.

وضع آرثر يديه فوق عينيه، وأرخى رأسه وهزه ببطء من جهة إلى أخرى بحزن ورعب من جنون هذه الأشياء.

ولما فتح عينيه مجدداً وقف أمامه جسم الرجل، أو المخلوق، أو أياً تكن تسميته، الذي كان يُزعَم أنه يضطهده كل هذه المدة.

قال أغراجاغ: «آاااااااااااااااه!»

بدا، أياً يكن هو، كخفاش سمين ومجنون. تهادى ببطء حول آرثر ووكزه بمخالب منحنية.

اعترض آرثر قائلاً: «انظر...!»

تابع أغراجاغ: «آاااااااااااااه!» على مضض تقبل آرثر ذلك على أساس أنه كان إلى حد ما مرعوباً من هذا الشبح الشنيع والمتحطم على نحو غريب.

كان أغراجاغ أسود، منتفخاً، متجعداً، وسميك الجلد.

كانت أجنحته الخفاشيّة عبارة عن أغراض خفّاقة ومكسورة مثيرة للشفقة وهي بشكل أو بآخر مرعبة أكثر من لو أنها كانت مضارب هواء قوية وشديدة العضلات. لربما كان الشيء المرعب هو العناد في استمرارية وجوده على الرغم من الاختلافات الجسمانية.

كانت لديه مجموعة الأسنان الأكثر إثارة للدهشة، بدت كأن كل سن قد أتت من حيوان مختلف كليّاً، وكانت مصفوفة حول فمه بزوايا غريبة إلى درجة أنه لو حاول فعلياً أن يمضغ أي شيء فسوف يمزق نصف وجهه معه، ويمكن أن يقتلع عيناً أيضاً.

كل واحدة من أعينه الثلاث كانت صغيرة وحادّة، وكانت نظراتها عقلانية كنظرات سمكة في شجيرة.

قال بنبرة خشنة: «كنتُ في مباراة كريكت».

بدت هذه الفكرة ظاهرياً منافية للعقل إلى درجة أن آرثر اختنق عملياً.

صرخ المخلوق: «ليس في هذا الجسد، ليس في هذا الجسد! هذا جسدي الأخير. حياتي الأخيرة. هذا جسد الانتقام خاصتي. جسد قتل آرثر دينت الخاص بي. فرصتي الأخيرة. توجب عليّ أن أقاتل لأجلها أيضاً».

«لكن»...

هدر أغراجاغ: «كنتُ في مباراة كريكت! كنتُ مصاباً بضعف في القلب، لكنّي قلت لزوجتي ما الذي يمكن أن يحصل لي في مباراة كريكت؟ وبينما أتفرج ما الذي يحصل؟

يظهر شخصان على نحو ماكر كليّاً من العدم أمامي تماماً. والشيء الأخير الذي لم أتمكن من تجاهله قبل أن يتوقف قلبي المسكين هو أن أحدهما آرثر دينت يضع عظمة أرنب في لحيته. مصادفة؟»

قال آرثر: «نعم».

صرخ المخلوق: «مصادفة؟» وهو يضرب جناحيه المكسورين بعنف وعلى نحو مؤلم، ويفتح جرحاً بليغاً في وجنته اليمنى عن طريق سنّ شنيعة بشكل بارز.

وبتدقيق عن مسافة أقرب، كان آرثر يتمنى أن يتجنبه. لاحظ آرثر أن معظم وجه أغراجاغ كان مغطى بشرائط ممزقة من الضمادات السود الدبقة. تراجع بقلق. شد آرثر لحيته وراعه أن يكتشف أنه ما زالت لديه عظمة الأرنب فيها، فسحب العظمة ورماها بعيداً.

قال: «اسمع، إنه القدر فحسب، وبطريقة سمجة يمازحك، يمازحني، يمازحنا، إنها مصادفة تماماً».

زمجر المخلوق: «ما لديك ضدّي يا دينت؟» وهو يقترب من آرثر بتهادٍ شاق.

أصرّ آرثر قائلاً: «لا شيء، بصدق، لا شيء».

حدّق إليه أغراجاغ بتمعن وقال: «تبدو أنها طريقة غريبة لتعامل فيها أحداً ليس لديك شيء ضده، أي أن تقتله طوال الوقت. أظنه جزءاً غريباً جداً من التفاعل الاجتماعي، كما أنني أظنه كذبة!»

قال آرثر: «لكن اسمع، أنا آسف للغاية، هنالك سوء فهم هائل. عليّ أن أذهب. هل معك ساعة؟ يتوجب عليّ مد يد العون في إنقاذ الكون». وتراجع أكثر إلى الخلف.

هسهس: «في مرحلة، في مرحلة قررت أن أستسلم. نعم، ما كنت لأعود. كنت لأبقى في العالم السفلي. وما الذي حدث؟»

دلّ آرثر بهزات عشوائية من رأسه بأنه ليست لديه فكرة، ولم يرد أن تكون لديه فكرة أيضاً. وجد أنه تراجع حتى اتكأ على الحجر البارد والداكن الذي جرى نحته وتحويله بجهد هرقلي لا يعلمه أحد إلى تقليد وحشي وساخر لخفيّ نومه. نظر إلى الأعلى، إلى صورته المرتفعة فوقه، التي جرت محاكاتها بشكل رهيب وساخر. كان لا يزال متحيراً مما كان من المفترض أن تكون إحدى يديه تفعل.

تابع أغراجاغ: «لقد تم جذبي وإعادتي إلى العالم الطبيعي إجبارياً، في هيئة حفنة من نباتات البطونية، وأستطيع أن أضيف، في زبدية. تحديداً هذه الحياة القصيرة والسعيدة بدأت معي في زبديتي، من دون دعم، على ارتفاع

ثلاثمئة ميل فوق سطح كوكب متجهم تحديداً. ليس موقعاً يمكن حفظه على نحو طبيعي لزبدية من البطونية كما قد تظن. وذلك صحيح، انتهت تلك الحياة بعد هنيهة قصيرة، إلى أسفل ذلك المكان بثلاثمئة ميل. في ما قد أضيف وأقول إنه حطام طازج لحوت. شقيق روحي».

نظر إلى آرثر شزراً بكره متجدد.

زمجر قائلاً: «في طريقي إلى الأسف لم أستطع تجنب ملاحظة سفينة فضاء بيضاء تخطف الأبصار. ومَن كان ينظر من نافذة من نوافذ سفينة الفضاء الخاطفة للأبصار هذه كان آرثر دينت المعتد بنفسه. مصادفة؟!!»

صاح آرثر: «نعم!» نظر إلى الأعلى مجدداً وأدرك أن الذراع التي حيرته صُوّرت بأنها تستدعي بصورة داعرة زبدية من البطونية الهالكة. وهذا لم يكن مفهوماً سهلاً للإدراك للعين.

أصر آرثر قائلاً: «عليّ الرحيل».

قال أغراجاغ: «يمكنك أن ترحل بعد أن أقتلك».

شرح آرثر قائلاً: «لا، لن تكون هنالك منفعة من ذلك،» وبدأ يتسلق منحدر الصخرة الصلبة التي تشكل خفيه المنحوتين، «لأنه علي أن أنقذ الكون، كما تعلم، عليّ أن أجد العارضة الفضية، هذه هي القضية. من الصعب القيام بالأمر وأنا ميت».

بصق أغراجاغ باحتقار وقال: «تنقذ الكون! كان عليك أن تفكر في ذلك قبل أن تبدأ ثأرك ضدي! ماذا عن المرة التي كنت فيها على كوكب ستاڤرومولا بيتا وحاول أحدهم»...

قال آرثر: «لم يسبق لي أن كنت هناك».

«... وحاول أحدهم أن يغتالك وانحنيت. من الذي أصابته الطلقة برأيك؟ ما الذي قلته؟»

كرر آرثر: «لم يسبق لي أن كنت هناك، ما الذي تتحدث عنه؟ عليّ الذهاب».

وقف أغراجاغ في طريقه وقال مرتعشاً: «لا بد أنك كنت هناك. كنت مسؤولاً عن موتي هناك، كما في كل مكان آخر. متفرج بريء!»

أصرّ آرثر قائلاً: «لم يسبق لي أن سمعت بالمكان، ومن المؤكد أنه لم يكن أحد يحاول اغتيالي. باستثنائك أنت. لربما أذهب إلى هنالك لاحقاً، أتعتقد ذلك؟»

طرفت عينا أغراجاغ ببطء وبنوع من الذعر المنطقي المميت. همس قائلاً: «لم يسبق لك أن ذهبت إلى ستاقرومولا بيتا... بعد؟»

قال آرثر: «لا، لا أعرف أي شيء عن المكان، ومن المؤكد أنني لم أذهب إليه من قبل، وليس لدي أي نية للذهاب».

تمتم أغراجاغ بصوت متحطم: «آه، اذهب إلى هناك إن أردت، اذهب إلى هناك إن أردت، آه يا زارك!» ترنح ونظر حوله بوحشية إلى كاتدرائية الكره خاصته وقال: «لقد جلبتك إلى هنا باكراً!»

بدأ بالصراخ والخوار قائلاً: «لقد جلبتك إلى هنا باكراً جداً!»

استجمع قواه فجأة ورمق آرثر بعين كره مشؤومة وهدر قائلاً: «سأقتلك في أي حال! حتى لو كان الأمر استحالة منطقية، سأجرب الأمر! سأفجر هذا الجبل برمته!» صرخ قائلاً: «لنراك تنجو من هذه يا دينت!»

أسرع بعرجة متمايلة إلى ما بدا أنه مذبح أضاح صغير أسود. كان يصيح بوحشية الآن إلى درجة أنه كان يحفر وجهه على نحو سيئ. وثب آرثر من موقعه ذي الأفضلية على منحوتة رجله وركض محاولاً كبح المخلوق شبه المجنون.

وثب فوقه متسبباً للوحش الغريب بأن ينهار أعلى المذبح.

صرخ أغراجاغ مجدداً، وتقلب بوحشية لوهلة، ومن ثم ولّى آرثر نظرة وحشية وقرقر بألم: «أتعلم ماذا فعلت؟ لقد قتلتني مجدداً فحسب. أعني ما الذي تريده مني، دماً؟»

تقلب مجدداً بنوبة قصيرة، ارتجف، وسقط ضارباً زراً أحمر كبيراً على المذبح.

اندفع آرثر بذعر وخوف، أولاً لما بدا أنه قد فعل، ومن ثم بسبب صفارات الإنذار الصاخبة والأجراس التي مزقت الهواء على حين غرة لتعلن عن حالة طوارئ صاخبة. نظر حوله بتوتر، وبدا أن المخرج الوحيد هو الطريق الذي أتى منه، فانطلق بسرعة باتجاهه وهو يرمي محفظة جلد النمر الرديء والمزيف بعيداً.

اندفع عشوائياً ومصادفة عبر تعقيدات المتاهة، وبدا أن أصوات النفير تطارده بشراسة أكثر وأكثر، صفارات الإنذار والأضواء الكشافة.

استدار فجأة عند زاوية، وكان هنالك ضوء أمامه. لم يكن يومض، كان ضوء النهار.

الفصل الثامن عشر

على الرغم مما قيل إنه على الأرض وحدها في مجرتنا عُدَّت الكريكت مناسبة لأن تكون لعبة، وإنه لهذا السبب تم تجنّب الأرض، فإن هذا لا ينطبق على مجرتنا فقط، وبالتحديد أكثر على بعدنا. يعتقدون في بعض الأبعاد الأسمى أن بإمكانهم إسعاد أنفسهم على نحو أو آخر، وهم يمارسون لعبة مميزة تدعى الكريكت البروكية الفائقة، بغض النظر عن ماهية الموازي الماوراء بعديّ لمليارات السنين.

يقول دليل المسافر إلى المجرة: «لنكن صريحين، إنها لعبة بغيضة، غير أنه يمكن لأي أحد ممن زاروا الأبعاد الأسمى أن يعرف أنهم شلّة وثنين بغيضين في الأعلى ويجب تدميرهم بقوة شديدة، وسيكون ذلك أيضاً، لو تمكن أحد ما من معرفة طريقة لإطلاق صواريخ على الزوايا المناسبة للواقع».

هذا مثال آخر لحقيقة أن دليل المسافر إلى المجرة سيوظّف أي أحد يريد أن يمشي في الشارع من دون تردد ويتعرض للسرقة، ولا سيما إن اتفق له أن يمشي في الشارع في فترة الظهيرة عندما يكون هنالك عدد قليل من الموظفين العاديين.

ثمة نقطة أساسية هنا.

إن تاريخ دليل المسافر إلى المجرة هو تاريخ المثالية، الكفاح، اليأس، الشغف، النجاح، الفشل واستراحات الغداء الطويلة على نحو شنيع.

أصول الدليل الأقدم، مع معظم سجلاته المالية، مفقودة في غشاوة الزمن.

من أجل نظريات أخرى وأكثر غرابة حول أين فُقِدت انظر في الأسفل.

ومع ذلك، معظم القصص الناجية تتكلم عن محرر من المؤسسين يدعى هورلينغ فروتميغ.

قيل إن هورلينغ فروتميغ أوجد الدليل، ووضع قواعده الأساسية عن الصدق والمثالية ومن ثم أفلس.

تبعت إفلاسه سنوات من الفقر المدقع والدراسات النفسية التي تشاور خلالها مع أصدقاء، وجلس في غرف مظلمة في حالات عقلية غير قانونية، وفكّر حول هذا وذاك، وعبث بالأوزان، ومن ثم، وبعد مواجهة من مصادفة محضة مع رهبان تناول الغداء المقدس القودونيين (الذين يقولون، بما أن الغداء في مركز يوم الإنسان الدنيوي، ويمكن عدُّ يوم الإنسان تمثيلاً لحياته الروحية، لذا توجب للغداء أن:

أ- يرى كمركز لحياة الإنسان الروحية.

ب- يتم في مطاعم بهيجة ولطيفة.)

فأعاد تأسيس الدليل، ووضع قواعده الأساسية المتعلقة بالصدق والمثالية وكيفية التخلص منهما، وقاد الدليل إلى أول نجاح تجاري كبير له.

كما أنه راح يطور ويستكشف دور استراحة الغداء التحريرية التي كان لها فيما بعد أن تلعب دوراً حاسماً في تاريخ الدليل، حيث المقصود كان أن معظم العمل الحقيقي يتم عن طريق أي عابر سبيل اتفق له أن يتجول ضمن المكاتب الفارغة في فترة ما بعد الظهيرة ويرى شيئاً يستحق أن يفعله.

بعد ذلك بفترة وجيزة استحوذت دار النشر ميغادودو في أورسا ماينور بيتا على الدليل، وبذلك ضمنت استقراراً مالياً للأمر برمته، ما سمح للمحرر الرابع، ليغ لوري جونير، بأن يباشر في استراحات غداء ذات مناظر تخطف الأنفاس إلى درجة أنه حتى استراحات غداء المحررين الجديدين، الذين شرعوا فيها لرعاية الأعمال الخيرية، بدت بالمقارنة كأنها مجرد شطائر.

في الواقع، فإن ليغ لم يستقل من التحرير رسمياً إطلاقاً، لقد غادر مكتبه في وقت متأخر في صباح أحد الأيام فحسب ولم يعد منذ ذلك الحين إطلاقاً. وعلى الرغم من مرور أكثر من قرن على ذلك الآن، فلا يزال العديد من موظفي الدليل يحفظون في ذاكرتهم الفكرة الخيالية حول أنه ببساطة خرج ليتناول كرواسون باللحم وسيعود الآن ليقوم بعمل مميز لفترة ما بعد الظهيرة.

وبسبب ذلك، فإن كل المحررين من بعد ليغ لوري جونير تم تعيينهم كمحررين مؤقتين، ولا يزال مكتب ليغ محفوظاً مثلما تركه، مع إضافة لافتة صغيرة تقول: «ليغ لوري جونير، محرر، مفقود، يُعتَقَد أنّه مأكول».

أشارت بعض المصادر السفيهة والمدمرة إلى فكرة أن ليغ في الواقع هلك في تجارب الدليل الاستثنائية الأولى في ضبط الحسابات البديلة. لم يعرف سوى القليل عن هذه، وما قيل كان أقل. أي أحد يلاحظ، دعك من أن يشير إلى، الحقيقة الغريبة لكن المتزامنة على نحو مطلق، التي لا معنى لها

بأن كل كوكب يشيّد فيه الدليل قسم محاسبة يهلك بعد ذلك بفترة وجيزة في حروب أو بعض الكوارث الطبيعية، هو عرضة لأن يقاضى ويحاكم بأشد العقوبات.

إنها لحقيقة مثيرة للاهتمام مع أنها غير ذات صلة مطلقاً، أنه قبل تدمير كوكب الأرض بيومين أو ثلاثة لإفساح المجال ببناء معبر فضاء فوقي لوحظ ارتفاع مفاجئ بعدد مشاهدات الصحون الطائرة هناك، ليس فقط فوق ملعب لورد للكريكت في سانت جون وود، لندن، بل أيضاً فوق غلاستونبيري في سومرست.

اقترنت غلاستونبيري منذ قديم الزمان بأساطير عن الملوك القدماء، السحر، حقول الطاقة ومعالجة الثآليل، وتم اختيارها الآن كموقع لمكتب دليل المسافر للسجلات المالية، وبالطبع تم نقل سجلات مالية لعشر سنوات إلى التلة السحريّة خارج المدينة قبيل وصول الڤوغونيين بساعات قليلة.

لا تعدُّ أي من هذه الحقائق، بغض النظر عن كونها غريبة أو عصيّة على التفسير، بغرابة وصعوبة تفسير قواعد لعبة الكريكت البروكية الفائقة، كما يجري لعبها في الأبعاد الأسمى. مجموعة كاملة من القواعد المعقدة بشدة إلى درجة أنه في المرة الوحيدة التي جمعت مع بعضها في مجلد واحد، تعرضت لانهيار جاذبيّ وأصبحت ثقباً أسود.

ثمة خلاصة موجزة وفق النحو التالي:

القاعدة الأولى: ربِّ ثلاث سيقان إضافية في الأقل. لن تحتاجها لكنها ستلهي الحشد.

القاعدة الثانية: أوجد لاعب كريكت بروكية فائقة، واستنسخه مرات عدة، فهذا يوفر عليك كمية كبيرة من التدريب والاختيار المملين.

القاعدة الثالثة: ضع فريقك والفريق الخصم في ملعب كبير وابنِ جداراً عالياً حولهما.

السبب في ذلك هو أنه على الرغم من أن اللعبة عبارة عن رياضة أساسية للمشاهدين إلا أن الغضب الذي يشعر به الجمهور بعدم تمكنهم من مشاهدة ما يحدث يقودهم إلى الاعتقاد بأن الأمر أكثر تسلية مما هو عليه. إن جمهوراً شاهد للتو لعبة مملة يختبر متعة أقل بكثير من جمهور يعتقد بأنه أضاع فرصة مشاهدة أكثر حدث درامي في تاريخ الرياضة.

القاعدة الرابعة: ارمِ الكثير من الأغراض الرياضية المتجانسة فوق الجدار للاعبين. أي شيء سينفع، مضارب كريكت، مضارب بيسبول، مضارب تنس، زلاجات، أي شيء يمكنك أرجحته على نحو جيد.

القاعدة الخامسة: على اللاعبين الآن أن يهاجموا بعضهم بوحشية بأقصى ما يستطيعون وبأي شيء يمكنهم أن يمسكوه بأيديهم. وحينما يسجل لاعب «ضربة» على لاعب آخر، عليه أن يهرب على الفور ويعتذر من مسافة آمنة. يجب أن تكون الاعتذارات موجزة، صادقة، ومن أجل أن تكون في قمة الوضوح، ولتسجيل أكبر عدد ممكن من النقاط، أن يتم إرسالها عن طريق مكبر صوت.

القاعدة السادسة: يجب أن يكون الفريق الفائز أول فريق يفوز.

من الغريب بمكان أنه مع ازدياد الهوس باللعبة في الأبعاد الأسمى، تقل عملية لعبها فعلياً، حيث إن معظم الفرق المتنافسة هي الآن في حالة حرب دائمة مع بعضها لأجل تفسير هذه القواعد. وهذا أفضل للجميع، لأنه، وعلى المدى الطويل، الضرر النفسي الناجم عن حرب طاحنة أقل ممّا تتسبب به لعبة كريكت بروكية فائقة مطوّلة.

الفصل التاسع عشر

بينما كان آرثر يركض مندفعاً، مسابقاً ولاهثاً إلى أسفل جانب الجبل، شعر فجأة بأن كتلة الجبل كلها تتحرك على نحو ضئيل جداً تحته. كانت هنالك قعقعة وهدير، وحركة ضئيلة غير واضحة، ومسحة من الحرارة في المدى خلفه وفوقه. ركض في حالة هستيرية من الخوف. بدأت الأرض تنزلق، وشعر فجأة بقوة كلمة «انزلاق أرضي» بطريقة لم يعرفها من قبل. لطالما كانت مجرد كلمة بالنسبة إليه، لكنه الآن أدرك فجأة وبذعر أن من المقزز والغريب أن تنزلق الأرض. كانت تفعل وهو عليها. شعر أنه ليس على خير ما يرام مع خوف واهتزاز. انزلقت الأرض، ومشى الجبل متثاقلاً، وانزلق هو، سقط، وقف، انزلق مجدداً وركض. بدأ الانهيار.

الأحجار، ثم الصخور، ثم الجلاميد التي قفزت إلى جانبه كجراء خرقاء، لكنها أكبر بكثير، أقسى بكثير، وأثقل بكثير، ومن شبه المؤكد أنها قد تقتلك إن سقطت عليك. تراقصت عيناه معها، ورقصت قدماه مع الأرض المتراقصة. ركض كأن الركض مرض رهيب مُنْهِك. خفق قلبه مع إيقاع دقات الجنون الجيولوجي من حوله.

فشل المنطق المتحكم بالموقف، في سبيل المثال: نجاته لا مفر منها إن كان لا بد أن تحدث الحادثة المُنْذَر بها في قصة اضطهاده غير المتعمّد لأغراجاغ، على نحو تام من أن يؤثر في عقله أو أن يمارس أي تأثير قمعي

عليه في هذه الأثناء. ركض والخوف من الموت في داخله، تحته، فوقه، وممسكاً بشعره.

فجأة، وقع مجدداً وقُذف به إلى الأمام بوساطة قوة دفع كبيرة. إنما، في اللحظة التي كان يوشك فيها أن يصطدم بالأرض بقوة صاعقة، شاهد أمامه حقيبة قماشية صغيرة ذات لون أزرق قاتم، كان متأكداً من أنه أضاعها في نظام استرداد الأمتعة في مطار أثينا منذ ما يقارب عشر سنوات في مقياسه الزمني السابق، وفي ظل دهشته أخطأ الأرض تماماً وراح يتمايل في الهواء ودماغه يغنّي.

ما كان يفعله هو التالي: كان يطير. ألقى نظرة من حوله بدهشة، لكن لم يكن هنالك مجال للشك في أن ذلك ما كان يفعله. لم يكن أي جزء منه يلامس الأرض، ولم يكن أي جزء منه يقترب منها. كان ببساطة يطوف في مكانه والجلاميد تندفع بعنف عبر الهواء من حوله.

باستطاعته الآن أن يفعل شيئاً حيال الأمر، بلمح البصر، ومن دون جهد يذكر، اندفع إلى الأعلى في الهواء، فأضحت الجلاميد الآن تندفع بعنف عبر الهواء تحته.

نظر إلى الأسفل بفضول حاد. ما بينه والأرض المرتجفة كان هنالك نحو الثلاثين قدماً من الهواء الفارغ، فارغ إن لم تحتسب الجلاميد التي لم تبق فيه فترة طويلة، بل وثبت إلى الأسفل، إلى قبضة قانون الجاذبية الحديدية، القانون نفسه الذي بدا أنه على حين غرة قد أعطى آرثر إجازة.

خطر له بلمح البصر تقريباً، مع التصحيح الغريزي الذي تبقيه غريزة البقاء في المخ، أنه لا يتوجب عليه أن يفكر في الأمر، وأنه لو فعل، فإن قانون

الجاذبية سينظر باتجاهه فجأة وبحدة، وسيطلب معرفة ما الذي يظن آرثر نفسه فاعلاً بحق الجحيم في الأعلى، وسَيُفْقَد كل شيء فجأة.

راح يفكر في الخزامى. كان أمراً صعباً، لكنه فعله. فكر في الاستدارة الصلبة والسّارّة في أسفل الخزامى، فكر في الألوان المثيرة للاهتمام التي تتخذها هذه الزهرة، وتساءل عن النسبة للعدد الكلي للخزامى التي نمت، أو كانت تنمو، على الأرض الموجودة في نصف قطر ميل من طاحونة هواء. بعد وهلة ملّ على نحو خطير من سلسلة الأفكار هذه، وشعر بالهواء يتلاشى من تحته، شعر بأنه ينجرف إلى الأسفل، إلى طريق الجلاميد الوثّابة التي كان يحاول جاهداً ألا يفكر فيها، لذا فكر في مطار أثينا قليلاً ما تسبب في إزعاجه على نحو مفيد لمدة خمس دقائق تقريباً، التي أجفل في نهايتها من اكتشافه أنه يطوف على ارتفاع نحو مئتي ياردة فوق الأرض.

تساءل للحظة عن كيفية عودته إلى الأرض، لكنه مجدداً نفر على الفور من حيّز التأمل ذاك، وجرّب أن يعاين الموقف بثبات.

لقد كان يطير، ما الذي سيفعله تجاه ذلك؟ نظر مجدداً إلى الأرض في الأسفل. لم ينظر إليها مطولاً، بل حاول جاهداً أن يرمقها بنظرة تافهة، كأنها تمر به مصادفة. كان هنالك شيئان لم يستطع تجاهلهما. أولهما أن ثورة الجبل تبدو الآن أنها انتهت، وكانت هنالك فوهة تحت القمة بقليل، حيث يحتمل أن الصخرة قد انهارت على قمة الكاتدرائية الكهفية الكبيرة، على تمثاله الشخصي، وعلى جسم أغراجاغ المظلوم على نحو محزن.

الآخر، حقيبته القماشية، التي أضاعها في مطار أثينا. كانت موضوعة بشكل جميل على جزء من الأرض النظيفة، محاطة بالجلاميد المنهكة، لكن

يبدو أنها قد أصيبت بأحدها. لم يستطع أن يخمن لم كان على ذلك أن يحدث، لكن بما أن هذا اللغز كان محجوباً كلياً من قبل اللااحتمالية الهائلة لوجود المحفظة هناك في المقام الأول، فلم يشعر في أي حال بأنه قوي كفاية من أجل تخمين كهذا. الأمر هو أنها كانت هناك، ويبدو أن محفظة جلد النمر المزيف البغيضة قد اختفت، وهذا ما كان مفيداً، إن لم يكن يمكن شرحه تماماً.

واجهته حقيقة أنه سيكون عليه أن يلتقط ذلك الشيء.

ها هو ذا، يطير على ارتفاع مئتي ياردة فوق سطح كوكب غريب لم يتمكن إطلاقاً من تذكّر اسمه. لم يتمكن من تجاهل المزاج الحزين لذلك الجزء الصغير الذي كان في ما مضى حياته، هنا، على بعد العديد من السنوات الضوئية من البقايا المسحوقة لمنزله.

أدرك آرثر أنه إن كانت الحقيبة في وضعها الذي فقدها فيه فستكون فيها عبوة، سيكون في داخلها زيت الزيتون اليوناني الوحيد الباقي في الكون.

ببطء، بحذر، إنشاً بإنش، راح ينحني إلى الأسفل، وهو يتأرجح برفق من جهة إلى أخرى كورقة خائفة تستشعر طريقها نحو الأرض.

مضى الأمر بخير، كان يشعر بالرضا. دعمه الهواء، وفي الوقت نفسه تركه يمر. بعد دقيقتين كان يحوّم على ارتفاع قدمين فحسب فوق الحقيبة، وكان يواجهه قرار صعب. انخفض إلى هناك برفق. عبس، لكن مجدداً، بأكثر ما يمكنه من رفق.

لو أنه التقط الحقيبة، فهل سيتمكن من حملها؟ ألا يمكن للوزن الزائد أن يسحبه ببساطة مباشرة إلى الأرض؟

ألا يمكن لمجرد ملامسة أي شيء على الأرض أن يفرّغه فجأة من تلك القوة الغريبة التي كانت تحمله في الهواء أياً كانت؟

ألا يمكن أن يكون من الأفضل له أن يكون واعياً في هذه المرحلة وأن يخرج من الهواء، ليعود إلى الأرض لدقيقة أو اثنتين؟

لو فعل ذلك، فهل سيتمكن من الطيران مجدداً؟

لما سمح لنفسه بأن يدرك ما هو عليه كان الإحساس مبهجاً إلى درجة أنه لم يستطع تحمل فكرة خسارته، ربماً أبداً. بهذا القلق في عقله تمايل قليلاً إلى الأعلى من جديد، لمجرد تجريب الشعور بهذا الإحساس، الحركة المفاجئة والعفوية لهذا الإحساس. تمايل، عَامَ. جرّب أن ينقضّ قليلاً.

كان الانقضاض مذهلاً. فقد كانت ذراعاه ممدودتين أمامه، شعره ورداؤه يرفرفان خلفه، اندفع من السماء، ووجه بطنه إلى كتلة من الهواء على ارتفاع قدمين من الأرض، وتأرجح إلى الأعلى مجدداً، وقد وجد نفسه يتمكن من هذا الروتين ويبقى ثابتاً. يبقى ثابتاً فحسب. بقي هناك.

كان ذلك رائعاً.

أدرك أن تلك كانت طريقة لالتقاط الحقيبة، كان سينقض إلى الأسفل ويمسك بالحقيبة في لحظة التأرجح إلى الأعلى. سيستمر في حملها معه إلى الأعلى. قد يرتعش قليلاً، لكنه كان متأكداً من أنه يستطيع الإمساك بها.

جرب تدريباً أو تدريبين إضافيين على الانقضاض، فتحسن أداؤه أكثر فأكثر. الهواء على وجهه، وثبات جسمه وصوت حفيفه، كل ذلك اجتمع ليشعره بثمل الروح الذي لم يشعر به منذ ولادته، بحسب ما يذكر.

انجرف على النسيم واستطلع الريف الذي كان، حسبما اكتشف، رديئاً جداً. كان منظر الريف مخرّباً وتلفاً. قرر ألا ينظر إليه مجدداً. كان سيلتقط الحقيبة وحسب ثم... لم يكن يعرف ما الذي سيفعله بعد أن يلتقط الحقيبة. قرر أنه سيلتقط الحقيبة وحسب ويرى إلى أين تؤول الأمور بعدها.

وازن نفسه عكس الريح، واندفع ضدها واستدار. طاف على كتلتها، لم يدرك ذلك، لكن جسمه كان يتأرجح في تلك المرحلة.

انخفض تحت تيار الهواء، انحدر، وهبط.

دفع الهواء بنفسه خلف آرثر، وارتعش آرثر عبر الهواء، واهتزت الأرض على نحو غامض، وقوّمت أفكارها وصعدت برشاقة لتلتقي به، مقدمة له الحقيبة مع مقابضها البلاستيكية المصدوعة إلى الأعلى باتجاهه.

في منتصف الطريق إلى الأسفل كانت هنالك لحظة خطر لم يتمكن في أثنائها من تصديق أنه يفعل ذلك، لذلك أوشك ألا يكون كذلك، لكنه استعاد وعيه في الوقت المناسب، وانزلق بخفة فوق الأرض، أزلق ذراعاً برشاقة عبر مقابض الحقيبة، وبدأ يصعد عائداً إلى الأعلى، ولم يستطع فعل ذلك، وفجأة انهار، مكدوماً، مخدوشاً ومرتجفاً على الأرض الحجرية.

ترنّح على الفور على قدميه وتمايل بيأس، مؤرجحاً الحقيبة حوله بحزن وخيبة أمل أليمين.

تلاصقت رجلاه فجأة ثقيلتين على الأرض بالطريقة التي لطالما كانتا عليها. بدا جسمه ككيس بطاطا يصعب التحكم به، وراح يترنح متعثراً على الأرض، أما دماغه فكان بوزن حقيبة من الرصاص.

ارتخى وتمايل واكتأب من الدوار، وحاول يائساً أن يركض لكن رجليه كانتا ضعيفتين جداً على حين غرة. تعثر وتخبط إلى الأمام. في هذه اللحظة تذكر أنه لم يكن يحمل في الحقيبة عبوة من زيت الزيتون اليوناني فقط بل حمولة غير خاضعة للرسوم من النبيذ اليوناني الأبيض، وفي الصدمة السارة لذلك الاكتشاف فشل في أن يلاحظ أنه كان يطير مجدداً منذ ما لا يقل عن عشر ثوان.

هتف وبكى من الراحة والسعادة، والبهجة الجسمانية المحضة. انقض، دار، انزلق واندفع عبر الهواء. جلس بوقاحة على التيار الهوائي الصاعد وراح يفتش محتويات الحقيبة. شعر الشعور نفسه الذي تخيل أن ملاكاً سيشعره خلال رقصته الاحتفالية اللامسؤولة بينما يقوم الفلاسفة بتقديره. ضحك بسرور باكتشافه أن الحقيبة احتوت في الواقع على زيت الزيتون والنبيذ اليوناني الأبيض مع زوج من النظارات الشمسية المكسورة، وبعض من سراويل السباحة الممتلئة بالرمال، وبطاقات بريدية مجعدة لسانتوريني، ومنشفة كبيرة وبشعة، وبعض الأحجار المثيرة للاهتمام، وقصاصات ورقية فيها عناوين أناس كان مرتاحاً لفكرة أنه لن يلتقي بهم مجدداً على الإطلاق، على الرغم من أن السبب في ذلك محزن. رمى الحصوات، ووضع النظارة الشمسية، وترك قصاصات الورق تتطاير بعيداً في الريح.

بعد عشر دقائق، وبينما هو ينساق بكسل عبر غيمة، أصابته حفلة كوكتيل كبيرة وحقيرة جداً في أسفل ظهره.

الفصل العشرون

إن الحفلة المهلكة والأطول في تاريخ الحفلات هي الآن في جيلها الرابع، ولم يُظهر أي أحد حتى الآن علائم المغادرة. نظر أحدهم إلى ساعته مرة، لكن ذلك كان منذ إحدى عشرة سنة، ولم يفعل أحد غيره ذلك.

الفوضى استثنائية، ويجب أن تُرى كي يتم التيقن منها، لكن إن لم يكن لديك أي حاجة خاصة لتتيقن منها، فلا تذهب وتنظر، لأنك لن تُسر.

كانت هنالك بعض الومضات والانفجارات في الغيوم مؤخراً، وثمة نظرية تقول أن هذه معركة محتدمة بين أساطيل شركات تنظيف سجادات متنافسة عدة التي كانت تحوم فوق الشيء مثل النسور، لكن لا ينبغي لك أن تصدق أي شيء تسمعه في الحفلات، وبالتحديد ليس أي شيء تسمعه في هذه الحفلة.

إحدى المشكلات، وهي مشكلة يبدو أنها ستزداد سوءاً، هي أن كل الناس في الحفل هم إما أبناء وإما أحفاد أو أبناء أحفاد الناس الذين لا يغادرون في المقام الأول، وبسبب كل ما يتعلق بموضوع التوالد الانتقائي والجينات الارتدادية وإلى ما هنالك، فهذا يعني أن كل الناس في الحفلة الآن هم إما رواد حفلات متعصبين على نحو مطلق، أو ثرثارون حمقى، أو، على نحو متكرر أكثر فأكثر، كلاهما معاً.

في أي حال، هذا يعني، جينياً، أن احتمالية مغادرة الحفل أقل لدى الجيل التالي من الجيل الذي سبقه.

وهكذا، دخلت عوامل أخرى في القضية، مثل متى سينتهي الشراب، وبسبب أشياء محددة حدثت وبدت كفكرة جيدة في وقتها (وإحدى المشكلات في الحفل الذي لا ينتهي، هي أن كل الأشياء التي فقط تبدو كفكرة جيدة في الحفلات تستمر في أن تبدو كفكرة جيدة)، بدا موضوع انتهاء الشراب كأنه لا يزال بعيداً.

أحد الأشياء التي بدت أنها فكرة جيدة في ذلك الوقت، أنه ينبغي للحفل أن يطير –ليس بالمعنى التقليدي بأنه على الحفلات أن تطير، بل حرفيّاً.

في إحدى الليالي، منذ زمن بعيد، تسلقت عصبة من المهندسين النجميين من الجيل الأول حول المبنى، يحفرون هنا، يصلحون هناك، يضربون بشدة على شيء آخر، ولما أشرقت الشمس في صباح اليوم التالي، أجفلت عندما وجدت نفسها تشع على مبنى ممتلئ بالناس المخمورين السعداء، يحلق كعصفور يافع وغير واثق فوق قمم الأشجار.

ليس ذلك فحسب، بل تمكن الحفل الطائر من أن يسلّح نفسه على نحو كبير أيضاً. فلقد أرادوا التأكد من أن القوة إلى جانبهم لو أنهم دخلوا في أي جدالات تافهة مع تجّار الخمر.

تم الانتقال من حفلات المشروبات طويلة الأمد إلى حفلات الإغارة محدودة الزمن بسهولة، وكانت ضرورية لإضافة المزيد من الحيوية والتأرجح إلى الأمر برمّته، وهذا ما كانوا يحتاجونه بشدة في هذه المرحلة

بسبب العدد الهائل للمرات التي عزفت فيها الفرقة كل الألحان التي تعرفها إبان السنين.

لقد غنموا، لقد أغاروا، لقد احتجزوا مدناً بأكملها مقابل فدية مؤونة طازجة من بسكويت الجبن، غِماس الأفوكادو، أضلاع مشذبة، نبيذ ومشروبات روحية، التي كانت تنقل إليهم عن طريق أنابيب من خزانات عائمة.

مع ذلك، فإنه سيتوجب، في أحد الأيام، مواجهة مشكلة **(**متى سينتهي الشراب**)**.

الكوكب الذي يعومون حوله لم يعد الكوكب نفسه الذي بدؤوا العوم حوله.

إن وضعه مزر.

هاجم الحفل وأغار على مساحات شاسعة منه، ولم يتمكن أحد على الإطلاق من صده بسبب الطريقة الغريبة والعشوائية التي طاف بها عبر السماء.

إنه حفل فريد في نوعه.

وإنه أيضاً لأمر فريد في نوعه أن تصطدم به في أسفل الظهر.

الفصل الحادي والعشرون

استلقى آرثر يتخبط من الألم على قطعة ممزقة ومتشظية من الإسمنت المسلح، تنقره حفنات من غيمة عابرة وتربكه أصوات لهو ضعيفة آتية من مكان ما خلفه.

كان هنالك صوت لم يستطع تمييزه من فوره، لأنه لم يكن يعرف الأغنية «تركت رجلي في جاغلان بيتا» ولأنها كانت تعزفها فرقة مُتْعَبة جداً، فبعض من أعضاء الفرقة كان يعزفها بزمن ثلاثة-أربعة، وبعضهم بزمن أربعة-أربعة، وبعضهم بنوع من سَكَرٍ شديد (ر٢)، كلٌ حسب المدة التي قضاها في النوم مؤخراً.

استلقى وهو يلهث بصعوبة في الهواء الرطب، وحاول تحسس أجزاء من جسمه ليرى أين يمكن أن يكون قد تأذى. أينما لامس نفسه كان يلاقي ألماً. بعد وهلة قصيرة أدرك أن السبب في ذلك هو أن يده كانت في الواقع تؤلمه. بدا أنه قد لوى معصمه. ظهره أيضاً كان يؤلمه، لكنه سرعان ما أقنع نفسه بأنه لم يكن يؤلمه كثيراً، لكنه مكدوم قليلاً مع بعض الارتجاج، ومن ليس كذلك؟ لكنه لم يتمكن من فهم ما يفعله مبنى وهو يطير عبر السحب.

من ناحية أخرى، كان يجد بعض الصعوبة بإيجاد أي تفسير مقنع لوجوده شخصياً، لذا قرر أن عليه هو والبناء أن يتقبلا بعضهما بعضاً. نظر

إلى الأعلى من حيث كان مستلقياً، ارتفع من خلفه جدار من بلاطات شاحبة لكن مبرقعة، خاص بالبناء. بدا أن آرثر متمدد على إفريز أو ما شابه يمتد إلى الخارج لثلاث أو أربع أقدام على كامل محيط المبنى. لقد كان هذا الإفريز كتلة الأرض التي كانت تقع عليها أساسات مبنى الحفل، التي أتت لتبقى مترابطة في القاعدة.

وقف بتوتر، وشعر فجأة بالدوار والغثيان وهو ينظر من فوق الحافة. اتكأ على الحائط وهو مبلل من الضباب والعرق. كان رأسه يدور عشوائياً، لكنه كان يشعر بوجود فراشة في معدته.

على الرغم من أنه وصل إلى هنا بقوته فحسب، لم يكن الآن قادراً على تحمل فكرة أن يتأمل الارتفاع البشع الذي أمامه. لم يكن ينوي تجريب حظه بالقفز. لم يكن ينوي أن يقترب إنشاً من الحافة. راح يتقدم تدريجياً على طول الجدار ممسكاً بحقيبته وكله أمل في أن يجد مدخلاً.

الوزن الموثوق لعلبة زيت الزيتون كان مطمئناً جداً له.

كان يتقدم ببطء باتجاه أقرب زاوية، آملاً أنه على الحائط خلف الزاوية قد تكون حظوظه في إيجاد مدخل أكبر من حظوظه هنا على هذا الحائط، الذي لا مدخل له.

جعله عدم استقرار المبنى في أثناء طيرانه يشعر بالغثيان والخوف معاً، وبعد وهلة قصيرة أخرج المنشفة من حقيبته وفعل بها شيئاً سوّغ من جديد مكانتها الأهم في قائمة الأشياء المفيدة التي عليك أن تأخذها معك عندما تسافر متطفلاً في المجرّة. وضعها فوق رأسه كي لا يرى ما يفعله.

تقدمت قدماه تدريجياً على طول الأرض، ويده الممدودة تقدمت تدريجياً على طول الجدار. وصل في النهاية إلى الزاوية، ومع التفاف يده حول الزاوية صادفت شيئاً صدمه إلى درجة أنه كاد يقع. كان ذلك الشيء يداً أخرى.

أمسكت اليدان ببعضهما بعضاً.

أراد بشدّة أن يستخدم يده الأخرى لينزع المنشفة عن عينيه لكنها كانت تمسك بالحقيبة التي تحتوي زيت الزيتون، والنبيذ اليوناني والبطاقات البريدية من سانتوريني، وكانت رغبته قوية في ألا يضعها على الأرض.

لقد اختبر واحدة من لحظات «الشخصية»، واحدة من تلك اللحظات التي تلتفت فيها فجأة وتنظر إلى نفسك وتتساءل «من أنا؟ ما الذي أريد فعله؟ ما الذي حققته؟ هل أبلي بلاء حسناً؟» وأنّ خفيفاً.

حاول أن يفلت يده لكنه لم يتمكن. كانت اليد الأخرى تمسك به بقوة. لم يكن له ملاذ سوى أن يتقدم تدريجياً إلى الأمام باتجاه الزاوية. حنى رأسه حول الزاوية وهزه في محاولة لإزاحة المنشفة عنه. بدا أن هذا الأمر قد استدعى صيحة انفعالية حادة وغير ملائمة من صاحب اليد الأخرى.

أزيحت المنشفة عن رأسه بسرعة فوجد عينيه تحدقان إلى عيني فورد بريفيكت. وقف خلف الأخير سلارتيبارتفاست، ومن خلفهما تمكن من رؤية ممر وباب ضخم مغلق.

كانا، فورد وسلارتيبارتفاست، مستندين إلى الحائط، وأعينهما جاحظة من الرعب وهما ينظران إلى السحابة السميكة والمصمتة من حولهما، ويحاولان مقاومة اهتزاز المبنى وتمايله.

هسهس فورد مذعوراً: «أين كنت بحق الفوتون المتزورك؟»

تمتم آرثر وهو لا يعرف بحق كيف يمكنه أن يلخّص كل ذلك بإيجاز: «إيه، حسناً، هنا وهناك، ما الذي تفعلانه هنا؟»

أدار فورد عينيه الجاحظتين نحو آرثر من جديد وهسهس قائلاً: «لا يسمحون لنا بالدخول من دون زجاجة».

أول شيء لاحظه آرثر مع دخولهم قلب الحفل، باستثناء الضجيج، الحرارة الخانقة، غزارة الألوان الجنونية التي اخترقت جو الدخان الكثيف على نحو باهت، والسجادات المكسوة بالزجاج الباهت، وبقايا الأفوكادو والرماد، ومجموعة صغيرة من المخلوقات الزاحفة المجنحة مرتدية اللوريكس، التي تقدمت نحو زجاجة النبيذ اليوناني المدللة خاصته وهي تصيح: «متعة جديدة، متعة جديدة»، هو وجود تريليان يدردش معها إله الرعد.

كان يقول: «ألم أرك في ميليويز؟»

- «هل كنت ذلك الشخص مع المطرقة؟»

- «نعم. أفضلها أكثر هنا. فالمكان مفعم أكثر وسيئ السمعة».

صدحت عبر الغرفة صيحات من بعض الملذات الشنيعة من الأبعاد الخارجية التي كانت مخفية خلال الازدحام اللاهث للمخلوقات السعيدة والمفعمة بالضجيج، التي كانت تصيح لبعضها مرحة بأشياء لم يتمكن أحد من سماعها وتعاني أحياناً من أزمات.

قالت تريليان: «يبدو ذلك مسلياً، ما الذي قلته يا آرثر؟»

- «قلت، كيف وصلت إلى هنا بحق الجحيم؟»

- «كنت مجموعة من النقاط المتدفقة عشوائياً عبر الكون. هل قابلت ثور؟[1] إنه يصنع الرعد».

قال آرثر: «مرحباً، أظن أن ذلك مثير للاهتمام جداً».

قال ثور: «مرحباً، إنه كذلك. هل حصلت على شراب؟»

- «إيه، لا في الواقع»...

- «إذاً لم لا تذهب وتأتي بواحد؟»

قالت تريليان: «أراك لاحقاً يا آرثر».

شيء ما نبّه دماغ آرثر، ونظر حوله متفحصاً.

قال: «زيفود ليس هنا، أليس كذلك؟»

قالت تريليان بحزم: «أراك، لاحقاً».

حملق به ثور بعينين قاسيتين وسوداوين كالفحم، وانتصب شعر ذقنه بخشونة، وحشد الضوء القليل الموجود في المكان قواه ليومض بخطر من قرني خوذته.

أمسك بمرفق تريليان بيده الكبيرة للغاية وتحركت العضلات في أعلى ذراعه حول بعضها كأنها سيارتا فولكس فاغن تركنان.

قادها بعيداً وهو يقول: «أحد الأشياء المثيرة في أن يكون المرء خالداً هو»...

---

(١) Thor إله الرعد، وابن أودن في الأساطير الشمالية – المترجم.

سمع آرثر سلارتيبارتفاست يقول لمخلوقة كبيرة وضخمة، بدت كأنها خسرت معركة مع لحاف زهري، كانت تحدق بإعجاب إلى عيني العجوز العميقتين ولحيته الفضية: «أحد الأشياء المثيرة للاهتمام بشأن الفضاء هو كم أنه ممل».

قالت المخلوقة: «ممل؟» وطرفت عينيها المتجعدتين والمحتقنين دماً.

قال سلارتيبارتفاست: «نعم، ممل على نحو مذهل. على نحو مربك. كما تعلمين، هنالك الكثير جداً منه، والقليل جداً فيه. هل ترغبين في أن أستشهد ببعض الإحصائيات؟»

- «إيه، حسناً»...

- «رجاءً، أود ذلك. إنهم أيضاً مملون بامتياز».

قالت وهي تربت على ذراعه: «سأعود وأستمع إليهم بعد لحظة». رفعت تنانيرها كطوافة وابتعدت إلى التاج المتأرجح.

دمدم العجوز قائلاً: «ظننت أنها لن تذهب، تعال أيها الأرضي»...

- «آرثر».

- «علينا أن نجد العارضة الفضية، إنها هنا في مكان ما».

قال آرثر: «ألا يمكننا أن نسترخي قليلاً؟ مررت بيوم عصيب. تريليان هنا، مصادفة، لم تقل كيف، من المرجح أنه لا يهم».

- «فكّر في الخطر على الكون»...

قال آرثر: «الكون كبير كفاية ومعمّر كفاية ليعتني بنفسه لنصف ساعة». أضاف قائلاً رداً على اهتياج سلارتيبارتفاست المتزايد: «حسناً، سأتجول في المكان وأرى إن كان أحد قد شاهدها».

قال سلارتيبارتفاست: «جيد، جيد، جيد». واقتحم الحشد شخصياً وأخبره كل من مر بهم أن يسترخي.

قال آرثر لرجل صغير بدا أنه يقف متشوقاً بانتظار أن يستمع إلى أحدهم: «هل رأيت عارضة في أي مكان؟ إنها مصنوعة من الفضة، مهمة جداً لسلامة الكون في المستقبل، وطولها هكذا تقريباً».

قال الرجل الصغير الذابل بحماس: «لا، لكن تناول شراباً وأخبرني كل شيء عنها».

مر في تلك اللحظة فورد بريفيكت وهو يتمايل، كان يرقص رقصة جامحة، مسعورة، وليست غير فاحشة بالكامل مع إحداهن، التي بدت كأنها ترتدي دار الأوبرا في سيدني على رأسها. كان يصيح بمحادثة عقيمة معها فوق مستوى الضجيج.

صاح قائلاً: «تعجبني تلك القبعة!»

- «ماذا؟»
- «قلت، تعجبني القبعة».
- «لست أرتدي قبعة».
- «حسناً، يعجبني الرأس إذاً».
- «ماذا؟»
- «قلت، يعجبني الرأس. بنيته العظمية مثيرة».
- «ماذا؟»

هزَّ فورد كتفيه ضمن النمط المعقد للحركات الأخرى التي كان يفعلها.

- «قلت، أنت ترقصين رائعاً، لا تومئي برأسك كثيراً فحسب».

- «ماذا؟»

قال فورد: «كل ما في الأمر أنه في كل مرة تومئين فيها،» وأضاف «...آو!» مع قيام شريكته بإيماءة رأسها لتقول «ماذا؟» ومرة أخرى نقرته بقوة على جبهته بالطرف الحاد من جمجمتها المسحوبة إلى الأمام.

قال آرثر: «لقد تم تفجير كوكبي في صباح أحد الأيام،» وكان قد وجد نفسه، في حين غرة، يخبر الرجل الصغير قصة حياته، أو في الأقل، عناوين مصححة منها، «لهذا السبب أرتدي هذه الملابس، عباءتي. لقد تم تفجير كوكبي وكل ملابسي عليه، كما ترى، ولم أدرك أنني سوف أحضر إلى حفل».

أومأ الرجل الصغير برأسه بحماس.

- «لاحقاً، رُميتُ من سفينة فضائية. ولا أزال في عباءتي. عوضاً عن البزة الفضائية التي يتوقعها المرء في الحالة الطبيعية. وبعد ذلك بفترة قصيرة اكتشفت أنه تم بناء كوكبي في الأصل من أجل مجموعة فئران. هل يمكنك تخيل كيف كان شعوري حيال ذلك؟ تم بعد ذلك إطلاق النار علي وانفجرت. في الواقع فُجّرت بتكرار سخيف، أطلقت علي النار، أُهنت، حُطمت بانتظام، وحُرِمْتُ من الشاي، واصطدمت مؤخراً بمستنقع، وكان علي تمضية خمس سنوات في كهف رطب».

انفعل الرجل الصغير وقال: «آه، وهل أمضيت وقتاً رائعاً؟»

بدأ آرثر يؤحّ بعنف في شرابه.

قال الرجل الصغير وقد أجفل قليلاً: «يا لها من سعلة رائعة ومثيرة، هل تمانع في انضمامي إليك؟»

ومع تلك العبارة، بدأ بأكثر نوبات السعال غرابة وإثارة، وقد فاجأت آرثر بشدة إلى درجة أنه راح يؤحّ بعنف، واكتشف أن ذلك ما كان يفعله، فارتبك تماماً.

أديا معاً لحناً ثنائياً منهكاً للرئتين استمر لدقيقتين كاملتين قبل أن يتمكن آرثر من أن يسعل ويغمغم متوقفاً.

قال الرجل الصغير: «منعش جداً،» وهو يلهث ويمسح الدموع من عينيه. «يا لها من حياة مثيرة تلك التي تعيشها. شكراً جزيلاً لك».

صافح آرثر بحرارة من يده ومشى مبتعداً إلى الحشد. هز آرثر رأسه بذهول.

اقترب رجل بمظهر فتي من آرثر، من النوع الذي تبدو عليه العدوانية بفم معقوف، وأنف مثل الفانوس، وعظام وجنتين خرزية صغيرة. كان يرتدي سروالاً أسود، وقميصاً حريرياً أسود مفتوحاً في المنطقة التي يفترض أن تكون سرته، على الرغم من أن آرثر قد تعلم ألا يُجري افتراضات فيما خص تشريح أجساد الناس الذين كان يقابلهم هذه الأيام، ولديه كل أنواع الأشياء الذهبية المتدلية البغيضة معلقة حول عنقه. كان يحمل شيئاً في حقيبة سوداء، ومن الواضح أنه أراد الناس أن يلاحظوا أنه لم يردهم أن يلاحظوها.

قال: «هيه، هل سمعتك تقول اسمك للتو الآن؟»

كان ذلك واحداً من الأشياء الكثيرة التي قالها آرثر للرجل الصغير المتحمس.

- «نعم، اسمي آرثر دينت».

بدا أن الرجل يتراقص قليلاً على بعض الإيقاعات المختلفة عن أي من الإيقاعات التي كانت تصدرها الفرقة بتجهّم.

قال: «أجل، هنالك رجل في جبل أراد أن يراك».

- «قابلته».
- «أجل، بدا قلقاً بعض الشيء حيال الأمر، كما تعلم».
- «نعم، قابلته».
- «أجل، حسناً أظن أن عليك أن تعرف ذلك».
- «أعلم ذلك. قابلته».

توقف الرجل قليلاً ليمضغ علكة صغيرة. ومن ثم ربت على ظهر آرثر.

قال: «حسناً، أنا أخبرك فحسب، صحيح؟ طاب مساؤك، حظاً موفقاً، اربح جوائز».

قال آرثر: «ماذا؟» وكان قد بدأ يتخبط بشكل جدي في هذه المرحلة.

قال الرجل: «أياً يكن، افعل ما تفعله، وافعله جيداً». وأصدر صوتاً كالقرقرة بذلك الشيء الذي كان يمضغه، ومن ثم أدى إيماءة حيوية مبهمة.

قال آرثر: «لم؟»

قال الرجل: «افعله على نحو سيئ، من يهتم؟ من يهتم بالأمر اللعين؟» بدأ الدم على حين غرة يُضخ بغضب في وجه الرجل، وبدأ يصرخ.

قال: «لم لا تجن؟ اذهب، هلا ابتعدت عني يا رجل. اغرب عن وجهي وحسب!!!»

قال آرثر بسرعة: «حسناً، أنا ذاهب».

قال الرجل وهو يشير بحدة: «كانت حقيقية». واختفى في الحشد.

قال آرثر لفتاة وجدها تقف إلى جانبه: «ما القصة؟ لم قال لي أن أربح جوائز؟»

قالت الفتاة وهي تهز كتفيها: «إنه كلام عالم المشاهير، لقد ربح للتو جائزة في حفل جوائز سنوي لمعهد أورسا ماينور ألفا للأوهام الاستجمامية، وكان يأمل أن يتمكن من أن يختال بها قليلاً، لكنك ببساطة لم تأت على ذكرها، لذا لم يتمكن من ذلك».

قال آرثر: «أوه، حسناً يؤسفني أنني لم أفعل. لم كانت الجائزة؟»

- «أكثر استخدام غير مسوّغ لكلمة «مضاجعة» في سيناريو جاد. إنها اعتبارية جداً».

قال آرثر: «فهمت، نعم، وما الذي تحصلين عليه لقاء ذلك؟»

- «روري، إنه شيء فضي صغير موضوع على قاعدة سوداء كبيرة. ما الذي قلته؟»

- «لم أقل شيئاً. كنت أوشك أن أسأل ما الشيء الفضي»...

- «آه، ظننتك قلت 'ووب'».

- «قلت ماذا؟»

- «ووب».

كان الناس يتطفلون على الحفل من دون حجز لسنوات عدة الآن، طفيليون أنيقون من كواكب أخرى، ولفترة من الزمن طرأ هذا على ذهن مرتادي الحفل حين كانوا ينظرون إلى كوكبهم في الأسفل، بمدنه المدمرة، بمزارع الأفوكادو التالفة والكروم الفاسدة، بقطع الأرض الواسعة التي استحالت صحراء، ببحاره الممتلئة بفتات البسكويت وأمور أسوأ، إن كوكبهم على نحو ما لم يعد ممتعاً كسابق عهده. بدأ بعضهم يتساءل إن كان بإمكانهم البقاء صاحين مدة كافية ليجعلوا الحفل ملائماً للفضاء، وربما نقله إلى كواكب أناس آخرين حيث يمكن للهواء أن يكون أكثر نقاء ولا يتسبب لهم بالكثير من الصداع.

حين سماعهم ذلك كانت حالة السرور كبيرة لدى القلة من الفلاحين ناقصي التغذية، الذين لا يزالون يتمكنون من تأمين وجود هزيل على أرض الكوكب نصف الميتة، لكن في ذلك اليوم، مع اقتراب الحفل وهو يزعق بين الغيوم، نظر الفلاحون إليه بخوف شاحب من غارة جُبن ونبيذ أخرى، بدا واضحاً أن الحفل لن يذهب إلى أي مكان في الوقت الراهن، وأن الحفل سينتهي قريباً. قريباً جداً سيكون الوقت لجمع القبعات والمعاطف والترنح على نحو متعب في الخارج لمعرفة أي وقت من اليوم هو، أي وقت من السنة هو، وإن كان هنالك في أي بقعة من هذه الأرض المتلفة والمحروقة سيارة أجرة ذاهبة إلى أي مكان.

كان الحفل مثبتاً بعناق رهيب مع سفينة فضاء بيضاء غريبة، التي بدت كأنها نصف مطعونة عبرها. معاً راحا يتمايلان، يرتفعان وينخفضان، ويدوران في مسارهما في السماء بتجاهل غريب لوزنيهما.

دوى الهواء وتفرقت الغيوم مندفعة خارج طريقهما.

بدا منظر الحفل وسفينة كريكت الحربية في تلويهما شبيهاً قليلاً ببطتين، إحداهما تحاول صنع بطة ثالثة في أحشاء البطة الثانية، في حين تحاول الأخيرة جاهدة أن تشرح أنها لا تشعر بأنها مستعدة لبطة ثالثة الآن، وأنها غير متأكدة من أنها قد تريد صنع أي بطة ثالثة مع البطة الأولى تحديداً، وبكل تأكيد ليس في أثناء انشغال البطة الثانية بالطيران.

غنّت السماء وصرخت بغضب من كل ذلك، وضربت الأرض بموجات من الصدمة.

فجأة، اختفت سفينة الكريكت بصوت فووب.

تخبط الحفل بعجز عبر السماء كرجل يتكئ على باب مفتوح على نحو غير متوقع. دار وتمايل على محركاته النفاثة. حاول تصحيح نفسه لكنه أخطأ عوضاً عن ذلك. ترنح عائداً عبر السماء مجدداً.

استمرت هذه الترنحات لوهلة، لكن من الواضح أنها لا تستطيع الاستمرار لفترة طويلة. أضحى الحفل الآن حفلاً جريحاً على نحو قاتل. اختفى كل المرح منه مع انعدام تمييز دوران رقص الباليه العرضي والمتقطع.

في هذه المرحلة، كلما ازدادت مدة تفادي الحفل للأرض، ازدادت معها قوة التصادم عندما سيضربها في النهاية.

لم تكن الأمور تسير على خير ما يرام في الداخل أيضاً، بل كانت تتدهور على نحو هائل في الواقع، وكان الناس يكرهونه ويقولون ذلك بأعلى صوت. كانت روبوتات كريكت هنا.

كانت قد خلعت جائزة أكثر استخدام غير مسوّغ لكلمة «مضاجعة» في سيناريو جاد وتركت مكانها مشهداً من الخراب ترك آرثر يشعر تقريباً بالشحوب نفسه الذي يشعر به متنافس لروري.

صاح فورد: «نود أن نبقى ونساعد، لكننا ببساطة لن نفعل ذلك». حين هو يشق طريقه فوق الحطام المشوّه.

تمايل الحفل من جديد باعثاً بآهات وصيحات محمومة من الحطام الذي ينبعث منه الدخان.

قال فورد: «علينا أن نذهب وننقذ الكون كما تعلمون، وإن بدا ذلك كعذر تافه، فقد تكونون محقين. في كل الأحوال، نحن ذاهبون».

فجأة، مر عند قارورة غير مفتوحة، وعلى نحو خارق للطبيعة، غير مكسورة على الأرض.

قال: «هل تمانعون إن أخذنا هذه، فلن تكونوا بحاجتها».

وأخذ عبوة من رقائق البطاطا أيضاً.

صاح آرثر بصوت مصدوم وضعيف: «تريليان؟» لم يتمكن من رؤية شيء في الفوضى الدخانية.

قال سلارتيبارتفاست بتوتر: «أيها الأرضي، علينا الذهاب».

صاح آرثر مجدداً: «تريليان؟»

بعد لحظة أو اثنتين ظهرت تريليان وهي تترنح وترتجف يساعدها صديقها الجديد، إله الرعد.

قال ثور: «ستبقى الفتاة معي، يقام حالياً حفل رائع في ڤالهالا[1]، سنطير إلى هناك»...

قال آرثر: «أين كنتما عندما كان يحدث كل هذا؟»

قال ثور: «في الطابق العلوي، كنت أقيس وزنها. إن الطيران أمر دقيق كما تعلم، عليك أن تحسب الرياح»...

قال آرثر: «ستأتي معنا».

قالت تريليان: «هيه، أليس لي»...

قال آرثر: «لا، ستأتين معنا».

نظر إليه ثور بعينين غاضبتين، كان يوضح فكرة حول الألوهية التي لم يكن لها علاقة بكونك نظيفاً.

قال بهدوء: «سوف تأتي معي».

قال سلارتيبارتفاست وهو يشد كم آرثر: «هيا أيها الأرضي».

قال فورد وهو يشد كم سلارتيبارتفاست: «هيا يا سلارتيبارتفاست»، كان الجهاز الناقل بحوزة سلارتيبارتفاست.

راح الحفل يتمايل مبعثراً الجميع ما عدا ثور وما عدا آرثر الذي حدّق، مرتجفاً، في عيني إله الرعد السوداوين.

---

(١) في الأساطير الشمالية، ڤالهالا عبارة عن قاعة مهيبة وضخمة تقع في آزغارد ويحكمها الإله أودن، والد ثور.

ببطء وعلى نحو لا يصدق، رفع آرثر ما بدا أنهما قبضتاه الصغيرتان.

قال: «هل تريد أن تفهم معنى ذلك؟»

هدر ثور قائلاً: «أستميحك عذراً؟»

كرر آرثر من دون أن يتمكن من إزالة الرعشة من صوته: «قلت، هل تريد أن تفهم معنى ذلك؟» وهزّ قبضتيه على نحو سخيف.

نظر إليه ثور بعدم تصديق. عند ذلك، تموجت نفحة من الدخان إلى الأعلى من منخريه، وكان هنالك بعض اللهب فيها أيضاً.

أمسك بحزامه. وسّع صدره ليوضح تماماً أنه رجل لن تجرؤ عليه إن لم يكن معك فريق من (الشرباويين).

فك مقبض مطرقته من حزامه، ورفعها بين يديه ليكشف عن الرأس الحديدي الهائل. وبذلك يكون قد وضح أي سوء فهم حول أنه لا يحمل سوى عمود تيليغراف معه.

قال مهسهساً كنهر يتدفق عبر طاحونة معدنية: «هل أريد أن أفهم معنى ذلك؟»

قال آرثر: «نعم،» وبدا صوته فجأة، وعلى نحو استثنائي، قوياً ومحارباً. هز قبضتيه مجدداً، وهذه المرة كأنه جدي.

زمجر في وجه ثور قائلاً: «هل تريد الخروج؟»

«حسناً» خارها ثور كأنه ثور بقر غاضب (أو في الواقع كإله رعد غاضب، إذ إن هذا التشبيه مؤثر أكثر بكثير)، وخرج.

قال آرثر: «جيد، تخلصنا منه. سلارتي، أخرجنا من هنا».

الفصل الثاني والعشرون

صاح فورد في وجه آرثر: «حسناً، إذاً أنا جبان، المهم أنني لا أزال في قيد الحياة». كانا قد عادا على ظهر السفينة الفضائية بيستروماث، وكذلك سلارتيبارتفاست، وتريليان، لكن الانسجام والوئام لم يعودا.

رد آرثر بالمثل قائلاً: «حسناً، إذاً أنا في قيد الحياة، ألست كذلك؟» وكان منهكاً من المغامرة والغضب. كان حاجباه يقفزان إلى الأعلى والأسفل كأنهما يريدان لكم بعضهما بعضاً.

انفجر فورد غاضباً: «أوشكت ألا تكون كذلك».

استدار آرثر بحدة نحو سلارتيبارتفاست الذي كان يجلس في أريكة الطيار خاصته في قمرة القيادة وهو يحدّق بتفكّر إلى أسفل القارورة التي كانت تخبره شيئاً لم يتمكن من فهمه على واضح. احتكم إليه آرثر.

قال وهو يرتعش من الانفعال: «هل تعتقد أنه يفهم الكلمة الأولى التي كنت أقولها؟»

رد سلارتيبارتفاست بشرود: «لا أعلم،» وأضاف: «لست واثقاً،» وهو يلقي نظرة سريعة إلى الأعلى، «من أنني أعرف». حدّق آلته بنشاط وحيرة متجددين وقال: «يترتب عليك أن تشرحها لنا من جديد».

- «حسناً»...

- «إنما لاحقاً، فهناك أشياء شنيعة تحدث».

نقر على الزجاج الزائف لقاعدة القارورة.

قال: «أخشى أننا تصرفنا على نحو مثير للشفقة إلى حد كبير، وأملنا الوحيد الآن هو أن نحاول منع الروبوتات من استخدام المفتاح في القفل. كيف سنفعل ذلك بحق السماء، لا أعلم،» وتمتم قائلاً: «أظن أنه علينا أن نذهب إلى هناك فحسب. لا يمكنني أن أقول إنني معجب بالفكرة إطلاقاً. ومن الممكن أن نلقى حتفنا».

قال آرثر بتظاهر مفاجئ بعدم المبالاة: «أين تريليان في أي حال؟» ما أغضبه كان أن فورد قد وبخه لإضاعته للوقت في جداله مع إله الرعد في حين كان بإمكانهم الهرب بسرعة. كان رأي آرثر، الذي قدمه، بغض النظر عن قيمته عند أيّ كان، أنه كان شجاعاً وداهية على نحو استثنائي.

بدا أن وجهة النظر السائدة تقول أن رأيه لم يكن يساوي زوجاً نتناً من كلى الدينغو. مع ذلك فإن المؤلم حقاً كان عدم تفاعل تريليان مع أي من أطراف الحدث، بل راحت تتجول في مكان ما.

قال فورد: «وأين رقائق البطاطا خاصتي؟»

قال سلارتيبارتفاست من دون أن ينظر إلى الأعلى: «إنها وتريليان في غرفة الأوهام المعلوماتية. أعتقد أن صديقتك الشابة تحاول فهم بعض المشكلات فيما يخص التاريخ المجرّي، وأعتقد أن رقائق البطاطا تساعدها في الأغلب».

الفصل الثالث والعشرون

من الخطأ أن تظن أنه يمكن حل أي من المشكلات الكبيرة بوساطة البطاطا فقط.

في سبيل المثال، كان هنالك في إحدى المرات عرق عدائي جداً من الناس يدعون الآرمورفينديين السيلاستيين من ستريتاراكس. كان ذلك اسم عرقهم فقط، أما اسم جيشهم فكان شيئاً مروعاً إلى حد كبير. لحسن الحظ عاشوا في زمن أقدم من زمن أي شيء صادفناه حتى الآن – منذ عشرين مليار سنة – لما كانت المجرة فتية وحديثة، وكل فكرة تستحق القتال من أجلها كانت فكرة جديدة.

كان القتال ما يجيده الآرمورفينديون السيلاستيون من ستريتاراكس، وبما أنهم يجيدونه، فلقد مارسوه كثيراً. فقاتلوا أعداءهم (مثال: كل الآخرين)، وقاتلوا بعضهم. كان كوكبهم عبارة عن حطام مطلق. تبعثرت المدن المهجورة على سطح الكوكب، وكانت محاطة بآلات حرب مهجورة، التي بدورها كانت محاطة بغرف عميقة تحت الأرض حيث عاش الآرمورفينديون السيلاستيون وتشاجروا مع بعضهم بعضاً.

أفضل طريقة لبدء عراك مع آرموفيندي سيلاستي هي مجرد أن تكون مولوداً. لم يكن الأمر يعجبهم، كانوا يصابون بالامتعاض، وحينما يصاب

آرموفيندي بالامتعاض يصاب أحدهم بأذى. قد يفكر أحدهم في أنها طريقة حياة منهكة، لكن يبدو أن لديهم كمية هائلة من الطاقة.

أفضل طريقة للتعامل مع آرموفيندي سيلاستي هي بوضعه في غرفة وحده، لأنه سيضرب نفسه عاجلاً أم آجلاً.

في النهاية، أدركوا أن ذلك شيء عليهم التعامل معه، فأصدروا قانوناً يقضي بأنه على أي أحد يحمل سلاحاً كجزء من عمله السيلاستي الاعتيادي (رجال الشرطة، الحراس الأمنيون، معلمو المدارس الابتدائية، إلخ.) أن يمضي خمساً وأربعين دقيقة يومياً في لكم كيس من البطاطا كي يخمد عدوانيته الفائضة.

سار الأمر جيداً لفترة، حتى خطر في بال أحدهم أن الأمر سيكون أكثر فاعلية وأقل استهلاكاً للوقت إن هم أطلقوا النار على البطاطا عوضاً عن ذلك. قاد الأمر إلى حماس متجدد لإطلاق النار على مختلف أنواع الأشياء، وتحمسوا جميعهم لإمكان أن يشنوا حرباً رئيسة لأول مرة منذ أسابيع.

إحدى إنجازات الآرمورفينديين السيلاستيين من ستريتاراكس الأخرى هي أنهم العرق الأول الذي يتمكن من صدم حاسوب.

كان حاسوباً عملاقاً مجوقلاً في الفضاء يدعى هاكتار، وكان يعدّ، حتى اليوم، كواحد من أقوى الحواسيب التي بنيت على الإطلاق. كان أول حاسوب يبنى كدماغ طبيعي، فقد حمل كل جزيء خلوي أنموذج الكليّة داخله، ما مكنه من التفكير بسلاسة أكبر وعلى نحو تخيّلي أكثر، وأيضاً، حسب ما يبدو، من أن ينصدم.

كان الآرمورفينديون السيلاستيون من ستريتاراكس منغمسين في إحدى حروبهم الاعتيادية مع الغارفايتريين الستيرنوسيين من ستاغ، ولم يكونوا يستمتعون بها وفق المعتاد، لأنها تضمنت الكثير من الخوض عبر مستنقعات سوولزيندا الإشعاعية، وفوق جبال فرازفراغا النارية، حيث لم يشعروا بالراحة في كلتا الأرضين.

لذا، لما انضم الستيليتانيون السترينجلوسيون من دجادجازيكستاك إلى المعركة وأجبروهم على القتال في جبهة أخرى في كهوف الغاما الكارفراكسية وفي عواصف ڤارلينغوتن الجليدية، قرروا أنه قد طفح الكيل، وأمروا هاكتار بتصميم سلاح فتاك لهم.

سأل هاكتار: «ما الذي تقصدونه بفتاك؟»

فقال الآرمورفينديون السيلاستيون من ستريتاراكس رداً عليه: «اقرأ قاموساً لعيناً». وعادوا إلى الانغماس في المعركة.

لذا، صمم هاكتار سلاحاً فتاكاً.

كانت قنبلة صغيرة جداً جداً، وهي ببساطة عبارة عن صندوق اتصال في الفضاء الفوقي، يعمل عند تفعيله على وصل قلب كل شمس رئيسة مع قلب كل شمس رئيسة أخرى في وقت واحد، وبذلك يحيل الكون بأسره إلى انفجار نجمي فوق فضائي هائل.

لما حاول الآرمورفينديون السيلاستيون استخدام القنبلة لتفجير مستودع ذخائر للستيليتانيين السترينجلوسيين في أحد كهوف الغاما، كانوا غاضبين بشدة لأنها لم تعمل، وقالوا ذلك.

كان هاكتار مصدوماً من الفكرة ككل.

حاول التفسير بأنه كان يفكر في أمر السلاح الفتاك هذا، واكتشف أنه لا توجد عاقبة يمكن تصورها لعدم تعطيل هذه القنبلة أسوأ من العاقبة المعروفة لتعطيلها، لذلك أخذ لنفسه الإذن بإدخال عطل صغير في تصميم القنبلة، وتمنى أن يشعر كل من خصه الأمر، بتفكير واع، أن...

لم يوافق الآرمورفينديون السيلاستيون على ذلك وسحقوا الحاسوب.

لاحقاً، فكروا في الأمر بطريقة أفضل ودمروا القنبلة المعابة أيضاً.

بعد ذلك، توقفوا قليلاً لتدمير الغارفايتريين الستيرنوسيين من ستاغ شر تدمير، والستيليتانيين السترينجلوسيين من دجادجازيكستاك، وتابعوا لاكتشاف طريقة جديدة كلياً لتفجير أنفسهم، والذي كان راحة عميقة لكل الآخرين في المجرة، تحديداً للغارفايتريين، للستيليتانيين وللبطاطا.

شاهدت تريليان كل هذا، كما شاهدت أيضاً قصة كريكت. خرجت متفكرة من غرفة الأوهام المعلوماتية، في الوقت المناسب لاكتشاف أنهم وصلوا متأخرين جداً.

الفصل الرابع والعشرون

مع التشكل الوميضي للسفينة النجمية بيستروماث على قمة جرف صغير فوق الكويكب الذي يبلغ عرضه ميلاً، والذي كان يسبح في مسار أزلي وحيد ضمن مدار حول مجموعة كريكت الشمسية المغلّفة، كان طاقمها يدرك أنه وصل في الوقت المناسب ليكون شاهداً على حدث تاريخي لا يمكن إيقافه.

لم يدرك أفراده أنهم سيشاهدون اثنين.

وقفوا ضعفاء، وحيدين وعاجزين على حافة الجرف، وشاهدوا النشاط في الأسفل. انطلقت رماح من الضوء في شكل أقواس خبيثة باتجاه الفراغ من نقطة تبعد نحو مئة ياردة إلى الأسفل وأمامهم.

حدّقوا إلى الحدث الذي يغشي الأبصار.

مكنّهم امتداد لحقل السفينة من الوقوف هناك، من جديد باستغلال نزعة العقل لأن يتم خداعه: مشكلات السقوط عن كتلة الكويكب الصغيرة، أو عدم القدرة على التنفس أصبحت ببساطة مشكلات شخص آخر.

كانت سفن كريكت الحربية البيضاء مركونة بين تجاويف الكويكب الرمادية الصلبة، تتوهج تارة بفعل أضواء الأقواس وتختفي تارة أخرى في

الظلال. رقصت الظلال السود المتشكلة بفعل الصخور الصلبة معاً بحركات جامحة مع مرور أقواس الضوء من حولها.

كانت الروبوتات البيض الإحدى عشرة تحمل مفتاح كريكت في موكب إلى الخارج نحو منتصف دائرة الضوء المتأرجح.

لقد أُعيد بناء مفتاح كريكت، لمعت مكوناته وتألقت، العمود المعدني (أو ساق مارڤن) الذي يمثل القوة والنفوذ، العارضة الذهبية (أو قلب محرك اللاحتمالية) الذي يمثل الازدهار، العمود الزجاجي (أو صولجان العدل لأرغابوتون) الذي يمثل العلم والعقل، العارضة الفضية (أو جائزة روري لأكثر استخدام غير مسوغ لكلمة «مضاجعة» في سيناريو جاد) والعمود الخشبي المعاد تكوينه للتو (أو رماد الدعامة الخشبية المحروقة التي تعبر عن اندثار الكريكت الإنكليزي) الذي يمثل الطبيعة والحياة الروحية.

تساءل آرثر بقلق: «أظن أنه لا يوجد ما يمكننا فعله في هذه المرحلة؟»

تنهد سلارتيبارتفاست قائلاً: «لا».

فشلت إيماءة خيبة الأمل التي عبرت وجه آرثر بشكل ذريع، وبما أنه كان يقف محتجباً بالظلال، فلقد سمح لتلك الإيماءة أن تتحول إلى إيماءة راحة.

قال: «يا للأسف».

قال سلارتيبارتفاست: «بكل غباء، ليس لدينا أسلحة».

قال آرثر بهدوء كبير: «اللعنة».

لم يقل فورد شيئاً.

لم تقل تريليان شيئاً أيضاً، لكن بطريقة تفكّر غريبة ومميزة. كانت تحدق إلى سواد الفضاء خلف الكويكب.

دار الكويكب حول غيمة الغبار المحيطة بغلاف الزمن البطيء الذي طوّق الكوكب حيث يعيش شعب كريكت، أسياد كريكت وروبوتاتهم القاتلة.

لم يكن لدى الجماعة العاجزة طريقة لمعرفة إن كانت روبوتات كريكت مدركة لوجودهم. لم يكن بإمكانهم سوى افتراض أنها مدركة ولا بد، لكنها شعرت، وهي على صواب في هذه الظروف، بأن ليس لديها ما تخشاه. كان لديها مهمة تاريخية للقيام بها، ويمكن النظر إلى جمهورها باحتقار.

قال آرثر: «شعور رهيب بالعجز، أليس كذلك؟» لكن الآخرين تجاهلوه. في مركز منطقة الضوء التي كانت تقترب منها الروبوتات، ظهر في الأرض تصدّع في شكل مربع. حدد التصدع نفسه بوضوح أكبر أكثر فأكثر، وسرعان ما بدا واضحاً أن كتلة من الأرض، مساحتها نحو ست أقدام مربعة، كانت ترتفع ببطء.

وفي الوقت نفسه أحسوا بحركة أخرى، لكنها كانت مهيبة، وللحظة أو اثنتين لم يكن معروفاً ما هو الشيء الذي يتحرك.

ومن ثم أصبح واضحاً.

كان الكويكب يتحرك، كان يتحرك ببطء باتجاه غيمة الغبار، كأنه يُسحب بعناد، يسحبه صياد سماوي بصنارة في داخل الغيمة.

كانوا سيقومون برحلة بالزمن الحقيقي عبر الغيمة التي كان قد سبق لهم القيام بها في غرفة الأوهام المعلوماتية. تسمّروا في أماكنهم بصمت، عبست تريليان.

بدا أن دهراً قد انقضى. بدا أن الأحداث تمضي ببطء، مع عبور الحافة التي في مقدمة الكويكب إلى النطاق المبهم والناعم للغيمة.

وسرعان ما أصبحوا محاطين بظلمة رقيقة ومتراقصة. عبروا خلالها، وواصلوا طريقهم، وهم غير مدركين للأشكال المبهمة والكواكب التي لا يمكن التمييز بينها في الظلمة ما عدا بطرف العين.

أعتم الغبار أشعة الضوء اللامعة. تلألأت أشعة الضوء اللامعة على عشرات الآلاف من ذرات الغبار.

مجدداً تأملت تريليان الممر من خلال أفكارها العابسة.

وتجاوزوها، لم يكونوا متأكدين من الزمن الذي استغرقوه فيما لو كان دقيقة أو نصف ساعة، لكنهم تجاوزوها، وواجههم فراغ جديد، كأن الفضاء قد أُزيل من الوجود من أمامهم.

وتحركت الأشياء الآن بسرعة.

بدا أن شعاعاً من الضوء الساطع جداً يوشك أن ينفجر من الكتلة التي ارتفعت ثلاث أقدام من الأرض، ومنها ارتفعت كتلة زجاجية أصغر حجماً، متألقة بألوان داخلية متراقصة.

كانت الكتلة مشققة بأخاديد عميقة، ثلاثة عمودية واثنان عرضيان، من الواضح أنه تم تصميمها لتقبل مفتاح ويكت.

اقتربت الروبوتات من القفل، وأقحمت المفتاح في موضعه وتراجعت إلى الخلف مجدداً. التوت الكتلة من تلقاء نفسها وبدأ الفضاء يتغير.

مع عودة الفضاء إلى الظهور، بدا أنه يلوي أعين المشاهدين الموجودين في تجاويفهم على نحو مؤلم. وجدوا أنفسهم يحدقون، إلى شمس متحللة وقفت أمامهم حيث بدا لثوان أنه لم يكن هنالك حتى فضاء فارغ. مضت ثانية أو اثنتان قبل أن يدركوا ما حدث على نحو كاف، وليضعوا أيديهم فوق أعينهم المعميّة والمرعوبة. في تلك الثانية أو الثانيتين أصبحوا مدركين لتلك الذرة الصغيرة التي كانت تتحرك ببطء عبر عين تلك الشمس.

ترنحوا بذهول إلى الخلف، وبآذانهم سمعوا الدوي الدقيق لصوت النشيد غير المتوقع الذي كانت تصيح به الروبوتات بانسجام.

«كريكت! كريكت! كريكت! كريكت!»

أرعبهم الصوت. كان قاسياً، كان بارداً، كان فارغاً، كان كئيباً آلياً. كان أيضاً منتصراً.

كانوا مذهولين من الصدمتين الحسيتين هاتين إلى درجة أنهم كادوا يفوتون ثاني حدث تاريخي.

لقد ركض من سفينة كريكت الحربية زيفود بيبلبروكس، الشخص الوحيد في التاريخ الذي ينجو من هجوم مباشر لروبوتات كريكت، وهو يلوح بمسدس زاب.

صاح قائلاً: «حسناً، الوضع تحت السيطرة تماماً في هذه اللحظة من الزمن».

أرجح الروبوت الوحيد الذي كان يحرس مدخل السفينة مضربه الحربي بصمت ووصله بقفا الرأس الأيسر لزيفود.

قال الرأس الأيسر: «من الذي فعل ذلك بحق زارك؟ وتدلى إلى الأمام خائر القوى.

حدق رأسه الأيمن بدقة إلى المسافة الوسطى، وقال: «من الذي فعل ذلك؟»

اتصل المضرب بقفا رأسه الأيمن.

سقط زيفود بكامل طوله على الأرض متخذاً شكلاً غريباً.

انتهى الحدث في غضون ثوان. بضع ضربات من الروبوتات كانت كافية لتدمير القفل إلى الأبد. انشطر وذاب وباعد محتوياته بكآبة. خطت الروبوتات على نحو متجهم، وبطريقة بدت كأنها مثبطة العزيمة، عائدة إلى سفينتها الحربية التي اختفت بصوت «فووب».

ركض فورد وتريليان كمحمومين إلى أسفل المنحدر الشديد حيث كان جسم زيفود بيبلبروكس القاتم والساكن.

الفصل الخامس والعشرون

قال زيفود فيما بدا له أنها المرة السابعة والثلاثون: «لا أعرف، كان بإمكانهم قتلي، لكنهم لم يفعلوا. لربما ظنوا أنني شخص رائع أو ما شابه. أتفهم ذلك».

سجّل الآخرون بصمت آراءهم فيما خص هذه النظرية.

استلقى زيفود على أرضية منصة القيادة الباردة. بدا أن ظهره يصارع الأرضية مع تخبط الألم عبره ضارباً في رأسيه.

همس قائلاً: «أظن أن هنالك خطباً ما في هؤلاء الفتية الكهربائيين. هنالك شيء غريب في أساسهم».

أشار سلارتيبارتفاست قائلاً: «إنهم مبرمجون ليقتلوا الجميع».

أزّ زيفود بين تخبطاته الشديدة: «يمكن أن يكون ذلك». لكنه لم يبد مقتنعاً تماماً.

قال لتريليان: «هيه، يا عزيزتي،» آملا في أن يصلح ذلك ما أفسده سلوكه السابق.

قالت بلطف: «هل أنت بخير؟»

قال: «نعم، أنا بخير».

قالت: «جيد،» وابتعدت لتفكر. حدّقت إلى شاشات المراقبة العملاقة فوق أرائك القيادة، وبمفتاح قلّبت صوراً للمكان عليها.

صورة منها كانت لسواد غيمة الغبار. واحدة كانت لشمس كريكت. واحدة كانت لكريكت نفسه. قلّبت بينها بعنف.

قال آرثر وهو يصفع ركبتيه ويقف: «حسناً، هذا وداع للمجرة إذاً».

قال سلارتيبارتفاست بتجهم: «لا، طريقنا واضح». وجعّد جبينه حتى لكأنك تتمكن من زراعة بعض من الخضراوات صغيرة الجذور فيه. وقف وخطا في المكان. ولما تكلم مجدداً، أخافه ما قاله إلى درجة أنه اضطر إلى الجلوس مجدداً.

قال: «علينا الهبوط إلى كريكت». هزّت تنهيدة عميقة جسمه القديم وبدت عيناه كأنهما تصلصلان في محجريهما.

قال: «من جديد، فشلنا على نحو مثير للشفقة، مثير للشفقة إلى حد بعيد».

قال فورد بهدوء: «ذلك لأننا لم نهتم كفاية. لقد أخبرتك».

علّق رجله على لوحة المعدات وراح يقضم شيئاً على أحد أظافره على نحو متقطع.

العجوز ببعض العتب كأنه يكافح ضد شيء شديد اللامبالاة في طبيعته: «إنما، ما لم نقرر أن نفعل شيئاً، فسيتم سحقنا جميعاً، سنموت جميعاً. من المؤكد أننا نهتم لذلك؟»

قال فورد: «ليس كافياً لنموت في سبيله». ورسم على وجهه ابتسامة كاذبة أدارها في أرجاء الغرفة لأي أحد أراد أن يراها.

من الواضح أن سلارتيبارتفاست قد وجد وجهة النظر هذه مغرية جداً وكافح ضدها. استدار مجدداً إلى زيفود الذي كان يصر على أسنانه ويتعرق من الألم.

قال: «لا بد أن لديك فكرة عن السبب في إبقائهم على حياتك. يبدو الأمر شديد الغرابة».

هز زيفود كتفيه قائلاً: «أعتقد أنهم لم يعلموا حتى، أخبرتك أنهم ضربوني أضعف ضربة، تسببوا بإغمائي فحسب، صحيح؟ جروني إلى سفينتهم، طرحوني في زاوية وتجاهلوني. كأنهم محرجون من كوني هناك. لو قلت أي شيء لأغموني مجدداً، لكننا أجرينا بعض النقاشات الرائعة. 'هيه... آاه!' 'مرحباً... آاه!' 'أتساءل... آاه!' لقد أبقوني مستمتعاً لساعات كما تعلم». وأجفل مجدداً.

كان يلعب بشيء ما بين أصابعه، رفعها، كانت العارضة الذهبية – قلب الذهب، قلب محرك اللااحتمالية اللانهائي. كان هو والعمود الخشبي الناجيين الوحيدين من تدمير القفل ولم يصابا بأذى.

قال: «سمعت أنه يمكن لسفينتك أن تتحرك قليلاً، فما رأيك أن تعيدني إلى سفينتي قبل أن»...

قال سلارتيبارتفاست: «ألن تساعدنا؟»

أصر زيفود قائلاً وهو يرفع نفسه: «أود أن أبقى وأساعدك في إنقاذ المجرة، إنما رأساي يؤلمانني على نحو فظيع، وأشعر أن هنالك المزيد من ألم

الرأس على الطريق. إنما، في المرة القادمة، إن كانت تحتاج إلى من ينقذها، يمكنك الاعتماد عليّ. هيه، عزيزتي تريليان؟»

نظرت إليه بلفتة: «نعم؟»

- «ألا تودين القدوم؟ قلب الذهب؟ متعة ومغامرة وأشياء جامحة بحق؟»

قالت: «سأهبط إلى كريكت».

الفصل السادس والعشرون

كانت التلة نفسها، لكن مع ذلك لم تكن هي نفسها.

هذه المرة لم تكن وهماً معلوماتياً. كان هذا كوكب كريكت نفسه، وكانوا يقفون عليه. إلى جانبهم وخلف الأشجار كان يقع المطعم الإيطالي الغريب الذي جلب أجسادهم الحقيقية إلى كوكب كريكت الحقيقي والحالي.

كانت الأعشاب القوية تحت أقدامهم حقيقية، التربة الغنية حقيقية أيضاً. الروائح المسكرة من الأشجار كانت حقيقية أيضاً. كانت الليلة ليلة حقيقية.

كريكت.

على الأغلب هو أخطر مكان في المجرة لوجود أي أحد ليس كريكتياً. المكان الذي لم يستطع أن يؤيد فكرة وجود أي مكان آخر، حيث إن قاطنيه الفاتنين، المحبوبين، والأذكياء سيصرخون بخوف، ووحشية وكره قاتل إن واجهوا أي أحد ليس منهم.

ارتعد آرثر.

ارتعد سلارتيبارتفاست.

وعلى نحو مفاجئ، ارتعد فورد.

لم يكن من المفاجئ أنه ارتعد، كان من المفاجئ أنه موجود معهم. إنما، لما أعادوا زيفود إلى سفينته شعر فورد على غير متوقع بالخزي من عدم الهرب.

فكر لنفسه، خطأ، خطأ خطأ خطأ. احتضن إليه واحداً من مسدسات زاب التي سلحوا أنفسهم بها من ترسانة زيفود.

ارتعدت تريليان، وعبست وهي تنظر إلى السماء.

هذه أيضاً لم تكن نفسها، لم تكن فارغة وخالية.

وبينما تغير الريف من حولهم قليلاً إبان ألفي سنة من حروب كريكت، وإبان السنوات الخمس التي انقضت منذ أن تم الإغلاق على كوكب كريكت في غلاف الزمن البطيء خاصته، منذ عشرة مليارات سنة، كانت السماء مختلفة دراماتيكياً.

تعلقت فيها أشكال سميكة وأضواء خافتة.

وُجدت عالياً في السماء، حيث لم يسبق لأي كريكتي أن نظر، مناطق الحرب، مناطق الروبوتات، سفن حربية هائلة وقطع من الأبراج تعلقت في حقول النيل-و-غراف فوق أراضي سطح كوكب كريكت الريفية الرعوية.

حدّقت إليهم تريليان وفكرت.

همس إليها فورد بريفيكت: «تريليان».

قالت: «نعم؟»

- «ما الذي تفعلينه؟»

- «أفكر».

- «هل تتنفسين دائماً بهذه الطريقة عندما تفكرين؟»

- «لم أكن أدرك بأنني أتنفس».

- «هذا ما أقلقني».

قالت تريليان: «أظنني أعرف»...

قال سلارتيبارتفاست بقلق: «صه!» وأشارت إليهم يده النحيلة والمرتجفة إلى الخلف بعيداً تحت ظل شجرة.

وفجأة، كما حدث في الشريط، كانت هنالك أضواء قادمة من طريق التلة، لكن هذه المرة لم تكن الأشعة المتراقصة من الفوانيس، بل من شعلات إلكترونية – وهو ما لم يكن بحد ذاته تغيراً دراماتيكياً – لكن كل تفصيل جعل قلوبهم تخفق من الخوف. في هذه المرة لم يكن هنالك أغان إيقاعية غريبة عن الأزهار والزراعة والكلاب الميتة، بل أصوات متخامدة في مناقشات كثيرة الإلحاح.

تحرك ضوء في السماء بتثاقل. تسمر آرثر بفعل الرعب من الأماكن المغلقة، وأطبقت الرياح الدافئة على حلقه.

في غضون ثوان ظهرت مجموعة ثانية، قادمة من الجانب الآخر من التلة المظلمة. كانوا يتحركون بسرعة وعزم، وشعلاتهم تتأرجح وتستشكف المكان من حولهم.

كانت الجماعتان تتقاربان، ولم تكونا مع بعضهما ببساطة. كانتا تتقاربان على نحو متعمد إلى النقطة حيث كان يقف آرثر والآخرون.

سمع آرثر صوت الحفيف الضعيف، في حين كان فورد بريفيكت يرفع مسدس زاب إلى كتفه، وسمع صوت السعلة المتشنجة الخفيفة مع رفع سلارتيبارتفاست لمسدسه. شعر بالوزن الكبير وغير المعتاد لمسدسه، فرفعه بيدين ترتعشان.

ارتبكت أصابعه لتحرير مزلاج الأمان وشبك مزلاج الخطر العظيم كما علّمه فورد. كان يرتجف إلى درجة أنه لو أطلق النار على أي أحد في تلك اللحظة لكان من الممكن أن ينقش توقيعه عليهم.

كانت تريليان الوحيدة التي لم ترفع مسدسها. رفعت حاجبيها، أخفضتهما مجدداً، وعضّت على شفتها بتأمل.

ابتدأت بالقول: «هل خطر لكم،» لكن أحداً لم يرد أن يناقش أي شيء في تلك اللحظة.

اقتحم الظلمة من خلفهم ضوء، استداروا ليجدوا جماعة ثالثة من الكريكتيين خلفهم، يتفحّصونهم بوساطة مشاعلهم.

طقطق مسدس فورد بريفيكت بوحشية، لكن النار ارتدت إلى المسدس فتحطم بين يديه.

كانت هنالك لحظة من الخوف الخالص، لحظة جمود قبل أن يقوم أي أحد بإطلاق النار مجدداً. وفي نهاية هذه اللحظة لم يطلق أحد النار.

كانوا محاطين بالكريكتيين شاحبي الأوجه، والمغمورين بأضواء المشاعل المتراقصة.

حدق المأسورون إلى آسريهم، حدق الآسرون إلى مأسوريهم.

قال أحد الآسرين: «مرحباً؟ معذرة، لكن ألستم... غرباء؟»

الفصل السابع والعشرون

في هذه الأثناء، وعلى بعد ملايين من الأميال أكثر من أن يتمكن عقل براحته من أن يدرك، كان زيفود بيبلبروكس يضبط مزاجه من جديد.

لقد أصلح سفينته – بمعنى أنه راقب باهتمام شديد حين أصلحها روبوت خدمة له – لقد أصبحت الآن، من جديد، واحدة من أقوى وأروع السفن في الوجود. يمكنه الذهاب إلى أي مكان، أن يفعل أي شيء. عبث بكتاب ومن ثم رماه بعيداً. كان كتاباً قد قرأه من قبل.

توجه إلى صف الاتصالات وفتح قناة طوارئ على كل الترددات.

قال: «هل من أحد يريد احتساء الشراب؟»

طقطق صوت من منتصف الطريق عبر المجرة: «هذه طوارئ يا صاح؟»

قال زيفود: «هل لديك خلّاطة؟»

- «اذهب وامتطِ نجماً مذنّباً».

قال زيفود: «حسناً، حسناً،» وأطفأ القناة من جديد. تنهد وجلس، وقف من جديد وتجول حتى وصل إلى شاشة حاسوب. ضغط على بعض الأزرار. راحت بعض النقاط تتحرك بسرعة على الشاشة وهي تأكل بعضها بعضاً.

قال زيفود: «أو! أووووف! بب بب بب!»

قال الحاسوب بسعادة من دقيقة من ذلك: «مرحباً، لقد سجلت ثلاث نقاط. الرقم القياسي السابق كان سبعة ملايين وخمسمئة وسبعة وتسعين الفاً، ومئتين و»...

قال زيفود: «حسناً، حسناً،» وأطفأ الشاشة مجدداً.

جلس من جديد، لعب بقلم رصاص، لكن ذلك أيضاً بدأ يفقد من جاذبيته.

قال: «حسناً، حسناً،» وأطعم نتيجته والرقم القياسي إلى حاسوب.

أحالت سفينته ما حولها من كون إلى غشاوة.

الفصل الثامن والعشرون

«أخبرنا،» قالها الكريكتي النحيل، شاحب الوجه، الذي تقدم من صف الآخرين ووقف بريبة في حلقة ضوء المشعل، قابضاً على مسدسه كأنه يحمله لشخص آخر خرج للتو إلى مكان ما لكنه سيعود في غضون دقيقة، وتابع: «هل تعرفون أي شيء عمّا يدعى توازن البيئة؟»

لم تكن هنالك إجابة من مأسوريهم، أو في الأقل لا شيء متلفّظ أكثر من بعض الغمغمات والتمتمات المرتبكة. تابع ضوء المشعل تراقصه عليهم. عالياً في السماء من فوقهم، استمر النشاط الشرير في منطقة الروبوتات.

تابع الكريكتي بصعوبة: «إنه مجرد شيء سمعنا عنه، في الأغلب ليس مهماً. حسناً، أظن أن من الأفضل أن نقتلكم إذاً».

نظر إلى مسدسه في الأسفل كأنه يحاول معرفة الجزء الذي عليه أن يضغطه.

قال وهو ينظر إلى الأعلى مجدداً: «ذلك ما سيكون إلا في حال كان لديكم ما تريدون الدردشة حوله؟»

تمكن ذهول بطيء وحذر من أجساد سلارتيبارتفاست، وفورد وآرثر. وقريباً جداً سيصل إلى أدمغتهم، التي كانت في اللحظة الراهنة

مشغولة فقط بتحريك عظام الفك لديهم إلى الأعلى والأسفل. كانت تريليان تهز رأسها كأنها تحاول إنهاء لعبة تركيب الصور عبر هز الصندوق.

قال رجل آخر من الحشد: «نحن قلقون، كما تعلمون، على خطة الدمار الكوني هذه».

أضاف آخر: «نعم، والتوازن البيئي. بدا لنا أنه لو تم تدمير كل ما تبقى من الكون فإن ذلك سيتسبب باضطراب التوازن البيئي على نحو أو آخر. نحن مهتمون جداً بعلم البيئة كما ترون». وتلاشى صوته بتعاسة.

قال آخر بصوت مرتفع: «والرياضة». فتسبب بموجة هتاف واستحسان من الآخرين.

وافقه الأول قائلاً: «نعم، والرياضة»... نظر إلى زميله في الخلف بصعوبة، وحكّه جيئة وذهاباً على خدّه. بدا أنه يصارع ارتباكاً داخلياً عميقاً، وكأن كل شيء أراد أن يقوله، وكل شيء فكر فيه أمور مختلفة عن بعضها تماماً، وحيث لم يتمكن من إيجاد صلة ممكنة بينها.

تمتم قائلاً: «كما ترون، فإن بعضنا»... ونظر حوله كأنه يستجدي التأكيد. أصدر الآخرون أصواتاً مشجعة. تابع قائلاً: «بعضنا مهتمون بأن يكون هنالك ارتباطات رياضية مع باقي المجرة، ومع أنني أتفهم الجدال الدائر حول إبقاء الرياضة بعيدة عن السياسة، أعتقد أننا إن أردنا أن يكون لنا ارتباطات رياضية مع باقي المجرة، مثلما لدينا، فربما يكون من الخطأ تدميرها. وبالتأكيد باقي الكون»... تلاشى صوته مجدداً «... وهي ما تبدو أنها فكرة الآن»...

قال سلارتيبارتفاست: «ما... ما»...

قال آرثر: «ككك...؟»

قال فورد بريفيكت: «دك»...

قالت تريليان: «حسناً، لنتكلم عنها». مشت إلى الأمام وأمسكت بذراع الكريكتي البائس والمرتبك. بدا عمره خمساً وعشرين، ما يعني، بسبب بعض التشوهات الغريبة في الوقت، التي تحدث في هذه المنطقة، أنه سيكون عمره عشرين فقط عندما انتهت حروب كريكت، منذ عشرة مليارات سنة.

قادته تريليان في مشوار قصير عبر ضوء المشعل قبل أن تقول أي شيء آخر. تعثر بارتباك وهو خلفها. كانت أشعة المشاعل المحيطة تخفت قليلاً الآن كأنها تتنازل عن مكانتها لهذه الفتاة الغريبة والهادئة التي بدا أنها الوحيدة التي تعرف ما الذي تفعله في كون من الارتباك القاتم.

استدارت وواجهته، ورفعت كلتا ذراعيه برفق، فكان عبارة عن صورة للتعاسة المرتبكة.

قالت: «أخبرني».

لم يقل شيئاً للحظة، في حين راح نظره يتنقل من عين من عينيها إلى الأخرى.

قال: «علينا... علينا أن نكون وحدنا... كما أظن». قطّب جبينه، ومن ثم أرخى رأسه إلى الأمام، وهو يهزه مثل شخص يحاول أن يحصل على قطعة نقدية من صندوق أموال بهزه. نظر إلى الأعلى مجدداً وقال: «لدينا هذه القنبلة الآن، كما ترين، إنها قنبلة صغيرة فحسب».

قالت: «أعلم».

حملق بها كأنها قالت شيئاً غريباً جداً عن الشمندر الأحمر.

قال: «بصدق، إنها صغيرة جداً، جداً».

قالت مجدداً: «أعلم».

تابع صوته: «لكنهم يقولون، يقولون إنها يمكن أن تدمر كل شيء في الوجود. وعلينا أن نفعل ذلك، كما ترين، كما أعتقد. هل سيجعلنا ذلك وحيدين؟ لا أعلم. لكن مع ذلك تبدو تلك وظيفتنا». وخفض رأسه مجدداً.

جاء صوت أجوف من الحشد: «أياً ما يعنيه ذلك».

وضعت تريليان ذراعيها ببطء حول الكريكتي البائس المذهول وربتت على رأسه المرتجف على كتفها.

قالت بهدوء، لكن بوضوح ليسمع كل الحشد الواقف في الظل: «لا بأس في ذلك، ليس عليك تنفيذ الأمر».

هزّته.

قالت مجدداً: «ليس عليك تنفيذ الأمر».

تركته يذهب، وتراجعت إلى الوراء.

قالت: «أريدك أن تفعل شيئاً لأجلي،» وضحكت على نحو غير متوقع.

قالت: «أريد،» وضحكت من جديد. وضعت يدها فوق فمها، ومن ثم قالت بوجه جدّي: «أريدك أن تأخذني إلى قائدك،» وأشارت إلى مناطق الحرب في السماء. بدا أنها تعرف أن قائدهم سيكون هناك.

بدا أن ضحكتها قد أفرغت شيئاً من الجو. في مكان ما خلف الحشد راح صوت يغني نغمة كانت لتمكن بول ماكارتني، لو أنه كتبها، من شراء العالم.

الفصل التاسع والعشرون

زحف زيفود بيبلبروكس بإقدام على طول النفق، وكان بطلاً كما هي عادته. كان مرتبكاً جداً، لكنه استمر يزحف بعناد لأنه كان مقداماً إلى ذلك الحد.

كان مرتبكاً بسبب شيء شاهده للتو، لكنه ليس بنصف الارتباك الذي سيحصل له بسبب شيء يوشك أن يسمعه، لذا من الأفضل الآن توضيح أين هو بالضبط.

كان في مناطق حرب الروبوتات على ارتفاع العديد من الأميال فوق سطح كوكب كريكت.

كان الغلاف الجوّي رقيقاً جداً وغير محمي نسبياً من أي أشعة أو أي شيء قد يرغب الفضاء في أن يرميه باتجاهه.

ركن سفينة قلب الذهب بين هياكل السفن الضخمة والقاتمة المتزاحمة التي اكتظت في السماء فوق كريكت، وقد دخل ما بدا أنه أكبر وأهم أبنية السماء من دون أن يكون مسلحاً سوى بمسدس زاب وشيء من أجل الصداع.

وجد نفسه في رواق طويل وعريض وسيئ الإنارة، حيث تمكن من الاختباء حتى يتمكن من التفكير في ما سيفعله لاحقاً. اختبأ لأن أحد

روبوتات كريكت كان يمشي في الرواق بين الحين والآخر، وعلى الرغم من أنه إلى حد الآن قد عاش حياة ساحرة على أيديهم، إلا أنها كانت مؤلمة إلى حد شديد، ولم تكن لديه رغبة في اختبار ما لم يكن واثقاً من أنه حظه الجيد.

في مرحلة معينة انحنى داخلاً غرفة تقود خارج الرواق، واكتشف أنها حجرة عملاقة، ومن جديد سيئة الإنارة.

في الواقع، كانت متحفاً بمعروض وحيد، ألا وهو حطام سفينة فضاء. كانت مشوّهة ومحروقة على نحو فظيع، والآن بعد أن تابع بعضاً من التاريخ المجرّي الذي فوّته في محاولاته الفاشلة لممارسة الجنس مع الفتاة من المهجع الافتراضي إلى جانبه في المدرسة، كان قادراً بذكاء أن يخمن أن ما هذا إلا السفينة الفضائية المتحطمة التي انجرفت عبر غيمة الغبار منذ كل تلك المليارات من السنين التي مضت والتي كانت السبب في كل ما حدث.

إنما، كان هنالك شيء ليس جيداً البتة حولها، وهذا ما أصابه بالارتباك.

لقد كانت محطمة بحق. كانت محترقة بحق، لكن بتمعن سريع من عين خبيرة تكشف أنها لم تكن سفينة فضاء بحق. بدت كأنها أنموذج تام لواحدة، أو مخطط صلب. بمعنى آخر، بدت كأنها شيء من المفيد امتلاكه إن قررت فجأة أن تبني سفينة فضاء بمفردك ولم تكن تعرف سبيلاً إلى ذلك. إلا أنها لم تكن مع ذلك أي شيء قد يطير بمفرده إلى أي مكان.

كان لا يزال يتعجب من الأمر – في الواقع كان قد بدأ يتعجب – عندما أدرك أن الباب قد انزلق منفتحاً في جزء آخر من الحجرة، ودخل زوج آخر من روبوتات كريكت، متجهمين.

لم يرد زيفود أن يشتبك معهما، وبعد أن قرر أن التعقّل أفضل من الشجاعة، وأن الجبن أفضل من التعقل، أخفى نفسه بشجاعة في خزانة.

اتضح أن الخزانة لم تكن سوى القسم العلوي من مصعد يفضي إلى الأسفل عبر فتحة تفتيش إلى قناة تبريد عريضة. ساق نفسه فيها وراح يزحف على طولها، حيث كنا قد وجدناه.

لم تعجبه، لقد كانت باردة، معتمة، وغير مريحة البتة، كما أنها كانت تخيفه. صعد إلى الأعلى خارجاً منها في أول فرصة، التي كانت مصعداً آخر على بعد مئة ياردة.

في هذه المرة، ظهر في حجرة أصغر، بدت أنها مركز ذكاء لحاسوب. لقد برز في مجال ضيق ومعتم بين ركام حاسوب ضخم والجدار.

علم بسرعة أنه ليس وحيداً في الحجرة، وبدأ يغادر من جديد، عندما بدأ يستمع باهتمام إلى ما كان يقوله القاطنون الآخرون.

قال صوت: «إنها الروبوتات يا سيدي، هنالك خطب ما بها».

- «ما هو بالضبط؟»

كانا هذان صوتيّ ضابطي حرب كريكتيين. عاش كل ضباط الحرب عالياً في السماء في مناطق حرب الروبوتات، وكانت لديهم مناعة كبيرة

للارتيابات الغريبة والشكوك التي كانت تصيب أصحابهم على سطح الكوكب في الأسفل.

- «حسناً سيدي، أعتقد أن السبب في ذلك هو سحبهم من المجهود الحربي، وأننا الآن سنفجر قنبلة الانفجار النجمي. في وقت قصير جداً بما أنه تم إطلاقنا من الغلاف –»
- «ما الذي تقصده؟»
- «الروبوتات غير مستمتعة بالأمر يا سيدي».
- «ماذا؟»
- «يبدو أن الحرب تثبط من عزيمتها يا سيدي. هنالك ضجر عالمي في ما يخصها، أو يفضل أن أقول ضجر كوني».
- «حسناً، لا بأس في ذلك، يتوجب عليها أن تساعد في تدميره».
- «نعم، إنها تجد الأمر صعباً يا سيدي، إنها مصابة بنوع من الكسل. إنها تواجه صعوبة في الانتهاء من العمل، إنها تفتقد الطاقة».
- «ما الذي تحاول أن تقوله؟»
- «حسناً، أظن أنها مكتئبة جداً حيال أمر ما يا سيدي».
- «ما الذي تتحدث عنه بحق كريكت؟»
- «في بعض المناوشات التي خاضتها مؤخراً، بدا أنها تدخل في القتال، ترفع أسلحتها لإطلاق النار، ومن بعد ذلك تفكر فجأة، لم التعب؟ ما الذي يعنيه ذلك، كونياً؟ ومن ثم يبدو أنها تتعب قليلاً وتتجهم».

- «وعند ذلك، ما الذي تفعله؟»
- «معادلات تربيعية في معظم الأحيان يا سيدي. وتكون صعبة جداً بكل المقاييس، ومن ثم تحرد».
- «تحرد؟»
- «نعم يا سيدي».
- «من الذي سمع بروبوت يحرد؟»
- «لا أعرف يا سيدي».
- «ما كانت تلك الضوضاء؟»

كانت تلك ضوضاء زيفود وهو يغادر ورأسه يدور.

الفصل الثلاثون

جلس روبوت كسيح في بئر ظلامية عميقة. مضى له بعض الوقت صامتاً في ظلامه المعدني. كان البئر بارداً ورطباً، لكن بما أنه روبوت فمن المفترض ألا يكون قادراً على ملاحظة هذه الأشياء. إنما بجهد كبير من الإرادة، تمكن من ملاحظتها.

جرى تسخير دماغه لنواة العقل المركزي لحاسوب كريكت الحربي. لم يكن يستمتع بهذه التجربة لا هو ولا نواة العقل المركزي لحاسوب كريكت الحربي.

إن روبوتات كريكت، التي خلّصت هذا المخلوق المعدني المثير للشفقة من مستنقعات سكورنشيلس زيتا، أدركت على الفور ذكاءه الهائل وكيفية استفادتها منه.

لكنها لم تأخذ في الحسبان أمراض الخادم الشخصية، التي لم يفعل كل من البرد، الظلمة، الرطوبة، الضيق، والوحدة شيئاً لتخفيفها.

لم يكن الروبوت سعيداً بمهمته.

وبمعزل عن أي شيء آخر، فلم يكن يستحوذ مجرد تنسيق الاستراتيجيات العسكرية لكوكب كامل سوى على جزء صغير من دماغه الرهيب، وأصاب ما تبقى منه ملل شديد. وبما أنه حلَّ كل المشكلات

الرياضية، الفيزيائية، الكيميائية، الحيوية، الاجتماعية، الفلسفية، اللغوية، الأرصادية، والنفسية الرئيسة للكون، ما عداه هو، ثلاث مرات، كان محتاجاً بشدة إلى شيء ما ليفعله، فراح يؤلف أغاني قصيرة حزينة من دون نغمة أو لحن. آخر واحدة كانت تهويدة.

تكلم مارڤن على نحو ممل: «ذهب العالم الآن للنوم،

لن تبتلع الظلمة رأسي،

أستطيع الرؤية بالأشعة تحت الحمراء،

كم أكره الليل».

توقف قليلاً ليجمع قواه الفنية والعاطفية لمعالجة البيت التالي من الشعر.

«الآن أستلقي للنوم،

أحاول أن أعد خرافاً كهربائية،

يمكنك الاحتفاظ بأمانيك عن الأحلام السعيدة،

كم أكره الليل».

هسهس صوت قائلاً: «مارڤن!»

ارتفع رأس مارڤن إلى الأعلى بسرعة، وكاد ينزع شبكة الأقطاب الكهربائية المعقدة التي تصله بحاسوب كريكت الحربي المركزي.

فُتحت فتحة تفتيش وأخذ أحد الرأسين صعبي المراس يحدّق، في حين راح الآخر يهزه وهو ينظر بحدة وبشكل مستمر في هذا الاتجاه وذاك بتوتر كبير.

دمدم الروبوت: «آه، هذا أنت، كنت قد عرفت».

قال زيفود بدهشة: «هيه يا فتى، هل كنت أنت من يغني منذ وهلة؟»

اعترف مارڤن بمرارة: «أنا حالياً في حالة مميزة من التألق».

أقحم زيفود رأسه عبر الفتحة ونظر حوله قائلاً: «هل أنت بمفردك؟»

قال مارڤن: «نعم، أجلس هنا بسأم، لا يرافقني سوى الألم والتعاسة، وذكاء واسع بالطبع. وحزن لا ينتهي. و»...

قال زيفود: «أجل، هيه، ما صلتك بكل هذا؟»

قال مارڤن: «هذا،» وهو يشير بذراعه التي لم تتضرر كثيراً إلى كل الأقطاب التي وصلته بحاسوب كريكت.

قال زيفود بارتباك: «إذاً، أظن أنك قد أنقذت حياتي. مرتين».

قال مارڤن: «ثلاث مرات».

استدار رأس زيفود بسرعة (رأسه الآخر كان ينظر مثل رأس صقر إلى الاتجاه الخطأ كلياً) في الوقت المناسب لرؤية روبوت قاتل خلفه تماماً يتوقف عن العمل ويبدأ بإصدار الدخان. ترنح الروبوت إلى الخلف وتهاوى على حائط، انزلق إلى أسفله، وألقى رأسه إلى الخلف وراح ينشج على نحو لا عزاء له.

نظر زيفود إلى مارڤن مجدداً وقال: «لا بد أن لديك وجهة نظر رائعة عن الحياة».

قال مارڤن: «لا تسأل حتى».

قال زيفود: «لن أفعل،» ولم يفعل، بل أضاف: «اسمع، أنت تقوم بعمل رائع».

قال مارڤن: «ما يعني كما أظن،» ولم يستغرقه سوى جزء من عشرة آلاف مليون مليار ترليون بليون جزء من قواه العقلية ليقوم بهذه القفزة المنطقية بالتحديد «أنك لن تطلق سراحي أو أي شيء من هذا القبيل».

- «بني، تعرف أنني أود ذلك».
- «لكنك لن تفعل ذلك».
- «لا».
- «فهمت».
- «أنت تعمل جيداً».

قال مارڤن: «نعم، لِمَ أتوقف الآن عندما بدأت أكره الأمر؟»

- «عليّ أن أجد تريليان والآخرين. هل لديك فكرة عن مكان وجودهم؟ أقصد أنه علي أن أختار كوكباً، قد يستغرقني ذلك بعض الوقت».

قال مارڤن بكآبة: «إنهم قريبون جداً، يمكنك مشاهدتهم من هنا إن أحببت».

أصر زيفود قائلاً: «من الأفضل أن أصل إليهم، إيـ، ربما يحتاجون إلى المساعدة أليس كذلك؟»

قال مارڤن بنبرة تسلطية غير متوقعة في صوته الحدادي: «لربما كان من الأفضل أن تراقبهم من هنا». ثم أضاف على نحو غير متوقع: «تلك الفتاة الشابة هي واحدة من أقل أشكال الحياة غباءً وجهلاً، ومن قلة سعادتي العميقة أن أكون غير قادر على تجنب لقائها».

استغرق زيفود لدقيقة أو دقيقتين ليجد طريقه عبر هذه السلسة المتاهيّة من السلبية وظهر من الناحية الأخرى وقد فوجئ.

قال: «تريليان؟ إنها مجرد طفلة. لطيفة، لكنها متقلبة. تعرف كيف يكون الأمر مع النسوة. أو لربما لا تعرف. أفترض أنك لا تعرف. وإن كنت تعرف فأنا لا أريد أن أسمع عن ذلك. قم بتوصيلنا».

- «... متأثر بشكل تام».

قال زيفود: «ماذا؟»

كانت تلك تريليان، فاستدار.

كان الجدار الذي اتكأ عليه روبوت كريكت وهو ينشج قد أضاء ليكشف مشهداً لمكان آخر غير معروف من مناطق حرب روبوتات كريكت. بدا أنه حجرة مجلس أو ما شابه – لم يتمكن زيفود من التأكد بسبب الروبوت الذي كان قد تهاوى على الشاشة.

حاول تحريك الروبوت لكن الأخير كان مثقلاً بأحزانه وحاول أن يعضه، لذلك حاول أن ينظر من ورائه بأفضل ما يستطيع.

قال صوت تريليان: «فكّر في الأمر، تاريخك عبارة عن سلسلة من الأحداث غير المنطقية على نحو شاذ. وأنا أعرف الحدث غير المنطقي عندما أشاهد واحداً. كبداية فإن عزلتك عن بقية المجرة هي أمر شاذ، في الخارج، في أقصى الحافة تحيط بك غيمة غبار. من الواضح أنها مكيدة».

كاد زيفود يجن من الغضب لأنه لم يتمكن من رؤية الشاشة. كان رأس الروبوت يعيق مشاهدته للناس الذين كانت تتحدث تريليان إليهم،

ومضربه الحربي متعدد الوظائف كان يغطي الخلفية، ومرفق الذراع التي ضغطت بشكل تراجيدي على جبينه كان يغطي تريليان.

قالت تريليان: «ومن ثم هنالك هذه السفينة التي هبطت متحطمة على كوكبك. كان ذلك ملائماً، أليس كذلك؟ هل لديك أدنى فكرة عن احتمال أن تنجرف سفينة فضائية متقاطعة مع مدار كوكب؟»

قال زيفود: «هيه، هي لا تعلم شيئاً عما تتكلم عنه. لقد رأيت سفينة الفضاء تلك، إنها مزيفة. لا قيمة للأمر».

قال مارڤن من سجنه خلف زيفود: «ظننت أنها قد تكون كذلك».

قال زيفود: «حقاً، من السهل عليك أن تقول ذلك، لقد أخبرتك للتو. في كل حال، لا أعرف ما علاقة الأمر بأي شيء».

تابعت تريليان: «وبالأخص، احتمالات أن تتقاطع مع مدار الكوكب الوحيد في المجرة، أو في الكون بأسره حسبما أعرف، الذي يمكن أن يصاب بصدمة كاملة لرؤيتها. لا تعرفون ما هي الاحتمالات؟ ولا أنا، إنها كبيرة. مجدداً، إنها مكيدة. لن أُفاجأ إن كانت تلك السفينة مزيفة».

تمكن زيفود من تحريك مضرب الروبوت الحربي، فظهرت خلفه على الشاشة أشكال فورد، آرثر وسلارتيبارتفاست مذهولين ومرتبكين من الأمر برمّته.

قال زيفود بحماس: «هيه، انظر، الأصحاب يبلون بلاء رائعاً. را را را! اهزموهم يا رفاق».

قالت تريليان: «وماذا عن كل هذه التكنولوجيا التي تمكنتم فجأة من بنائها بمفردكم بين ليلة وضحاها تقريباً؟ يتطلب الأمر عند معظم الناس

آلاف السنين ليفعلوا كل ذلك. كان أحد ما يغذيكم بما احتجتم إلى معرفته، كان أحدهم يشغلكم بها».

أضافت في معرض ردها على مقاطعة غير مرئية: «أعلم، أعلم، أعلم أنكم لم تدركوا أن الأمر كان يجري، هذه بالتحديد فرضيتي، لم تدركوا شيئاً إطلاقاً. مثل قنبلة الانفجار النجمي هذه».

قال صوت غير مرئي: «كيف تعرفين عنها؟»

قالت تريليان: «أعلم وحسب، هل تتوقع مني أن أصدق أنكم أذكياء إلى درجة أن تخترعوا شيئاً بهذه الروعة، وأن تكونوا أغبياء إلى درجة ألا تدركوا أنها سوف تقضي عليكم أيضاً؟ هذا ليس غباءً فحسب، هذه بلاهة مذهلة».

قال زيفود لمارڤن بذعر: «هيه، ما هذه القنبلة؟»

قال مارڤن: «قنبلة الانفجار النجمي؟ إنها قنبلة صغيرة جداً جداً».

- «حقاً؟»

أضاف مارڤن: «يمكن أن تدمر الكون في لحظة، فكرة جيدة إن أردت رأيي، لكنهم لن يشغلوها».

- «لم لا، إن كانت رائعة إلى هذا الحد؟»

قال مارڤن: «إنها رائعة، لكنهم ليسوا كذلك. كل ما تمكنوا منه هو تصميمها قبل أن يتم حبسهم في الغلاف. لقد أمضوا السنوات الخمس الأخيرة في بنائها. يظنون أنهم بنوها على النحو الصحيح، لكنهم لم يفعلوا. إنهم أغبياء مثلهم مثل أي شكل من أشكال الحياة العضوية. أكرههم».

كانت تريليان تتابع.

حاول زيفود سحب روبوت الكريكت بعيداً من قدمه، لكنه ركل وهدر في وجهه، ومن ثم اهتز بنوبة جديدة من النشيج. ومن ثم تهاوى وتابع تعبيره عن مشاعره بطريقة غريبة على الأرض.

كانت تريليان تقف وحيدة وسط الحجرة منهكة لكن عينيها تتقدان على نحو عنيف.

وقف على نسق أمامها أسياد كريكت الشيوخ المتجعدون بأوجههم الشاحبة، ثابتين خلف منصات التحكم الخاصة بهم والمنحنية على نحو واسع، يحدقونها بخوف وكره بائسين.

أمامهم، وعلى مسافة متساوية، بين منصات التحكم ومنتصف الحجرة، حيث وقفت تريليان، كأنها في محاكمة، كان يوجد عمود أبيض نحيل طوله نحو أربع أقدام، وعلى قمته توجد كرة بيضاء صغيرة، قطرها نحو ثلاثة أو أربعة إنشات.

وقف إلى جانبها روبوت كريكت مع مضربه الحربي متعدد الاستعمالات.

شرحت تريليان قائلة: «في الواقع، أنتم أغبياء جداً» (كانت تتعرق. شعر زيفود أن ذلك لم يكن شيئاً جذاباً لتفعله في هذه المرحلة) «أنتم جميعاً أغبياء إلى درجة أنني أشك، أشك جداً، في أنكم كنتم قادرين على بناء القنبلة على نحو مناسب من دون أي مساعدة من هاكتار في السنوات الخمس الماضية».

قال زيفود وهو يضبط كتفيه: «من هو هذا الهاكتار؟»

لو رد مارڤن، لما سمعه زيفود. فلقد كان كل انتباهه منصباً على الشاشة.

قام أحد شيوخ كريكت بحركة صغيرة بيده باتجاه روبوت كريكت. رفع الروبوت مضربه.

قال مارڤن: «لا أستطيع أن أفعل شيئاً، إنه موصول على دارة مستقلة عن الآخرين».

قالت تريليان: «انتظر».

قام الشيخ بحركة صغيرة، توقف الروبوت. بدت تريليان على حين غرة في شك كبير من رأيها.

في هذه المرحلة قال زيفود لمارڤن: «كيف تعرف كل هذا؟»

قال مارڤن: «سجلات الحاسوب، أملك قدرة الوصول».

قالت تريليان للأسياد الشيوخ: «أنتم مختلفون جداً، ألستم كذلك؟ عن رفاقكم الأرضيين على الأرض في الأسفل. لقد أمضيتم كل حيواتكم هنا في الأعلى، غير محميين بالغلاف الجوي. كنتم ضعفاء جداً. الباقون من عرقكم خائفون جداً، كما تعلمون، لا يريدونكم أن تفعلوا هذا. لا يمكن الوصول إليكم، لم لا تتفقدون الوضع؟»

نفذ صبر شيخ الكريكت. أوحى إلى الروبوت إيحاءةً كانت بعكس الإيحاءة التي أوحاها قبلها تماماً.

هز الروبوت مضربه الحربي، وضرب الكرة البيضاء الصغيرة.

كانت الكرة البيضاء الصغيرة هي قنبلة الانفجار النجمي.

كانت قنبلة صغيرة جداً جداً ومصممة لتنهي الكون بأسره.

طارت قنبلة الانفجار النجمي عبر الهواء. اصطدمت بحائط حجرة المجلس الخلفي وبعجته إلى أبعد حد.

قال زيفود: «إذاً كيف تعرف تريليان كل هذا؟»

استمر مارڤن في صمته المتجهم.

قال زيفود: «ربما تخدعهم فقط، يا للصغيرة المسكينة، ما كان علي أن أتركها وحدها أبداً».

الفصل الحادي والثلاثون

نادت تريليان: «هاكتار! ما الذي أنت بصدده؟»

لم يكن هنالك من إجابة من الظلمة المطبقة. انتظرت تريليان بعصبية. كانت متأكدة من أنها محقة. حدقت إلى الظلمة التي كانت تتوقع أن تسمع منها رداً، لكن لم يكن هنالك سوى الصمت المطلق.

نادت مجدداً: «هاكتار؟ أريدك أن تتعرف إلى صديقي آرثر دينت. أردت أن أذهب مع إله الرعد، لكنه لم يدعني، وأنا أقدّر ذلك. لقد جعلني أدرك موطن عاطفتي الحقيقية. لسوء الحظ فإن زيفود مرتعب من كل هذا، لذلك جلبت آرثر دينت عوضاً عنه. وأنا لا أعرف لم أخبرك بكل هذا».

قالت مجدداً: «مرحباً؟ هاكتار؟»

ومن ثم أتى، كان رقيقاً وضعيفاً، كصوت محمول على ريح من مسافة بعيدة، نصف مسموع، ذكرى صوت في حلم.

قال الصوت: «ألن تخرجا كلاكما، أقسم إنكما ستكونان بمأمن تام».

نظرا إلى بعضيهما، ومن ثم خطوَا إلى الخارج، على نحو يصعب تصديقه، على طول شعاع الضوء المنبثق من بوابة قلب الذهب المفتوحة إلى الظلمة الداكنة المحببة لغيمة الغبار.

حاول آرثر أن يمسك بيدها ليثبتها ويزيد من رباطة جأشها، لكنها لم تدعه. أمسك بحقيبة سفره الجوية التي تحتوي على قارورة زيت الزيتون اليوناني، المنشفة، البطاقات البريدية المتجعدة من سانتوريني، وأشياء مختلفة. فثبتها وزاد من رباطة جأشها عوضاً عن تريليان.

كانا يقفان على، وفي، لا شيء.

لا شيء مغبر ومظلم. تألقت كل ذرة غبار، من الحاسوب المدمر، على نحو باهت وهي تدور وتلتف ببطء، ملتقطة ضوء الشمس في الظلام. كل جزيء من الحاسوب، كل ذرة غبار، حوت في داخلها، بضعف، أنموذج الكليّة. في محاولة إحالة الحاسوب إلى غبار بمشقة تمكن الآرمورفينديون السيلاستيون من ستريتاراكس من إعاقة الحاسوب، وليس قتله. فقد أبقى حقل واهٍ على الجزيئات مرتبطة فيما بينها.

وقف آرثر وتريليان، أو بالأحرى طافا، وسط هذا الكائن الشاذ. لم يكن هنالك ما يتنفساه، لكن في هذا الوقت لم يبد الأمر ذا أهمية. حافظ هاكتار على وعده. كانا بمأمن، في هذه اللحظة.

قال هاكتار بضعف: «فيما يخص الضيافة، ليس لدي ما أقدمه لكما، ما عدا خدع الضوء. ومع ذلك فمن الممكن أن يكون المرء مرتاحاً بخدع الضوء، إن كان ذلك كل ما يمتلكه».

أخذ صوته يزول، وفي الغبار القاتم راحت تتكتل أريكة مغطاة بالمخمل على نحو مبهم.

بصعوبة، تمكن آرثر من تحمل حقيقة أنها الأريكة نفسها التي ظهرت له في حقول أرض ما قبل التاريخ. أراد أن يصرخ ويرتجف من الغضب بسبب أن الكون ما انفك يقوم بهذه الأمور المربكة على نحو جنوني له.

ترك آرثر شعوره يتخامد، وجلس على الأريكة بحذر، وجلست عليها تريليان أيضاً.

كانت حقيقية.

في الأقل، إن لم تكن حقيقية، فلقد سندتهما، وذلك ما يتوجب على الأرائك أن تفعله، لذا، وبالنظر إلى أي اختبار، فإن هذه أريكة حقيقية.

تكلم إليهم الصوت المحمول على الرياح الشمسية مجدداً، وقال: «أتمنى أن تكونا مرتاحين».

هزا رأسيهما.

- «وأود أن أهنئكما على دقة استنتاجاتكما».

أشار آرثر بسرعة إلى أنه شخصياً لم يستنتج أي شيء يُذكر، بل إن تريليان من فعلت ذلك. وهي طلبت إليه المجيء لأنه كان مهتماً بالحياة، الكون، وكل شيء.

قال هاكتار: «ذلك شيء أنا أيضاً مهتم به».

قال آرثر: «حسناً، علينا أن نناقش الأمر في إحدى المرات، ونحن نحتسي كوباً من الشاي».

تشكلت ببطء أمامهما طاولة خشبية صغيرة وضع عليها إبريق شاي فضي، إبريق حليب من الخزف الصيني، وعاء سكر من الخزف الصيني، وكوبان من الخزف الصيني مع صحنيهما.

انحنى آرثر إلى الأمام، لكنها كانت مجرد خدعة ضوئية. اتكأ إلى الخلف على الأريكة، التي كانت وهماً كان جسمه مستعداً لأن يتقبله على أنه مريح.

قالت تريليان: «لم تشعر أنه عليك أن تدمر الكون؟»

وجدت بعض الصعوبة في التكلم إلى اللاشيء، حيث لا يوجد ما يمكن التركيز عليه. من الواضح أن هاكتار لاحظ ذلك، وضحك ضحكة شبحية.

قال: «إن كانت ستكون جلسة من هذا النوع فيمكن لنا أيضاً أن نعيش المشهد المناسب».

في اللحظة تشكل أمامها شيء جديد. كانت صورة مبهمة وغير واضحة لمقعد، مقعد طبيب نفسي. الجلد الذي نُجِّدَ منه كان لامعاً وفاخراً، لكن من جديد، كان مجرد خدعة ضوئية.

ولإكمال المشهد، كانت من حولهما الجدران المغطاة بألواح الخشب. ومن ثم ظهرت على المقعد صورة لهاكتار نفسه، وكانت صورة مربكة للعين.

بدا المقعد بالحجم الطبيعي لمقعد طبيب نفسي، بطول يتراوح بين خمس أو ست أقدام.

بدا الحاسوب بالحجم الطبيعي لحاسوب قمر اصطناعي أسود محمول في الفضاء، بعرض نحو ألف ميل.

الوهم في أن الواحد كان يجلس فوق الآخر، كان السبب في أن ترتبك العين.

قالت تريليان بثبات: «حسناً،» ووقفت. شعرت بأنه قد طُلِبَ إليها أن تشعر براحة زائدة وأن تتقبل أوهاماً كثيرة.

قالت: «جيد جداً، هل يمكنك بناء أشياء حقيقية أيضاً؟ أقصد أجساماً صلبة؟»

من جديد، كان هنالك توقف قبل الإجابة، كأن على عقل هاكتار المحطم أن يستجمع أفكاره من ملايين وملايين الأميال التي تبعثر فوقها.

تنهد قائلاً: «آه، أنت تفكرين في السفينة الفضائية».

بدا أن الأفكار تنجرف إلى جانبهم وعبرهم، كأمواج عبر الأثير.

اعترف قائلاً: «نعم، أستطيع. لكنه يستلزم وقتاً وجهداً هائلين. كل ما يمكنني فعله في... حالتي الجزيئية، كما ترين، هو أن أستحث وأوحي. أستحث وأوحي. وأوحي»...

بدت صورة هاكتار على المقعد تتموج وتتأرجح كما لو أنها تجد صعوبة في الحفاظ على نفسها.

استجمعت قوة جديدة وقالت: «أستطيع أن أستحث وأوحي إلى أنقاض فضائية ضئيلة، إلى نيزك دقيق غريب، إلى بعض الجزيئات هنا، بعض ذرات الهيدروجين هناك لتتحرك مع بعضها. أستحثها مع بعضها. أستطيع تحفيزها لتأخذ شكلاً، لكن الأمر يستغرق دهوراً كثيرة.

سألت تريليان مجدداً: «إذاً، هل صنعت أنموذج سفينة الفضاء المحطمة؟»

تمتم هاكتار: «إيه... نعم، لقد صنعت... أشياء عدة. أستطيع تحريكها في الأرجاء. صنعت السفينة الفضائية. بدت أفضل ما يمكن فعله».

شيء ما في تلك اللحظة جعل آرثر يلتقط حقيبته من حيث تركها على الأريكة ويحتضنها بقوة.

التف حولهم ضباب دماغ هاكتار القديم والمشتت كأنه كان يعيش أحلاماً مزعجة.

دمدم بكآبة: «لقد ندمت، كما تريان، ندمت لتخريبي تصميمي الخاص فيما خص الآرموفينديين السلاستيين. لم تكن من صلاحياتي أخذ قرارات كهذه. لقد أُنشئت للقيام بوظيفة، وفشلت فيها، أنا أنكر وجودي».

تنهد هاكتار، وانتظراه في صمت كي يكمل قصته.

قال بعد فترة طويلة: «لقد كنتِ محقة، لقد احتضنت كوكب كريكت عامداً حتى يصلوا إلى الحالة العقلية نفسها التي كان عليها الآرموفينديون السلاستيون، ويطلبوا إلي تصميم القنبلة التي فشلت في تصميمها أول مرة. لقد لففت نفسي حول الكوكب ورعيته. تحت تأثير الأحداث التي كنت قادراً على توليدها، تعلموا أن يكرهوا كالمجانين. كان علي أن أجعلهم يعيشون في السماء. لقد كان تأثيري ضعيفاً جداً على الأرض.

وبالطبع، فمن دوني، لما تم الإغلاق عليهم في غلاف الزمن البطيء، أصبحت ردودهم مشوشة جداً ولم يتمكنوا من تدبر الأمر».

ثم أضاف: «آه، حسناً، آه، حسناً، كنت أحاول أن أتم وظيفتي فحسب».

وتدريجياً، وببطء كبير جداً، راحت الصور في الغيمة تتلاشى وتختفي بهدوء.

من ثم فجأة، توقفت عن الاختفاء.

قال هاكتار بحدة كانت جديدة في صوته: «كانت هنالك أيضاً قضية الانتقام بالطبع».

قال: «تذكرين أنه جرى تدميري، ومن ثم تُرِكتُ في حالة من العجز والضعف لمليارات السنين، وبصراحة أفضل أن أمسح الكون من الوجود. كنت لتشعرين الشعور عينه، صدقيني».

توقف قليلاً من جديد، مع مرور بعض (الإيديز) عبر الغبار.

قال بنبرته الحزينة السابقة: «إنما، على نحو رئيس، كنت أحاول أن أتم مهمتي. آه حسناً».

قالت تريليان: «هل يقلقك أنك فشلت؟»

همس هاكتار: «هل فشلت؟» بدأت صورة الحاسوب على مقعد الطبيب النفسي تزول مجدداً.

قال الصوت المتخافت بحزن من جديد: «آه حسناً، آه حسناً. لا، لا يزعجني الفشل الآن».

قالت تريليان بنبرة غير مبالية وعملية: «هل تعلم ما علينا فعله؟»

قال هاكتار: «نعم، ستعمدان إلى تشتيتي. ستدمران عقلي الواعي. تفضلا رجاءً، فبعد كل هذه الدهور، جلّ ما ألتمسه هو النسيان. إن لم أكن قد أتممت وظيفتي حتى الآن فلقد تأخرت كثيراً. شكراً لكما وطابت ليلتكما».

تلاشت الأريكة.

تلاشت طاولة الشاي.

تلاشى المقعد والحاسوب. اختفت الجدران. شق آرثر وتريليان طريق عودتهما الدقيق إلى قلب الذهب.

قال آرثر: «حسناً، يبدو أن ذلك كل ما في الأمر».

تراقصت ألسنة اللهب بارتفاع أكثر أمامه، ومن ثم خمدت. تراقصت قليلاً لآخر مرة ومن ثم اختفت، تاركة إياه مع كومة من الرماد، حيث كان قبل ذلك بدقائق يوجد العمود الخشبي الذي يرمز إلى الطبيعة والروحانية.

جرف آرثر الرماد إلى جانب موقد غاما الخاص بقلب الذهب، وضعه في كيس ورقي، ومشى عائداً إلى منصة الربان، وقال: «أظن أن علينا أن نعيدها، أشعر بذلك بقوة».

كان قد ناقش سلارتيبارتفاست حيال هذا الموضوع، وفي آخر الأمر انزعج العجوز وغادر. عاد إلى بستروماث، سفينته، تشاجر بحدة مع النادل واختفى في فكرة ذاتية بالكامل عن ماهية الفضاء.

نشبت المجادلة لأن فكرة آرثر حول إعادة الرماد إلى ملعب لورد للكريكت في اللحظة نفسها التي أُخِذَ فيها أساساً، سيستلزم السفر إلى الماضي يوماً تقريباً، وكان ذلك بالتحديد نوع العبث غير المسوّغ وغير المسؤول، الذي كانت حملة الزمن الحقيقي تحاول أن تضع حداً له.

كان آرثر قد قال: «نعم، لكن حاول تفسير ذلك للإم سي سي،» ولم يسمع شيئاً آخر ضد الفكرة.

قال مجدداً: «أعتقد،» ومن ثم توقف. السبب أنه أعاد قولها مجدداً هو أن أحداً لم يستمع إليه في المرة الأولى، والسبب في أن توقف كان أنه قد بدا واضحاً أن أحداً لن يستمع إليه في هذه المرة أيضاً.

كان فورد، زيفود، وتريليان يشاهدون شاشات العرض بتصميم في حين كان هاكتار يتبدد تحت ضغط حقل الاهتزاز الذي كانت تضخه إليه قلب الذهب.

سأل فورد: «ما الذي قاله؟»

قالت تريليان بصوت مرتبك: «أظنه قال، "ما تم قد تم... لقد أتممت وظيفتي... "»

قال آرثر، رافعاً الكيس الذي يحتوي الرماد: « أظن أن علينا أن نعيد الرماد، أشعر بذلك بقوة».

الفصل الثاني والثلاثون

كانت الشمس تشعّ بهدوء على مشهد من الدمار التام.

كان الدخان يندفع عبر العشب المحترق كنتيجة لسرقة الرماد من قبل روبوتات كريكت. كان الناس يركضون مذعورين عبر الدخان، يصطدمون ببعضهم بعضاً، يتعثرون بنقالات الجرحى، ويتم إلقاء القبض عليهم.

كان أحد رجال الشرطة يحاول اعتقال واوباغر الممدد له على نحو لانهائي بسبب سلوك مهين، لكنه لم يتمكن من منع الغريب الرمادي-المخضرّ الطويل من العودة إلى سفينته والطيران بعيداً بغطرسة، مسبباً بذلك المزيد من الذعر والصخب.

في منتصف كل ذلك، وللمرة الثانية ما بعد ظهر هذا اليوم، تشكل جسما آرثر دينت وفورد بريفيكت على حين غرة، كانا قد انتقلا إلى الأسفل من قلب الذهب التي كانت مركونة في مدار حول الكوكب.

صاح آرثر: «أستطيع أن أفسّر، لدي الرماد! إنه في هذه الحقيبة».

قال فورد: «لا أظنك استحوذت على انتباههم».

نادى آرثر أي أحد مستعد للاستماع، بتعبير آخر، لا أحد: «لقد ساعدت أيضاً في إنقاذ الكون».

قال آرثر لفورد: «كان يفترض أن يكون ذلك مثيراً لانتباه الجمهور».

قال فورد: «لم يكن كذلك».

بادر آرثر الكلام لشرطي كان يركض ماراً إلى جوارهما: «معذرة، الرماد. إنه معي. كان قد سرقته منذ دقيقة هذه الروبوتات البيض. إنه معي في هذه الحقيبة. لقد كان جزءاً من مفتاح غلاف الزمن البطيء، كما ترى، و، حسناً، في كل حال، يمكنك تخمين ما تبقى، المهم أنه بحوزتي، وماذا ينبغي لي أن أفعل به؟»

أخبره الشرطي، لكن لم يكن في وسع آرثر سوى أن يفترض أن الشرطي كان يتكلم مجازياً.

تجول في المكان منفطر القلب.

صاح قائلاً: «ألا يوجد من يهتم؟» انطلق رجل إلى جواره ودفع مرفقه، فأسقط الكيس الورقي ونثر محتوياته على الأرض.

نظر آرثر إلى الرماد في الأسفل بفم عاجز عن الكلام.

نظر إليه فورد وقال: «أتريد الذهاب الآن؟»

تنهد آرثر تنهيدة تعب. نظر حوله على كوكب الأرض، للمرة التي كان متأكداً الآن بأنها الأخيرة وقال: «حسناً».

عبر الدخان المنقشع في تلك اللحظة، لمح واحداً من الويكيت لا يزال منتصباً على الرغم من كل شيء.

قال لفورد: «توقف لحظة، لما رأيت ولداً»...

- «هل يمكنك إخباري لاحقاً؟»

- «كنت مغرماً بالكريكت، كما تعلم، لكنّي لم أكن أجيدها جيداً».

- «أو لم تكن تجيدها على الإطلاق، إن أحببت».

- «ولطالما حلمت، بغباء، أنني في أحد الأيام سأصبح لاعب كرة في ملعب لورد».

نظر حوله إلى حشد الناس المصابين بالذعر، ولم يكن أحد سيعيره اهتماماً كبيراً.

قال فورد بسأم: «حسناً، انته من هذه القصة. سأكون هناك،» وأضاف: «مصاباً بالملل». ذهب وجلس على رقعة العشب الذي يصدر منه دخان.

تذكر آرثر أنه في أول زيارة لهما إلى ذلك المكان ما بعد ظهر ذاك اليوم، كانت كرة الكريكت قد هبطت في حقيبته، ففتش في الحقيبة.

كان قد سبق له أن وجد الكرة فيها من قبل وتذكر أنها لم تكن الحقيبة نفسها التي كانت معه في ذلك الوقت. ومع ذلك كانت الكرة موجودة بين الهدايا اليونانية.

أخرجها ومسحها على وركه، بصق عليها ومسحها من جديد.

وضع الحقيبة على الأرض. كان سيفعل ذلك بطريقة مناسبة.

رمى الكرة الحمراء الصلبة الصغيرة من يد إلى أخرى، مستشعراً وزنها.

بشعور رائع من الخفة وعدم المبالاة، راح يهرول مبتعداً عن الويكت. قرر أن يكون بخطى نصف سريعة، وقاس مسافة طويلة نسبياً.

نظر عالياً إلى السماء. كانت الطيور تطير فيها بدوائر، وانساقت عبرها بعض السحب البيض. كان الهواء مضطرباً من أصوات صفارات سيارات الشرطة والإسعاف، وصراخ الناس وعويلهم، لكنه شعر أنه سعيد على نحو غريب وغير متأثر بأي مما يجري. كان سيرمي كرة في ملعب لورد.

استدار ولامس الأرض مرتين بخفي النوم خاصته. وازن كتفيه، ورمى الكرة في الهواء وأمسكها مجدداً.

بدأ يركض.

وبينما هو يركض، رأى ضارب كرة يقف عند الويكت.

فكر في نفسه، آه جيد، من شأن ذلك أن يضيف القليل من...

عند ذلك، ومع اقترابه بقدميه الراكضتين، رأى بوضوح أكبر. لم يكن ضارب الكرة الذي يقف مستعداً عند الويكت واحداً من الفريق الإنكليزي للكريكت. لم يكن واحداً من الفريق الأسترالي للكريكت. كان واحداً من فريق روبوتات كريكت.

كان روبوت قتل أبيض قاسي القلب، صلباً، مميتاً، ويحتمل أنه لم يعد إلى سفينته مع الآخرين.

تصادمت أفكار عدة في ذهن آرثر دينت عند هذه اللحظة، لكن لم يبد عليه أنه قادر على التوقف عن الركض. بدا الوقت يمضي ببطء رهيب جداً، لكن لم يبد عليه أنه قادر على التوقف عن الركض.

أدار رأسه القلق ببطء كأنه يتحرك ضمن شراب، ونظر إلى يده التي كانت تمسك بالكرة الحمراء الصغيرة الصلبة.

كانت قدماه تطرقان الأرض ببطء وهو يسير إلى الأمام على نحو لا يمكن إيقافه، في حين نظر إلى الكرة الممسك بها في يده اليائسة. لقد كانت تبعث توهجاً أحمر عميقاً وتومض على نحو متقطع. ومع ذلك، ظلت قدماه تضربان الأرض على نحو عنيد إلى الأمام.

نظر مجدداً إلى روبوت كريكت الذي يقف ثابتاً بصلابة وعزم أمامه، والمضرب الحربي مرفوع باستعداد. كانت عينا الروبوت تلتهبان بضوء مذهل عميق وبارد، ولم يتمكن آرثر من تحريك عينيه عن عيني الروبوت. بدا كأنه ينظر إلى أسفل نفق عبرهما، حيث لم يبد أن هنالك شيئاً في طرفي ذلك النفق.

بعض من الأفكار التي كانت تتصادم في دماغه في هذا الوقت كانت التالية:

شعر أنه أحمق استثنائياً.

شعر أنه كان ينبغي له أن يستمع باهتمام أكبر إلى عدد من الأشياء التي سمعها تُقال، جمل راحت تدق في أرجاء دماغه في حين راحت قدماه تطرقان إلى الأمام، إلى النقطة حيث كان محتوماً عليه أن يترك الكرة لروبوت كريكت، الذي كان لا بد سيضربها.

تذكر هاكتار وهو يقول «هل فشلت؟ الفشل لا يزعجني».

تذكر أهمية كلمات هاكتار في أثناء موته، «ما تم قد تم، لقد أتممت وظيفتي».

تذكر هاكتار وهو يقول إنه تمكن من القيام «بأمور عدة».

تذكر الحركة المفاجئة في حقيبته التي جعلته يحتضنها بشدة عندما كان في غيمة الغبار.

تذكر أنه عاد في الزمن يومين ليأتي إلى ملعب لورد مجدداً.

كما تذكر أيضاً أنه ليس لاعب كرة جيداً جداً.

شعر بذراعه تلتف، وهو ممسك بقوة بالكرة التي أصبح متيقناً من أنها قنبلة الانفجار النجمي، التي بناها هاكتار بنفسه ووضعها عليه، القنبلة التي يمكن أن تؤدي بالكون إلى نهاية مفاجئة وسابقة لأوانها.

تمنى وصلّى ألا تكون هنالك حياة ما بعد الموت. حينها أدرك أن هنالك تناقضاً في هذه الحالة فتمنى فقط ألا تكون هنالك حياة بعد الموت.

فسوف يشعر بالكثير الكثير من الإحراج حين مقابلة الجميع.

تمنى، وتمنى، وتمنى أن يكون لعبه بالكرة بالسوء الذي يتذكره، لأن ذلك بدا أنه الشيء الوحيد الآن الذي يقف بين هذه اللحظة والنسيان الكوني.

شعر بساقيه تطرقان، شعر بذراعه تلتف، شعر بقدميه تتصلان مع حقيبة السفر التي تركها بغباء ممددة أمامه على الأرض، وشعر بنفسه يسقط إلى الأمام بقوة لكن، بما أن دماغه كان ممتلئاً بالكثير من الأمور، في هذه اللحظة، فقد نسي تماماً أمر الارتطام بالأرض ولم يفعل.

لا يزال ممسكاً بالكرة بقوة بيده اليمنى، ارتفع في السماء وهو يئن لهول المفاجأة.

دار والتف عبر الهواء وهو يغزل من دون تحكم.

انحنى بقوة نحو الأرض، وقذف بنفسه بطريقة محمومة عبر الهواء، وفي الوقت نفسه ألقى بالقنبلة بعيداً من دون أذى.

هوى باتجاه الروبوت المذهول من الخلف، وكان لا يزال رافعاً مضربه الحربي متعدد الاستخدامات، لكنه أصبح فجأة محروماً من أي شيء ليضربه.

وبحمة قوة مفاجئة، انتزع المضرب الحربي من قبضة الروبوت المذهول، وقام بلفّة جانبية باهرة في الهواء، وهوى إلى الأسفل بطاقة غاضبة، وبأرجحة وحيدة ومجنونة أوقع رأس الروبوت من على كتفيه.

قال فورد: «هل ستأتي الآن؟».

الفصل الثالث والثلاثون

الحياة، الكون وكل شيء.

وفي النهاية سافروا من جديد.

كان هنالك وقت لم يكن فيه آرثر ليسافر. قال إن محرك بيستروماتيك قد كشف له أن الزمن والمسافة كانا واحداً، وأن العقل والكون كانا واحداً، وأن الإدراك والواقع كانا واحداً، وأنه كلما سافر المرء بقي في مكان واحد، وأنه ما بين شيء وآخر كان يفضل أن يمكث لوهلة وينظم كل شيء في عقله، الذي كان الآن متوحداً مع الكون، لذلك لن يستغرقه الأمر كثيراً، وأن بإمكانه الاستراحة بعد ذلك، وأن يمارس بعض تمارين الطيران ويتعلم كيفية الطبخ، وهو الشيء الذي لطالما أراد أن يفعله. أضحت علبة زيت الزيتون اليوناني الآن أثمن مقتنياته، وقال إن الطريقة التي ظهرت فيها على نحو غير متوقع في حياته، أعطته إحساساً مؤكداً بوحدة الأشياء ما جعله يشعر أن...

تثاءب وغط في النوم.

في الصباح، وبينما هم يستعدون لأخذه إلى كوكب بريّ وهادئ حيث لن يهتموا إن تكلم على ذلك النحو، التقطوا فجأةً نداء استغاثة عبر الحاسوب، فتحول انتباههم للتحقق.

بدا أن سفينة فضائية صغيرة، لكن من الواضح أنها غير متضررة، من صنف ميريدا، تتراقص باهتزازات صغيرة وغريبة عبر الفراغ. كشف فحص حاسوبي مقتضب أن السفينة بخير، حاسوبها بخير، لكن قبطانها كان مجنوناً.

أصر الرجل وهو مهتاج: «نصف مجنون، نصف مجنون،» في حين حملوه على ظهر سفينتهم.

كان صحافياً مع السيديريال ديلي مينشينر. هدّؤوا من روعه وأرسلوا مارڤن ليبقى بصحبته حتى يقسم بأن يحاول التكلم على نحو منطقي.

قال أخيراً: «كنت أغطي محاكمة على أرغابوتون».

رفع نفسه إلى الأعلى على كتفيه الهزيلتين وحدقت عيناه.

بدا أن شعره يلوح لأحد ما يعرفه في الغرفة التالية.

قال فورد: «على رسلك، على رسلك». ربتت تريليان بيدها على كتفه كي تهدئه.

جلس الرجل من جديد وحدق إلى سقف قسم التمريض في السفينة.

قال: «إن القضية الآن غير مهمة، لكن كان هنالك شاهد... شاهد... رجل يدعى... يدعى براك. رجل غريب وصعب. لقد كانوا في نهاية المطاف مجبرين على إعطائه دواء لجعله يقول الحقيقة، دواء الحقيقة».

تقلبت عيناه بيأس في رأسه.

قال بنشيج صغير: «أعطوه الكثير، أعطوه الكثير الكثير». وبدأ يبكي. «أظن أن الروبوتات قد دفعت يد الجرّاح».

قال زيفود بحدّة: «روبوتات؟ أيّ روبوتات؟»

همس الرجل على نحو أجش: «بعض الروبوتات البيض، اقتحمت صالة المحكمة وسرقت صولجان القاضي، صولجان أرغابوتون للعدل، قطعة زجاجية سيئة. لا أعرف لمَ أرادتها». بدأ يبكي مجدداً. «وأظن أنها دفعت يد الجراح»...

هزّ رأسه على نحو غير محكم من جهة إلى أخرى، بيأس، بحزن، تعثرت عيناه من التأثر بألم.

قال بهمسة باكية: «ولما استؤنفت المحاكمة، طلبوا إلى براك أتعس شيء. طلبوا إليه،» توقف قليلاً وارتجف «بأن يقول الحقيقة، كامل الحقيقة ولا شيء إلا الحقيقة. فقط، هل فهمتم؟»

رفع نفسه على نحو مفاجئ على مرفقيه وصرخ فيهم.

«لقد أعطوه الكثير الكثير من الدواء!»

انهار مجدداً وهو ينتحب بصمت: «الكثير، الكثير، الكثير»...

نظر أفراد المجموعة المتجمعون حول فراشه إلى بعضهم بعضاً، كانت هنالك بثرات من القشعريرة على أجسامهم.

قال زيفود في النهاية: «ما الذي حصل؟»

قال الرجل بوحشية: «لقد قال الحقيقة، نعم، وحسبما أعرف، فإنه لا يزال يقولها الآن». وصرخ: «أشياء غريبة وفظيعة... فظيعة، فظيعة!»

حاولوا تهدئته لكنه كافح ورفع نفسه على مرفقيه مجدداً.

صاح: «أشياء فظيعة، أشياء مبهمة، أشياء يمكن أن تسبب الجنون للمرء!»

حدّقهم بوحشية.

قال: «أو في حالتي، نصف مجنون. أنا صحافي».

قال آرثر بهدوء: «أتقصد أنك معتاد على مواجهة الحقيقة؟»

قال الرجل بعبسة مُرْبَكة: «لا، أقصد أنني اختلقت عذراً وغادرت باكراً».

ومن ثم انهار في غيبوبة لم يصحُ منها إلا مرة واحدة، ولفترة وجيزة.

في تلك المناسبة، اكتشفوا منه ما يلي:

لما أضحى واضحاً أنه لا يمكن إيقاف براك، أنه هنا كانت الحقيقة في شكلها المطلق والنهائي، أُخليت قاعة المحكمة.

ليس فقط إخلاؤها، بل أيضاً إقفالها، وبراك لا يزال داخلها. رُفعت جدران معدنية حولها، و، من أجل الأمان، أسلاك شائكة، أسياج كهربائية، مستنقعات، تماسيح، وتم وضع ثلاثة جيوش رئيسة، حتى لا يتمكن أي أحد على الإطلاق من سماع براك يتكلم.

قال آرثر: «يا للأسف، كنت أود أن أسمع ما لديه ليقوله. من المفترض أنه يعرف ما هو السؤال الجوهري الخاص بالإجابة الجوهرية. لطالما أزعجني أننا لم نعرف».

قال الحاسوب: «فكّر في رقم، أي رقم».

أخبر آرثر الحاسوب برقم هاتف استعلامات الركاب لمحطة قطار كينغز كروس، على أساس أنه لا بد أن له وظيفة ما، وهذه قد تكون هي.

أدخل الحاسوب الرقم في محرك اللااحتمالية المعاد تكوينه الخاص بالسفينة.

في النظرية النسبية، تخبر المادة الفضاء كيفية الانحناء، ويخبر الفضاء المادة كيفية التحرك.

أخبرت قلب الذهب الفضاء أن يغرب عن وجهها، وركنت نفسها بترتيب ضمن النطاق المعدني الداخلي لقاعة محكمة أرغابوتون.

كانت القاعة مكاناً متقشفاً، حجرة ضخمة وداكنة، صُممت في شكل واضح من أجل العدالة، أكثر منها من أجل، في سبيل المثال، المتعة. فلن تقيم حفل عشاء هنا، في الأقل، لن يكون ناجحاً. سيحبط الديكور من معنويات ضيوفك.

كانت الأسقف مرتفعة، محدبة وقاتمة جداً. كمنت الظلال هنالك بعزم صارم. كل ألواح الجدران والمقاعد وأغطية الأعمدة الثقيلة كانت مقصوصة من أقسى الأشجار في غابة أرغلبارد المخيفة. كانت منصة العدالة السوداء الضخمة التي احتلت منتصف الحجرة ذات جاذبية كبيرة. لو تمكن شعاع شمس من أن ينسل خفية إلى هذا الحد في مجمع العدالة في أرغابوتون لكان استدار وانسل في طريق عودته.

كان آرثر وتريليان أول الداخلين، في حين بقي فورد وزيفود بشجاعة ليحميا ظهريهما.

في البداية، بدت الحجرة داكنة ومهجورة تماماً، ردت خطواتهما صدى أجوف في الحجرة. بدا ذلك غريباً. كانت كل الدفاعات في أماكنها وتعمل في محيط البناء الخارجي، وكانا قد تفحّصاها.

لذلك، افترضا أن قول الحقيقة لا يزال مستمراً.

إنما، لم يكن هنالك شيء.

بعد ذلك، ومع تعوّد أعينهما على الظلمة، اكتشفا توهجاً أحمر باهتاً في زاوية، وخلف التوهج كان هنالك ظل حي. حركا مشعلاً باتجاه الظل.

كان براك يجلس مسترخياً على مقعد يدخن سيجارة بفتور.

قال: «مرحباً،» بنصف تلويحة صغيرة من يده. تردد صدى صوته في الحجرة. كان رجلاً صغيراً بشعر خفيف. جلس متقوس الكتفين إلى الأمام في حين كان رأسه وركبتاه تهتز. أخذ سحبة من سيجارته.

حدّقا إليه.

قالت تريليان: «ما الذي يجري؟»

قال الرجل: «لا شيء،» وهزّ كتفيه.

أضاء آرثر بشعلته وجه براك كاملاً.

قال: «ظننا أن عليك قول الحقيقة، كل الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة».

قال براك: «آه، ذلك، نعم، كنت أفعل ذلك، لقد انتهت، ليس هنالك الكثير منها كما يتخيل الناس. ومع ذلك فإن بعضها مضحك بعض الشيء».

انفجر فجأة ضاحكاً لمدة ثلاث ثوان من الضحك الهستيري، ومن ثم توقف مجدداً. جلس في مكانه هازاً رأسه وركبتيه. سحب من سيجارته بنصف ابتسامة غريبة.

تقدم فورد وزيفود من الظلال.

قال فورد: «أخبرنا عنها».

قال براك: «أوه، لا أستطيع تذكر أي منها الآن، فكرت في كتابة بعضها، لكنني أولاً لم أجد قلماً، وثانياً قلت لنفسي، لم الإزعاج؟»

كان هنالك صمت طويل، ظنوا خلاله أنهم شعروا بأن الكون قد تقدم في العمر قليلاً. حدق براك إلى ضوء المشعل.

قال آرثر: « أي منها؟ لا يمكن تذكر أي منها؟»

- «لا، ما عدا معظم الحقائق الصغيرة التي كانت حول الضفادع. أتذكر ذلك».

راح فجأة يضحك بصوت عال مجدداً ويضرب رجليه على الأرض.

قال لاهثاً: «لن تصدقوا بعض الأشياء عن الضفادع، هيا، لنذهب ونجد واحداً، يا للهول، هل سأراها مرة أخرى في ضوء جديد!»

قفز على قدميه وأدى رقصة صغيرة. من ثم توقف وأخذ سحبة طويلة من سيجارته.

قال ببساطة: «دعونا نجد ضفدعاً أستطيع أن أضحك عليه، في أي حال، من أنتم يا أصحاب؟»

قالت تريليان، متقصدة ألا تبقي خيبة الأمل خارج صوتها: «جئنا بحثاً عنك، اسمي تريليان».

هز براك رأسه.

قال فورد بريفيكت بهزة من كتفيه: «فورد بريفيكت،»

هز براك رأسه.

قال زيفود عندما قرر أن الصمت أصبح كافياً لأن يسمح لإعلان بذلك الوزن أن يقال بخفة: «وأنا، أكون زيفود بيبلبروكس».

هز براك رأسه.

قال براك هازاً كتفه باتجاه آرثر: «من ذلك الشاب؟» وكان آرثر يقف صامتاً لوهلة، ضائعاً في أفكار خيبة الأمل.

قال آرثر: «أنا؟ أوه، اسمي آرثر دينت».

جحظت عينا براك من رأسه.

صاح قائلاً: «من دون مزاح؟ أنت آرثر دينت؟ آرثر دينت بذاته؟»

تعثر إلى الخلف ممسكاً بمعدته وهو يهتز بقوة من نوبة ضحك فجائية جديدة.

لهث قائلاً: «هيه، كنت أفكر في لقائك! يا للهول، أنت أكثر... واو، أنت أفضل من الضفادع بكثير!»

صرخ وصاح من الضحك. سقط إلى الخلف على المقعد. وصرخ وصاح بطريقة هستيرية. بكى من الضحك، ركل برجليه في الهواء، ضرب صدره. وتدريجياً تباطأ وهو يلهث. نظر إليهم. نظر إلى آرثر. سقط مجدداً وهو يصيح من الضحك، وفي النهاية غط في النوم.

وقف آرثر هناك وشفتاه ترتجفان، في حين حمل الآخرون براك في غيبوبته إلى السفينة.

قال آرثر: «قبل أن نرفع براك، كنت أنوي المغادرة. لا أزال أريد ذلك، وأظن أنه علي فعل ذلك بأسرع ما يمكن».

هز الآخرون رؤوسهم بصمت، صمت لم يضعفه قليلاً سوى صوت الضحك الهستيري البعيد والمكتوم بقوة، الآتي من غرفة براك في الطرف الأقصى من السفينة.

تابع آرثر: «لقد استجوبناه، أو في الأقل، لقد استجوبتموه، فأنا، كما تعلمون، لا أستطيع الاقتراب منه بأي شكل، ولا يبدو أن لديه أي شيء يسهم به. مجرد قصاصات عرضية وأشياء لا أريد سماعها عن الضفادع».

حاول الآخرون ألا يبتسموا.

قال آرثر: «أنا أول من يقدّر النكتة،» ثم اضطر لأن ينتظر الآخرين ليتوقفوا عن الضحك.

«أنا أول»... ثم توقف مجدداً. في هذه المرة توقف واستمع إلى الصمت، كان هنالك صمت بحق هذه المرة، وكان الصمت قد أتى على نحو مفاجئ. كان براك صامتاً. عاشوا لأيام بصوت ضحك جنوني يصدح مستمراً في أرجاء السفينة، يرتاحون أحياناً بفترات قصيرة من الضحكات البلهاء الخفيفة والنوم. أطبق الجنون على روح آرثر بحد ذاتها.

هذا لم يكن صمت نوم. أطلق الجهاز الطنان صوتاً. بنظرة إلى اللوحة عرفوا أن الجهاز قد شغّله براك.

قالت تريليان بهدوء: «إنه ليس بخير، إن الضحك المستمر يحطم جسمه كاملاً».

ارتجفت شفتا آرثر، لكنه لم يقل شيئاً.

قالت تريليان: «من الأفضل لنا أن نذهب ونراه».

خرجت تريليان من الغرفة بوجهها الجاد.

قالت لآرثر بوجهه الكئيب مزموم الشفتين : «يريدك أن تدخل». أقحم يديه عميقاً في جيبي ثوبه وحاول التفكير في شيء ليقوله من دون أن يبدو ذلك الشيء تافهاً. بدا الأمر ظالماً بشدة، لكنه لم يستطع.

قالت تريليان: «رجاءً».

هزّ كتفيه ودخل، ومعه وجهه الكئيب مزموم الشفتين، بغض النظر عن رد الفعل الذي كان يثيره هذا الوجه دائماً لدى براك.

نظر إلى معذبه الذي كان يستلقي بهدوء على الفراش، شاحب اللون هزيلاً. كان نَفَسُهُ ضعيفاً جداً. كان فورد وزيفود يقفان إلى جانب السرير ويبدوان أخرقين.

قال براك بصوت رقيق: «أردت أن تسألني عن شيء،» وسعل سعلة خفيفة.

السعلة وحدها جعلت آرثر يتصلب، لكنها مرّت وخمدت.

سأله: «كيف تعرف ذلك؟»

هز براك كتفيه بضعف وقال ببساطة: «لأن ذلك حقيقي».

فهم آرثر وجهة النظر هذه.

قال في النهاية: «نعم،» بتشدق متوتر، «لدي سؤال، أو بالأحرى، ما لدي في الواقع هي الإجابة. أردت أن أعرف ما هو السؤال».

هز براك رأسه بتعاطف، واسترخى آرثر قليلاً.

قال: «إنها... حسناً، إنها قصة طويلة، لكن السؤال الذي أود معرفته هو السؤال الجوهري عن الحياة، الكون وكل شيء. كل ما نعرفه هو أن الإجابة هي اثنان وأربعون، وهي مثيرة للغضب بعض الشيء».

هز براك برأسه مجدداً.

قال: «اثنان وأربعون، نعم، ذلك صحيح».

توقف مؤقتاً، عبرت ظلال من الأفكار والذكريات وجهه كما تعبر ظلال الغيوم الأرض.

قال في النهاية: «أخشى أن السؤال والإجابة مقتصران على بعضهما على نحو متبادل. فالمعرفة بأحدهما تعوق منطقياً المعرفة بالآخر. من المستحيل أن يُعْرَف الاثنان فيما خص الكون نفسه».

توقف مجدداً، في حين تسللت خيبة الأمل على وجه آرثر وجلست في مكانها المعتاد.

قال براك وهو يكافح لإخراج الفكرة: «ما عدا، لو حدث الأمر، يبدو أن السؤال والإجابة سيلغيان بعضهما بعضاً، وسيأخذان الكون معهما، وسيتم عند ذلك استبداله بشيء أكثر غرابة وعصياً على الفهم. من الممكن

أن يكون ذلك قد حدث بالفعل،» أضاف بابتسامة ضعيفة، «إنما، هنالك كمية مؤكدة من عدم الثقة حول الأمر».

خرجت منه ضحكة بلهاء صغيرة.

جلس آرثر على كرسي.

قال باستسلام: «آه، حسناً، كنت آمل أن يكون هنالك بعض من المنطق».

قال براك: «هل تعرف قصة المنطق؟»

قال آرثر إنه لا يعرف، وقال براك إنه علم أنه لا يعرف.

أخبر القصة.

قال إنه في إحدى الليالي ظهرت سفينة فضائية في سماء كوكب لم ير واحدة من قبل. كان الكوكب يدعى دالفورساس، وكانت السفينة الفضائية هي هذه. ظهرت كأنها نجم جديد رائع يتحرك بصمت عبر السماوات.

نظر رجال القبائل البدائيون الذين كانوا يجلسون بتزاحم على منحدرات التل الباردة إلى الأعلى من مشروباتهم الليلية التي كانت تتصاعد منها الأبخرة، وأشاروا بأصابع مرتجفة وهم يقسمون بأنهم شاهدوا إشارة، إشارة من آلهتهم عنت أن عليهم الآن النهوض بعد كل هذا الوقت والذهاب لذبح أمراء السهول الأشرار.

في أبراج قصورهم العالية، نظر أمراء السهول إلى الأعلى وشاهدوا النجم الساطع، وتلقوه من دون ريب كإشارة من آلهتهم بأن عليهم الآن الذهاب ومهاجمة رجال قبائل منحدرات التل الباردة الملاعين. وبين المجموعتين، نظر سكان الغابة إلى الأعلى وشاهدوا إشارة النجم الجديد، وشاهدوها بخوف وقلق، فعلى الرغم من أنهم لم يشاهدوا أي شيء مثلها من قبل، فلقد عرفوا تماماً ما الذي تعنيه، وخفضوا رؤوسهم بيأس.

فلقد كانوا يعلمون أنه لما أتى المطر، كانت إشارة.

ولما غادر المطر، كانت إشارة.

ولما هبت الرياح، كانت إشارة.

ولما سكنت الرياح، كانت إشارة.

ولما ولدت في الأرض في منتصف ليلة مُقْمِرة معزاة بثلاثة رؤوس، كانت تلك إشارة.

ولما ولد في الأرض في وقت ما من بعد الظهر قطة طبيعية تماماً أو خنزير من دون تعقيدات ولادة على الإطلاق، أو حتى مجرد طفل بأنف معقوف إلى الأعلى، كان غالباً ما يعدّ ذلك إشارة.

فكان لا شك هنالك على الإطلاق أن نجماً جديداً في السماء كان إشارة لأمر مذهل.

وكل إشارة جديدة كانت تعني الشيء نفسه: أن أمراء السهول ورجال قبائل منحدرات التل الباردة قد أوشكوا أن يلقنوا بعضهم بعضاً درساً قاسياً من جديد.

هذا بحد ذاته لم يكن سيئاً، لولا أن أمراء السهول ورجال قبائل منحدرات التل الباردة كانوا دائماً يختارون أن يلقن بعضهم بعضاً درساً قاسياً في الغابة، وكان دائماً ما يكون سكان الغابة المتضررين بشدة من هذه العمليات، على الرغم من أنه على حد فهمهم، لم يكن لها علاقة بهم في الإطلاق.

أحياناً، بعد بعض أسوأ هذه الإهانات، كان سكان الغابة يرسلون رسولاً إلى قائد أمراء السهول أو إلى قائد رجال قبائل منحدرات التل الباردة ويطالب بمعرفة السبب وراء هذا السلوك غير المحتمل.

كان القائد، أياً يكن، يأخذ الرسول جانباً ويشرح له السبب، ببطء وحذر وبانتباه شديد للتفاصيل الكثيرة المتعلقة بالأمر.

الشنيع في الأمر أنه كان سبباً جيداً جداً. كان واضحاً جداً، عقلانياً جداً، وقاسياً. كان الرسول يدلّي رأسه ويشعر بالتعاسة والغباء بأنه لم يدرك كم أن العالم الحقيقي مكان قاس ومعقد، وكم على المرء أن يتقبل صعوبات وتناقضات إن أراد العيش فيه.

كان القائد يقول: «هل تفهم الآن؟»

كان الرسول يهز رأسه بغباء.

- «وتعلم أنه لا بد لهذه الحروب من أن تنشب؟»

هزة رأس أخرى غبية.

- «ولم أنه عليها أن تنشب في الغابة، ولم في مصلحة الجميع، بمن فيهم سكان الغابة، بأن تنشب تلك الحروب؟»

- «إيه»...

- «في المدى الطويل».

- «إيه، نعم».

وفهم الرسول السبب، وعاد إلى شعبه في الغابة. إنما، مع اقترابه منهم، وفي أثناء مشيه عبر الغابة بين الأشجار، يكتشف أن كل ما يتمكن من تذكره من السبب كان كم بدت المناقشة واضحة، أما ما كانت فحواها فلم يتمكن من أن يتذكر إطلاقاً.

كان ذلك بالطبع قد سبّب راحة كبيرة عندما يعمد بعدها رجال القبائل والأمراء إلى اختراق الغابة وحرق طريقهم عبرها وهم يقتلون كل فرد من سكان الغابة في طريقهم.

توقف براك في قصته وسعل على نحو مثير للشفقة.

قال: «كنت أنا الرسول، بعد أن نشبت المعارك بسبب ظهور سفينتكم، التي كانت همجية. الكثير من أهلنا ماتوا. ظننت أنه يمكنني استرجاع السبب. ذهبت فأخبرني به قائد الأمراء، لكن في طريق العودة، انزلق وتلاشى من عقلي كثلج في الشمس. كان ذلك من سنوات كثيرة مضت، وحدث الكثير منذ ذلك الوقت».

نظر إلى آرثر مجدداً وضحك ببلاهة وهدوء.

«هنالك شيء آخر أستطيع تذكره من دواء الحقيقة. بعيداً عن الضفادع، وذلك هو رسالة الرب الأخيرة إلى مخلوقاته. هل تودون سماعها؟»

للحظة لم يعرفوا إن كانوا سيصدقونه أم لا.

قال: «إنه أمر حقيقي، أنا أعي ما أقول».

ارتفع صدره قليلاً بضعف وكافح من أجل أن يتنفس، وتدلى رأسه قليلاً. قال: «لم أكن منبهراً بها عندما عرفت ما تكون لأول مرة، لكن الآن أفكر في كم كنت مشدوهاً بمنطق الأمير، وكيف أنه بعد أسبوع لم أتمكن من تذكره إطلاقاً. أظن أن ذلك أكثر راحة بكثير».

- «ألا تحبون أن تعرفوا ما هي؟»

هزوا رؤوسهم بغباء.

- «أراهن أنكم تحبون ذلك. بما أنكم مهتمون إلى ذلك الحد، أقترح أن تذهبوا وتبحثوا عنه. إنه مكتوب بأحرف نارية بارتفاع ثلاثين قدماً على قمة جبال كوينتولوس كوازغار في أرض سيثوربيوبستري، على كوكب بريليومتران، أبعد بمدارين عن الشمس زارس في القطاع المجري كيو كيو ٧ أكتيف دجي غاما. يحرسه الثانتراشيل اللاجيستية من لوب».

كان هنالك صمت طويل تلا هذا الإعلان، كسره في النهاية آرثر.

قال: «معذرة، إنه أين؟»

كرر براك: « إنه مكتوب بأحرف نارية بارتفاع ثلاثين قدماً على قمة جبال كوينتولوس كوازغار في أرض سيڤوربيوبستري، على كوكب بريليومتران، أبعد بمدارين»...

قال آرثر مجدداً: «عذراً، أي جبال؟»

«قمة جبال كوينتولوس كوازغار في أرض سيڤوربيوبستري، على كوكب»...

«أي أرض كانت تلك؟ لم أسمعك جيداً».

« سيڤوربيوبستري، على كوكب»...

«سيڤوربي-ماذا؟»

قال براك: «آه، يا للسماء». ومات بغضب.

في الأيام التالية، فكر آرثر قليلاً في هذه الرسالة، لكن في النهاية قرر أنه لن يسمح لنفسه بأن يؤخذ بها، وأصر على متابعة خطته الأصلية في إيجاد كوكب لطيف صغير في مكان ما للاستقرار والمضي بحياة تقاعدية هانئة. وبما أنه أنقذ الكون مرتين في يوم واحد فقد قرر أنه من الممكن ألا يأخذ الأمور على محمل الجد كثيراً من الآن فصاعداً.

وضعوه على كوكب كريكت، الذي كان الآن مرة أخرى كوكباً ريفياً، حتى لو أثارت عصبيته الأغاني في بعض الأحيان.

أمضى كثيراً من الوقت في الطيران.

تعلم أن يتواصل مع الطيور، واكتشف أن محادثاتهم كانت مملة على نحو خيالي. كل ما تتناوله هو سرعة الرياح، فترة الرياح، نسب القوة بالنسبة إلى الوزن وقليلاً حول ثمار التوت. لسوء حظه فقد اكتشف أنه متى تعلمت لغة العصافير تدرك بسرعة أن الهواء ممتلئ بها طوال الوقت، مجرد دردشة عصافير فارغة. لا يوجد مهرب منها. لذلك السبب تخلى آرثر في نهاية الأمر عن الهواية وتعلم العيش على الأرض وأحبها، بغض النظر عن الدردشة الفارغة التي سمعها في الأسفل أيضاً.

في أحد الأيام، كان يمشي عبر الحقول يدندن لحناً فاتناً سمعه مؤخراً عندما هبطت سفينة فضائية فضية من السماء وحطت أمامه.

انفتح الباب، وامتد منه منحدر، خطا خارجاً منها غريب رمادي-مخضرّ طويل، واقترب منه.

قال: «آرثر فيلي»... ثم نظر إليه بحدة، ومن ثم إلى مدونته. عبس، نظر إليه مجدداً وقال: «لقد أهنتك من قبل أليس كذلك؟»

فهرس

الصفحة

الجزء الثالث

الحياة، الكون وكل شيء ٥

مقدمة ٧

الفصل الأول ١٥

الفصل الثاني ٢٧

الفصل الثالث ٢٩

الفصل الرابع ٥٥

الفصل الخامس ٥٧

الفصل السادس ٦٥

الفصل السابع ٦٩

الفصل الثامن ٧٣

الفصل التاسع ٨٥

الفصل العاشر ٩٣

الفصل الحادي عشر ١١٣
الفصل الثاني عشر ١٢٥
الفصل الثالث عشر ١٢٧
الفصل الرابع عشر ١٣٣
الفصل الخامس عر ١٣٧
الفصل السادس عشر ١٤٥
الفصل السابع عشر ١٤٩
الفصل الثامن عشر ١٦٩
الفصل التاسع عشر ١٧٥
الفصل العشرون ١٨٣
الفصل الواحد والعشرون ١٨٧
الفصل الثاني والعشرون ٢٠٣
الفصل الثالث والعشرون ٢٠٥
الفصل الرابع والعشرون ٢٠٩
الفصل الخامس والعشرون ٢١٥
الفصل السادس والعشرون ٢١٩
الفصل السابع والعشرون ٢٢٣

الفصل الثامن والعشرون ٢٢٥
الفصل التاسع والعشرون ٢٢٩
الفصل الثلاثون ٢٣٥
الفصل الواحد والثلاثون ٢٤٥
الفصل الثاني والثلاثون ٢٥٥
الفصل الثالث والثلاثون ٢٦٣
الفهرس ٢٨١

دوغلاس آدامز (١٩٥٢-٢٠٠١)

- كاتب بريطاني وروائي؛
- عمل في هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C)
- من أعماله المؤلفة:

* وكالة ديرك جنتلي للتحقيقات الشمولية، ١٩٨٧

علي ريشة

- مترجم سوري؛
- من أعماله المترجمة:
  * أبناء أودن

٢٠٢٢م